

ر. عَصَامُ كَمَالُ خَلِيفَةُ
أَحَدُ سَائِدَةِ النَّارِخِ فِي الْجَامِعَةِ اللَّبَنِيَّةِ

أبحاث فِي نَارِخِ لَبَنَانِ لِلْعَصَامِ

دار الجيل
ببيروت

انجاش
فناالبحر

ر. عَصَامُ كَمَالُ خَلِيفَةُ
أَحَدُ سَائِدَةِ النَّاسِخِ فِي الْجَامِعَةِ اللَّبَنَانِيَّةِ

أبحاث فِي نَاسِخِ لُبِّ نَاسِخِ

د. ر. الحيد
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٩٨٥

توطئة

هذه الأبحاث تعالج ثلاثة مواضيع من تاريخ لبنان المعاصر، وهي تحاول أن تطرح آفاقاً جديدة أكثر مما تزعم أنها تقفل امكانيات المزيد من البحث في أي من هذه المواضيع. لكن ما نستطيع أن نشير اليه هو اعتمادنا المنهج العلمي الموضوعي من جهة، واعتمادنا بشكل رئيسي على الوثائق، مع اخضاعها لعملية النقد الخارجية والداخلية، من جهة اخرى.

إن علم التاريخ، خاصة في مدرسته الجديدة، لم يعد سرداً مسطحاً تراكمياً لأحداث الماضي، بقدر ما هو علم يحلل حركة الماضي بينها الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والثقافية المتفاعلة انطلاقاً من الوثائق والمصادر الموثوق بها. في ضوء ذلك حاولنا أن نبرز دور البطريك مسعد في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩) في اطار صعود الكنيسة كمؤسسة بمقابل تراجع نفوذ المقاطعية. كما حاولنا ابراز تيارات سياسية هامة في فترة — مفصل من تاريخ لبنان (١٩١٨ — ١٩٢٠)، كانت مختلف الدراسات تتجاهلها. ولقد تناولنا أيضاً بمحمل الأسباب التي كانت في أساس رفض اغلبية النخب الاسلامية للدولة اللبنانية ابان فترة الانتداب مع لحظ التغير الذي طرأ على هذا الرفض من خلال الميثاق الوطني.

ان المدرسة الجديدة في الكتابة التاريخية تفترض وجود جهد جماعي من قبل مؤرخين متعاضدين في اطار مؤسسات علمية (جامعات، مراكز ابحاث، جمعيات تاريخية... برعاية الدولة). فهل يجب أن نستمر في الانتظار أم أن الوقت أصبح ملائماً للانطلاق برغم كل المصاعب المصيرية التي يواجهها الوطن؟

حدثون ١ / ٢ / ١٩٨٥

د. عصام خليفة

البطريك بولس مسعد (تلميذ المدرسة المارونية) :
مدخل حول الاطار التاريخي للنشأة
ومسألة السلطة في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)*

* بحث مقدم الى المؤتمر الذي عقد حول المدرسة المارونية في روما — كلية الآداب (الفرع ٢) — الفناار —
الجامعة اللبنانية. (١٠، ١١، ١٢ تموز ١٩٨٤)

بعد الأبحاث البارزة في مجال الجمع والتقييش التي تمّ إنجازها حول المدرسة المارونية لاسيا لك التي قام بها كل من الآباء بولس قرألي^(١) بيار روفاييل^(٢) سركيس الطبر^(٣) ناصر لجميل^(٤) ، والعدد الخاص الذي صدر عن مجلة المنارة^(٥) بإشراف الأب اغناطيوس سعادة ، ربما غيرها من الدراسات ، أصبح من واجب العاملين في مجال التاريخ لهذه المدرسة ، الانتقال مرحلة جديدة من البحث. ومن أبرز الجوانب التي يجب التوقف عندها :

- تقييم المردود الإيديولوجي الذي كانت تنتجه ثقافة المدرسة المارونية ، وكيف كان خريجو هذه المدرسة يعيدون إنتاج هذه الإيديولوجية من مواقعهم في المسؤولية الدينية والاجتماعية .
- تحليل مضمون الثقافة — وخاصة الدينية — التي كان يتلقاها الطلاب الشرقيون في روما .
- تفكيك عملية التثاقف التي كانت تتم في هذه المدرسة بين الموروث الثقافي الذي كان يحملها الطلاب الشرقيون ، ومضمون الثقافة التي يتلقونها في الغرب . فإذا كانت ظاهرة التثاقف هي « حركة التحول الذي يحصل في ثقافة تقليدية تحت وطأة التأثير الناجم عن ثقافة متفوقة ، وإن ديناميات التحول الخارجية تسيطر على ديناميات التحول الداخلية إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر »^(٦) ، فإلى أي حدّ يمكن اعتبار المدرسة المارونية مركز تثاقف بامتياز ؟

١. الخوري بولس قرألي ، لحة تاريخية في المدرسة المارونية الحديثة برومية (١٨٩٠ — ١٩٢٧) . مطبعة ملر . بيت شباب ، ١٩٣٩ .

٢. P. Pierre Raphaël, le rôle du Collège Maronite romain dans l'Orientalisme au XVI/c et XVIII siècles. Imp. Catholique, Beyrouth, 1960.

٣. P. Sarkis Tabar, Fondation et première siècle de vie du Collège Maronite de Rome (1584 - 1684). Thèse de doctorat, Institut Oriental de Rome, 1980.

٤. Nasser Gemayel, les échanges culturels entre les Maronites et l'Europe du Collège de Rome (1584) au Collège de "Ayn-Waraq" (1789), Beyrouth, Liban, 1984.

٥. المنارة ، السنة ٢٥ ، العددان الأول والثاني ، ١٩٨٤ .

٦. L'Histoire et ses méthodes, Actes du Colloque Franco-Néerlandais de novembre 1980 à Amsterdam, Presses Universitaires de Lille, 1981, p. 187.

٤. ما هو تأثير العملية الثقافية عبر المدرسة المارونية على البنى الاقتصادية والاجتماعية في الطائفة المارونية وسائر الطوائف المسيحية الكاثوليكية الشرقية خاصة وفي لبنان والمشرق العربي بشكل عام؟ ثم ما هو تأثير هذه الثقافة^(٧) على علاقة الطائفة المارونية بباقي الطوائف؟ وما هي الجوانب السلبية والإيجابية في هذا السياق؟
٥. رصد التفاعلات الناجمة عن عملية تغلغل القيم الثقافية التي كان ينقلها طلاب المدرسة المارونية إلى تلامذتهم مع فتح المدارس بعد عودتهم إلى لبنان.
 - ما هي النتائج على العقليات؟
 - ما هي النتائج على السلوك الديني والاجتماعي؟
 - ما هي جدلية التأثير والتأثير على البنى السياسية القائمة؟
 - ما هي التغيرات التي أصابت الليتورجيا الدينية والفكر اللاهوتي؟
٦. كيف أثرت الصراعات العميقة التي كانت تحدث في قاع المجتمع الأوروبي عامة وتنعكس على الكنيسة كمؤسسة في الغرب^(٨) وخاصة بعد انتصار الثورة الفرنسية ، كيف أثرت وكيف تظاهرات هذه التغيرات في مضمون الثقافة التي تلقاها الطلاب الشرقيون في روما؟
٧. أين كانت تقع هذه المدرسة وخريجوها في الاستراتيجيات السياسية للكرسي البابوي بالنسبة للشرق من جهة ، وبالنسبة للسياسات الفرنسية خاصة والأوروبية عامة من جهة أخرى؟ لاسيما وأن هذه السياسات كانت تركز على الأقليات في إطار صراعها الشامل أو مصالحها المتزايدة باتجاه السلطنة العثمانية. وكيف حصل التطبيق العملي لهذه الاستراتيجيات في مواقف خريجي هذه المدرسة وإنجازاتهم في مختلف الحقول؟
٨. ماذا عن اللغات المستعملة من قبل تلامذة هذه المدرسة؟ وكيف يمكننا انطلاقاً من دراسة بعض نصوصهم تسليط الضوء على جوانب مختلفة من التاريخ الاجتماعي وتاريخ العقليات للطوائف المسيحية الكاثوليكية في الشرق. ذلك أن علم الألفاظ يساعد ، كعلم الاجتماع ، في دراسة الظواهر الاجتماعية. فانطلاقاً من دراسة المصطلحات يمكننا أن

٧. «الثقافة هي كل ما صنعت يد الإنسان وعقله من أشياء ومن مظاهر في البيئة الاجتماعية ، أي كل ما اخترعه الإنسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية» . ومعنى هذا ان الثقافة تشمل اللغة والعادات والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية والمستويات والمفاهيم والأفكار الى غير ذلك مما تجده في البيئة الاجتماعية من صنع الانسان. حمد ليب النجيجي ، الأسس الاجتماعية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٢ ، نقلاً عن

W.H. Kilpatrick, Philosophy of education Mac millan, New York, 1956, p. 69.

٨. يمكن في هذا المجال مراجعة المؤلفات الهامة للأستاذ Emile Poulat ومنها :

- Histoire, dogme et critique dans la crise Moderniste, Casterman, 1962.
- Intégrisme et Catholicisme intégral, Casterman; 1969.
- Catholicisme, Démocratie et Socialisme, Casterman, 1977.
- Eglise contre Bourgeoisie, Casterman, 1977.

ندرس المجتمع . حتى أنه يمكننا تحديد علم الألفاظ بكونه نظاماً اجتماعياً يستعمل الأدوات اللغوية التي هي الكلمات^(٩) .
تطبيقاً لهذه النقلة الجديدة الواجب إحداثها في مجال الدراسات حول المدرسة المارونية ، وجدت من المناسب انتقاء أحد كبار خريجي هذه المدرسة (البطريك بولس مسعد) وتحليل دوره في حدث بارز كان له نتائج العميقة في مسار تاريخنا الحديث (حركة كسروان ١٨٥٨ — ١٨٥٩) .

- ولكن ثمة عدة ملاحظات منهجية أخال أن من الضروري إيرادها :
١. إن المؤرخ الصادق مع مهنته لا يتجه إلى التنظير إلا انطلاقاً من النتائج التي توصله إليها أبحاثه .
 ٢. إن العودة الى الوثائق الأصلية وإخضاعها لمنهج الشك التاريخي هو أمر بالغ الأهمية .
 ٣. من واجب المؤرخ أن يقيم باستمرار نوعاً من العلاقة مع اللغة . فإذا لم يعمل باستمرار انطلاقاً من النصوص ، فإن النصوص تبقى برغم كل شيء الأكثر وضوحاً بالنسبة للمادة الأولية التي يعمل بها .
 ٤. هذا البحث لا يزعم أنه دراسة معمقة لشخصية البطريك بولس مسعد ، فعدّة أطروحات جامعية لا تفي هذا الموضوع حقه . كما أننا لا نطمح لأن ندرس حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩) دراسة معمقة في بحمل أسبابها وأحداثها ونتائجها^(١٠) . إنما حدود هذا البحث هو تسليط بعض الأضواء الجديدة — على ما أعتقد — على دور البطريك مسعد في هذه الحركة ، وربط ذلك بالإطار التاريخي للثقافة التي تلقاها في عين ورقة وفي روما .

٩. Regine Robin, Histoire et linguistique, Armand Colin, 1973, p. 35 - 36.

١٠. هذا عمل نسعى لأن نعالجه في المستقبل القريب .

القسم الأول البطريك بولس مسعد : الإطار التاريخي للنشأة

ولد هذا البطريك في أوائل^(١١) سنة ١٨٠٦ ببلدة عشقوت — قضاء كسروان . « وبعد أن تعلم القراءة سريانياً وعربياً في بيت أبيه في قرية عشقوت درس مبادئ اللغتين الإيطالية واللاتينية عند المرحوم الخوري انطون عريضة في مدرسة الرومية ثم في مدرسة الموارنة بعين طورا عند الخوري المذكور إلى أن دخل تلميذاً إلى مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٠ ودرس فيها ما كان يدرس من العلوم في ذلك الوقت وهناك رسمه البطريك يوسف حبيش المطوب الذكر مرتلاً وقارياً في ١٩ نيسان سنة ١٨٢٤ ثم شمعدياً في ٢٠ أيار من هذه السنة وأرسله إلى روميه للمدرسة انتشار الإيمان ليدرس فيها ما يلزمه من العلوم سنة ١٨٢٦ ثم عاد منها إلى جبل لبنان سنة ١٨٣٠ فوضعه البطريك الموماً إليه كاتم أسرار لديه . وفي ١٣ حزيران من هذه السنة رسمه رسائلياً وإنجيلياً وفي ٢٠ من هذين الشهر والسنة رسمه كاهناً وقلّده أشغال الروحية ككتاب روجي عنده . وفي ٢٨ آذار سنة ١٨٤١ رسمه مطراناً على طرسوس في دير مار جرجس — علما ، وجعله نائياً بطريكاً له في الروحيات . واستمر في هذه الوظيفة مدة حياة البطريك هذا الذي رقد بالرب في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥ ومدة خليفته المطوب الذكر البطريك يوسف الخازن الذي بعد وفاته في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ خلفه البطريك بولس المذكور في ١٢ تشرين الثاني هذه السنة وتثبت في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥ من الحبر الأعظم البابا بيوس التاسع وعندما تشرف باقتبال الباليون المرسل له من قداسته ، لبسه بالاحتفال المعتاد في ٢٩ حزيران من هذه السنة بحضور

١١. يذهب الأب بطرس فهد في كتابه تاريخ الرهبانية المارونية ، ج ٧ ، مطابع الكرم ، جونيه ١٩٦٨ ، ص ١٦٦ إلى القول بأن البطريك ولد في أوائل شهر شباط .

جم غفير من مطارين وإكليروس قانوني وعلماني وأمرأ ومشايخ وأعيان وغيرهم في كنيسة القديس يوحنا مارون الكائنة في الديمان في جبة بشراي. صح^(١٢).

إذا كان هذا النص الذي كتب بيد البطريرك نفسه يختصر مسار حياته منذ ولادته حتى تسلمه سدة البطريركية، فما هي الخطوط العامة للتحويلات التي شهدتها الكنيسة المارونية إبّان نشأتها؟ وبالتالي كيف كان باختصار وضع الكنيسة الرومانية في الغرب في الفترة نفسها؟ وما هي المرتكزات الأساسية للثقافة التي تشرب بها مسعد خاصة من خلال مدرسة عين ورقة والمدرسة المارونية في روما، أو بالأحرى مدرسة انتشار الإيمان؟.

أ) مدخل حول التغيرات في الكنيسة المارونية إبّان نشأة البطريرك مسعد:

كانت الكنيسة المارونية، منذ أواخر القرن الثامن عشر، قد عرفت بوادر تطور وازدهار في ظلّ رعاية المقاطعيين الذين كانوا مشجعين للمشاريع الاقتصادية التي تقوم بها الكنيسة وللخدمات الروحية التي تقدمها للفلاحين في آن. ولقد استقطبت الرهبانيات المزيد من الفلاحين في المناطق التي شجع فيها المقاطعيون إنشاء الأديرة. من هنا بروز الرهبانيات كقوة اقتصادية رئيسية. وفي هذا السياق يجب أن نشير إلى النهضة الاقتصادية التي أحدثها البطريرك يوسف حبيش^(١٣) بالنسبة لموارد الكرسي البطريركي. فبدلاً من الاتكال على الرهبات وما يعكس ذلك من موازين القوى ضمن المؤسسة، فقد اعتنى في تكثير أرزاق الكرسي وزيادة مداخيلها لأنه لما ارتقى إلى الوظيفة البطريركية كان مدخول الكرسي من الأرزاق نحو عشرة آلاف غرش. ولما استأثرت به رحمة الله بلغ مدخولها نحو مائتين وخمسين ألف غرش وقد جعل دير سيدة بكركي كرسي البطريركية^(١٤). وهكذا بعد أن كانت الكنيسة الشريك الأضعف للإقطاع والأكثر اتكالاً وخاصة من خلال الملكية المشتركة للعديد من الأديار بين العائلات الإقطاعية والكنيسة معاً، ومن خلال تبعية الكنيسة لتوجيهات الإقطاعيين الكبار وتدخلاتهم في السياسة الإكلييريكية والتعيينات في المراكز الكنسية العليا، فقد بدأ هذا التحالف بالتصدّع «مع نمو استقلال الكنيسة الاقتصادي في نهاية القرن الثامن عشر. هنا بدأت الكنيسة تظهر روحاً استقلالية قوية عن الطبقة الحاكمة. وبالتالي، نتيجة لقوتها الاقتصادية النامية، صارت الكنيسة

١٢. هذه الترجمة لحياة البطريرك مسعد مكتوبة بخط يده على الصفحة الأخيرة من كتاب الدر المنظوم الذي أهده إلى شقيقه. وهذا الكتاب موجود الآن بدير مار شليطا بعجلتون، وقد تفضل الأب بولس مسعد رئيس الدير بإطلاعي عليه.

١٣. انتخب بطريكاً في ٢٥ أيار ١٨٢٣ وتوفي في ٢٣ أيار ١٨٤٥. راجع الحوري مغايل غبريل، تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، المجلد الثاني، القسم الأول، المطبعة اللبنانية بعيدا، لبنان، ١٩٠٤، ص ٧٥٧. وكذلك الحوري منصور الحنوني نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، لا اسم للمطبعة ١٨٨٤، ص ٣٠٩.

١٤. الحوري منصور الحنوني، المرجع السابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

قادرة على تحمل نفقات إدارتها بدون مساعدة الإقطاعيين. وهكذا صارت الكنيسة قادرة على الدفع لموظفيها وعلى بناء أديرتها وتأسيس مراكز لرؤساء الأساقفة»^(١٥).

إن هذا التغير في موازين القوى ربما حمل الصدر الأعظم رأوف باشا على الاعتراف — من قبل الدولة — بزعامة البطريرك حبيش على الطائفة^(١٦) : «حيث أنكم بطرك الملة المارونية أصدقاء الدولة العلية ذات الشوكة السامية الشاهانية المتصفة بكمال المعدلة في حق التبعية بالحماية. فالملة المذكورة لأجل راحة بالها وسريان أمورها وخصوصياتها وتنظيمها. ولتكامل ذلك لزم بحسب مأموريتنا من طرف صاحب السلطنة أن نبلغكم بأن ما يتوقع إلى الملة من الأمور والمصالح راجعوا به حضرات والي ودقتر دار صيدا لكن إذا لزم إعراض خصوصيات ترسل لهذا الجانب... ومن كون الياس حوا من معتبري التجار وموثوق بكلامه من الدولة العلية فبموجب الإرادة السنية تعين لكم قبوكتخدا (أي وكيل) فمن بعد الآن جميع الأمور المختصة بالملة وسائر المصالح التي تتوقع أعرضوها بواسطته واخبروه عنها».

بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي والسياسي فقد تمتعت البطريركية بسلطة تعيين «قاضيين لفصل الدعاوى في حكومة الجبل»^(١٧). بل إن تعيين حيدر إسماعيل اللامي بعد عزل عمر باشا التماسوي، ثم طبقاً لرأي البطريرك حبيش^(١٨).

أما الجانب الأهم في سلطة البطريرك، فهي سيطرته على إيديولوجية^(١٩) الطائفة، وعندما نقول إيديولوجية، لا نعني فقط الأفكار وإنما أيضاً الممارسات الاجتماعية والقيم والتناسق المنظم وغيرها... في هذه الفترة، موضوع بحثنا، من الصعب فصل الدين عن غير الدين. فالكنيسة

١٥. إيليا حريق، التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٠ — ٢٠١.

١٦. الخوري ميخائيل غبريل، المرجع السابق، ص ٧٦٤. وهذه الرسالة مؤرخة في ٢ جماد سنة ١٢٥٧ هـ.

١٧. الخوري منصور الحنوني، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

١٨. المرجع السابق، ص ٣٠٦.

١٩. ثمة تحديدات عديدة لهذا المصطلح أبرزها، في رأينا، اثنان :

L'idéologie, définie avec le sociologue G. Rocher comme "un système d'idées et de jugements, explicite et généralement organisé, qui sert à décrire, expliquer, interpréter ou justifier la situation d'un groupe ou d'une collectivité, et qui, s'inspirant largement de valeurs, propose une orientation précise à l'action historique de ce groupe ou de cette collectivité".

(Maurice-Pierre Roy, les régimes politiques du tiers monde, L.G.D.Y, Paris, 1977, p. 180).

أما التوسير فقد حدد الأيديولوجية :

"Comme le rapport imaginaire des individus à leurs conditions matérielles d'existence". (Idéologue et appareils idéologiques d'Etat, la Pensée, n° 151, juin 1970).

تلعب الدور الحاسم وتتدخل في كل شيء محددة الحلال والحرام. وان المواقف الدينية، والمقائد الإيمانية، والطقوس كان لها أهميتها الكبرى. في هذا الزمن حيث صورة الله توحى بالقوة والقصاص، والمجتمع قائم على الزراعة، ثمة تصور تراتبي للمجتمع ثلاثي الحلقات:

— أصحاب الصلاة وهم يتشكلون من الجهاز الإكليريكي (كهنة ورهبان وأساقفة وعلى رأسهم البطريرك^(٢٠)). هذا الجهاز الإكليريكي، وخاصة بعد مطلع القرن التاسع عشر، أخذ يجهد لأحكام قبضته على مواقع النفوذ الإيديولوجي في المجتمع، ومن أبرز هذه المواقع: العائلة والقرية، المدرسة، المطابع، ناهيك عن الدين والأوقاف...

— أهل المناصب والأعيان الذين كان دورهم التقليدي في السلطة يتراجع لصالح الفئة الأولى، فهم قد «افتقروا إلى العلم وإلى جاعة متعلمة كرجال الإكليروس تتولى الدفاع عنهم»^(٢١).

— العوام الذين يعملون في الزراعة وينتجون من أجل الجميع. هؤلاء «العوام» أخذوا يتنظمون في جمعيات غالباً ما تكون دينية، يوجهها عادة رجال الإكليروس، كما راحت تتصاعد نسبة المتعلمين بينهم ولو ببطء. ولقد انتخبوا من بينهم وكلاء متحدين، بشكل مباشر أو غير مباشر، سلطة المقاطعية، مطلقين — بالتعاون مع بعض المقاطعيين المعارضين والإكليروس المتنور — ما سمي بالعاميات الشعبية^(٢٢). هذا الشعور بالرفض لسلطة المقاطعية تطور باتجاه تعزيز الانتماء الطائفي. فقد أخذ الموارنة، في هذه المرحلة «ينظرون إلى كونهم طائفة بمعنى الأمة، أي الجاعة ذات التاريخ والموطن والقيم المشتركة»^(٢٣).

ضمن هذه الحلقات الثلاث تصاعدت سلطة البطريرك، ليس فقط بسبب التغير الذي حصل في موازين القوى الاقتصادية والاجتماعية^(٢٤)، وإنما أيضاً بسبب ما أعطته قوانين الجمع اللبناني من صلاحيات واسعة خاصة في مجال الإشراف على إيديولوجيا المجتمع. ففي باب طبع

٢٠. «في عام ١٨٤٤، على سبيل المثال، كان في جبل لبنان ١٢٠٥ كهنة. من أصل ربع مليون ماروني، أي بنسبة تقارب كاهناً واحداً لكل مئتي شخص». ايليا حريق، المرجع السابق ص ١١٦. نقلاً عن

Murad, Nicolas, Notice Historique sur l'origine de la Nation Maronite et sur ses rapports avec la France, sur la Nation Druze et sur les diverses populations du Mont Liban. Paris, Le Clère, 1844, p. 46.

٢١. ايليا حريق، المرجع السابق، ص ١٢٣.

٢٢. يمكن مراجعة كتاب أ. سميليا نساكيا، الحركات العلامية في لسان، تعريب عدنان حامد، دار الجاهير - دمشق، ودار الفارابي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢.

٢٣. ايليا حريق، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٢٤. يمكن في هذا السياق مراجعة كتاب:

William R. Polk, The opening of South Lebanon (1788 - 1840), Harvard University Press, U.S. 1961

الكتب واستعمالها يحتم « أن لا يطبع أحد أو ينشر بالخط كتاباً أو رسالة في أي فن أو معنى وضع نظاماً كان أو نثراً أو تاريخاً أو ما سوى ذلك بأية طريقة أو لغة وضع ما لم يعرض أولاً على النقدة الذين ينصبهم السيد البطريرك السامي الاحترام والأساقفة في كل من^(٢٥) أبرشياتهم . فيأذنون هم أو نوابهم في ذلك » كتابة .

« والذين يطبعون أو ينسخون أو يقرأون أو يقتنون كتب قوم مبتدعين تحرمها الكنيسة لاشتمالها على بدعة أو مظنة تعليم كاذب أو ما يؤيد جانب بدعة بأي وجه كان تحلّ بهم عقوبة الحرم المحفوظ للرؤساء المحليين... » .

أما بالنسبة للتعليم فيأمر المجمع اللبناني بعدم السماح لخاصة الطائفة وعامتها بنخريج « بنهم عند أساتذة أجنبيين وذلك توجهه قيد طائلة تأديب الحرم المنزل من لدن الأسقف ويتناول هذا التأديب أيضاً أولئك الذين يأتون مدارس الكفار أو المبتدعة سواء أتوها بأمر آبائهم أو دون أمرهم »^(٢٦) .

إن تحليلنا لا يتطرق إلى الجانب الميتافيزيقي لجوهر الدين . المسألة تكن في تحليل الظواهر الدينية المتنوعة التي تتخذ طابعاً اجتماعياً . ففي ضوء ما تقدّم إذا تساءلنا عن ماهية الشروط الفعلية التي تشكل المرجع الإيديولوجي في مجتمع الطائفة المارونية وعن ماهية المضمون الذي ينبع منها ، وكيفيّة تأثير هذا المضمون على التطبيقات الاجتماعية للدين ومفاعيل ذلك على الصيرورة الاجتماعية ، لأمكننا أن نفهم بوضوح السلطة الزمنية والروحية التي يتمتع بها البطريرك . فمع مجيء الرسائل الإنجيلية إلى بيروت وجبل لبنان ونجاحهم الجزئي في استقطاب بعض الموارنة^(٢٧) ، بادر البطريرك حبيش إلى إصدار منشورين يحرض بهما ويحثّ على أبناء طائفته « ليكونوا محترمين من غشهم وخداعهم » وأن لا يقتني أحد من كتبهم الدينية « ولا يتعاطاها أو يطالع فيها » ثم « يمنع عن التعليم عندهم أو في مدارسهم » تحت عقاب الحرم^(٢٨) . ولقد بادر إلى سجن أحد الذين انضموا إليهم (أسعد الشدياق) ، وهو من خريجي عين ورقة ، فتوفي أسعد نتيجة التعذيب والقهر^(٢٩) .

٢٥. المجمع اللبناني ، ترجمة المطران يوسف نجم ، مطبعة الارز ، جوبه ١٩٠٠ ، ص ٢١ وكذلك قوانين المجمع اللبناني ، اقتطفها وجمعها ورتبها الخوري الياس الزيناني ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٦ ، ص ٢٥ .
٢٦. الخوري الياس الزيناني ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

Emile G. Léonard, Histoire Générale du Protestantisme, T. III, P.U.F. 1964, p. ٢٧ 478.

٢٨. الخوري منصور الختوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ — ٢٥٩ وكذلك الخوري ميخائيل غبريل ، المرجع السابق ، ص ٧٥٧ .

٢٩. لقد كتب احمد فارس الشدياق كتاب « خبرية اسعد الشدياق » وطبع في ماطه سنة ١٨٣٣ ، كما أن بطرس البستاني كتب « قصة اسعد » ويوجد في مكتبة الآداب الشرقية بالجامعة اليسوعية مخطوطة حول هذا الموضوع .

ب) مدخل حول وضع الكنيسة الرومانية في الغرب في فترة نشأة البطريرك مسعد :
في مجال عرضنا التطورات التي عرقتها الكنيسة الرومانية كمؤسسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حسبنا التوقف عند بعض النقاط البارزة التي تهمننا في إطار بحثنا . وإن تطرقنا لهذه التطورات ينبع من يقيننا بأن البطريرك مسعد ، بوعيه التاريخي وثقافته الموسوعية كان مدركاً لمحمل هذه الأمور ، وبالتالي فإنها قد أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على سلوكه الديني والاجتماعي ، بل على مسار فكره التاريخي .

مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما تلاه من إجراءات كفصل الدين عن الدولة ، وإلغاء دويلات البابا طبقاً لاتفاقية (تولتينو) عام ١٧٩٧ ، وسجن البابا بيوس السادس في (فالانس) (عام ١٧٩٩) ^(٣٠) ، عرفت الكنيسة مرحلة صعبة وخطيرة . لقد خلقت الثورة الفرنسية مناخاً روحياً جديداً : إنه مناخ الديمقراطية . فبدأ المساواة بين الناس ، العزيم كثيراً على الفلاسفة والمصلحين أصبح للمرة الأولى حقيقة واقعة ، وعلى أساسه قام مبدأ الحداثة . وفي هذا السياق كان هناك مسائل ثلاث تشغل الكنيسة :

- مسألة العلاقة بين الكنيسة والدولة .
- مسألة العلاقة بين العلم والإيمان .
- ومسألة وحدة الكنيسة .

وبالرغم من أن تسوية ١٨١٥ أعادت بعض الاعتبار لمركز البابوية إلا أنه لم يكن بين الدول المسيحية أية واحدة تريد أن تجعل من البابا حكماً فيما بينها وبالتالي فالمصاعب استمرت تواجه الدولة البابوية ، وخاصة من قبل الحركة الوحدوية القومية الإيطالية . لقد حاولت السدة البابوية أن تكون حريصة على تقاليدھا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بينما كانت الأفكار الليبرالية تتصاعد اتساعاً . كانت البابوية تحاول أن تتمسك بأفكار تعود الى القرون الوسطى في مطلقيتها وتحاول أن تستعمل القوة لقمع الأفكار الجديدة ، وبرغم ذلك فالتيار القومي والليبرالي استطاع أن يسيطر على مجمل الأفكار .

مع لاوون—XII (١٨٢٣ — ١٨٢٩) لم تحدث أمور هامة نسبياً . لكن هذا البابا استمر بالصراع ضد قطاع الطرق ، وضد الكاربوناري وبشكل عام ضد الجمعيات السرية ^(٣١) .
فالكردينال (ريفارولا) الذي أرسل إلى (رافين) أوقف ٥٠٨ من عناصر الجمعيات السرية ، فردت الكاربوناري باغتيال سكرتير الكردينال وقد تبع ذلك موجة من الاعتقالات ^(٣٢) . كما تم إصدار براءة بابوية ، في ٢٤ آذار ١٨٢٤ تمنع شرب الخمر في

J. Lortz, Histoire de l'Eglise, Payot, 1962, p. 296.

٣٠

Pierre de Luz, Histoire des papes, ed., Albin Michel, Paris, 1960, p. 208

٣١

Nouvelle Histoire de l'Eglise, T. 4, ed. du Seuil Paris, 1966, p. 310.

٣٢

الكبريات^(٣٣). إلا أن الكونت سان سيمون، طرح أمام البابا ما سماه (نوفو كريستيانيسم) وذلك عام ١٨٢٥. لقد حرص سان سيمون على البرهنة للبابا أن شرط استمرار القوة الأخلاقية للكنيسة على الشعب مرهون بقيادتها لإصلاح عميق يحصل في قلب المجتمع. «لا يمكن أن يقتصر عملكم — قال سان سيمون للبابا — على تبشير المؤمنين بأن الفقراء هم الأبناء الأعزاء لله، وإنما يجب أن تستعملوا بوضوح وبقوة كل السلطات وكل الوسائل من قبل الكنيسة — وبسرعة — لتحسين الحالة البيولوجية والأخلاقية للطبقات الشعبية الواسعة»^(٣٤).

بعد موت لاوون الثاني عشر دعمت النمسا الكاردينال (كاستيغليوني)، بينما دعم شاتوبريان — سفير فرنسا في روما — الكاردينال (غريغوريوس). فانتصر الأول وأطلق على نفسه إسم بيوس الثامن. وعيّن الكاردينال (ألباني) سكرتيراً له وهو مؤيد للسياسة النمساوية^(٣٥). لكن هذا البابا ما لبث أن توفي في ٣٠^٢ ١٨٣٠^(٣٦).

بعد مئة دورة عقدها المجمع، تمت السيطرة للتيار الـ (زيلانت)، فانتخب (كاييلاري) بابا وسمي غريغوار (٢ شباط ١٨٣١^(٣٧)). هذا البابا كان قد عيّن عام ١٨٢٦ مديراً للبروباغندا فأعطى دفعةً جديداً للإرساليات التي كانت قد أهملت منذ أواخر القرن الثامن عشر. وبعد انتخابه استمر في دعم هذه الإرساليات، كما عيّن الكاردينال (بيرنييتي) كسكرتير للدولة، وقد قام هذا الأخير بإدخال علمانيين إلى الإدارة البابوية، وبإنشاء جيش بابوي كأداة لمواجهة أخطار الثورة دون الاضطرار لطلب المساعدة من الجيوش الغربية. إن البابا غريغوار XVI كان معارضاً للتيارات الليبرالية، فتحالف سياسياً مع الحلف المقدس، وتصدى للخروقات الليبرالية التي طالت حتى اللاهوت^(٣٨). ففي عام ١٨٣٢ اجتمع مع المفكر المسيحي الإصلاحية (لامتيه) الذي عرض أمام البابا ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة، والموافقة على شعارات الثورة الفرنسية: مبدأ الإرادة الشعبية، حرية الضمير، حرية الصحافة والتعليم والاجتماع. وباختصار وقوف الكنيسة إلى جانب الديمقراطية بمواجهة السلطات المطلقة. إلا أن البابا أدان مثل هذه الطروحات من خلال رسالته (ميراي فوس)^(٣٩). ومن جملة ما ورد فيها: «إن

٣٣. عندما توفي لاوون XII قيل: «لقد استراح وراح».

op. cit., p. 310

وكذلك

Fernand Hayward, Histoire des Papes Payot, Paris, 1942, p. 374.

Pierre de Luz, op. cit, p.210.

Pierre de Luz, op. cit., p. 210.

Nouvelle Histoire de l'Eglise, op. cit., p. 312.

op. cit., p. 313.

Ludwig Hertling, l'Histoire de l'Eglise, Mame, France, 1962, p. 501 - 502.

Pierre de Luz, op. cit., p. 216 - 217.

٣٤.

٣٥.

٣٦.

٣٧.

٣٨.

٣٩.

السدة البابوية قد تزعزع وضعها. وشائج الوحدة تنفصم عراها يوماً بعد يوم. والكنيسة أصبحت مستسلمة لبغض الشعب^(٤٠).

إن رفض الليبرالية ومنجزاتها حملت البابا غريغوار حتى على منع السماح بإنشاء سكك حديدية في المناطق التي يشرف عليها^(٤١). إلى أن توفي في ١ حزيران ١٨٤٦.

في ١٦ حزيران ١٨٤٦ انتخب الكاردينال (ماستا فيررتي) بابا، فحمل اسم بيوس التاسع وبقي حتى العام ١٨٧٨، أي أطول فترة في تاريخ البابوية^(٤٢) من أبرز الإصلاحات التي قام بها: السماح بإنشاء أول خط سكة حديد في المناطق البابوية، السماح بقيام صحف في روما وهي كانت ممنوعة حتى ذلك الوقت، إنشاء نوع من مجلس وزاري (كونسيلتا) وإصدار دستور جديد يحمل بعض الملامح الليبرالية، إلغاء وسائل القمع وإطلاق سراح الأسرى (أكثر من ٣٠ ألف إنسان اعتقلوا وسمح لهم بالذهاب إلى بلدانهم، وكان عدد المسجونين في السجون البابوية يزيد على ١٣ ألفاً)^(٤٣). لقد استقبل كل ذلك بحماس شعبي كبير، وكان يصب في تقوية الحركة الوحدوية الإيطالية الصاعدة. وما لبثت ثورة ١٨٤٨ أن طالت روما مع (ماززيني) الأمر الذي أذى إلى هرب البابا إلى مملكة نابولي فألغيت سلطته الزمنية عن روما، ورفعت يد الإكليروس عن مؤسسات التربية. ولم يعد البابا إلى روما إلا بتدخل قوات فرنسية إسبانية ونمساوية. وفي ٨ كانون الأول ١٨٦٤ أصدر بيوس التاسع رسالته البابوية (كوانتا كيرا) يدين فيها مقومات الدولة العلمانية وحرية الضمير والعبادة، وسيادة الشعب، كما يؤكد على الاستقلالية للكنيسة، وحقها في صياغة المعتقدات والسلطة المطلقة للبابا. وقد أرفقت الرسالة بملحق (سبلايس) ينص على المفاهيم التي تحرمها وتدينها الكنيسة، ومن بينها ٨٠ قضية أو مفهوم أبرزها (العقلانية والإشراكية والليبرالية...) ^(٤٤).

إذا كانت إدانة الليبرالية من قبل بيوس التاسع هي إدانة للناس الذين وافقوا، تحت شعار الحرية، على القانون المدني النابع من الثورة الفرنسية^(٤٥)، فإن فترة هذا البابا عرفت جملة أحداث:

١. انقراض الدويلات الكنسية.
٢. الصراع المبدئي الذي وضع الكنيسة بمواجهة مفهوم الثقافة المعاصرة والدولة الحديثة.

J. Lortz, op. cit., p. 316.

.٤٠

Fernand Hayward, op. cit., p. 379

.٤١

Pierre de Luz, op. cit., p. 221.

.٤٢

Jacques Pirenne, les grands courants de l'Histoire Universelle, Ed. Albin Michel, T. ٣, 5, paris, 1953, p. 142.

.٤٣

Histoire générale de l'Europe, dirigée par Georges Livet et Roland Mousnier, T. 3. P.U.F, Paris, 1980, p. 163.

.٤٤

Yves Congar, l'Eglise de Saint Augustin à l'époque Moderne, les éd. du C.E.R.F, Paris, 1970, p. 425.

.٤٥

٣. تحديد الأسس الإيمانية من قبل المجمع الفاتيكاني.

٤. إعلان عقيدة الحياذ من قبل البابوية^(٤٦).

ج) البطريك بولس مسعد: من عين ورقة إلى روما:

إذا كانت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عرقتها الطائفة المارونية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، قد أثرت إيجاباً على موقع البطريك كسلطة إيدولوجية في المجتمع، وإذا كانت التغيرات المتسارعة التي عرقتها الكنيسة الرومانية في الغرب، في هذه الفترة، قد طرحت على المؤمنين وعلى قادة الكنيسة تحديات الحداثة، فإن ما كان له التأثير الكبير في شخصية البطريك بولس مسعد هو الإطار الثقافي الذي نشأ فيه ابتداء من مدرسة الحوري انطون عريضة مروراً بمدرسة عين ورقة وصولاً إلى روما.

إن مضمون التعليم الذي تلقاه بولس مسعد التلميذ على يد الحوري انطون عريضة يجب أن يندرج ضمن إطار ما أوصى به المجمع اللبناني منذ العام ١٧٣٦:

«... فليعلموا الأحداث في المدارس أولاً القراءة والكتابة في السريانية والعربية ثم المزامير ثم كتاب خدمة القديس والفرض اليومي والعهد الجديد ثم إذا توسعوا في بعضهم مزيد الأهلية لتحصيل العلوم فليعلموهم قواعد النحو والصرف في السريانية والعربية ثم علم اللحن والحساب البيعي ثم يرقوهم إلى درس العلوم العالية أي الفصاحة والنظم والفلسفة والمساحة والحساب وعلم الفلك وما أشبه ذلك من الرياضيات ثم مبادئ الحق القانوني وتفسير الكتاب المقدس واللاهوت الاعتقادي والأدبي ولا سيما ما يروونه مناسباً لقبول الأسرار وتوزيعها ولمعرفة طرق الطقوس والاحتفالات...»^(٤٧).

عام ١٨٢٠ التحق مسعد بمدرسة عين ورقة «أم المدارس في سوريا ولبنان»^(٤٨) هذه المدرسة أنشئت عام ١٧٨٩ «أولاً لتربية الأولاد بخوف الله والعبادة وحفظ طقوس رتبنا المارونية الأنطاكية المقدسة منذ حداثته سنهم. ثانياً: ليرتشدوا بالعلوم المقدسة أولاً النحو السرياني والعربي ثانياً الفصاحة ثالثاً علم المنطق والفلسفة رابعاً علم اللاهوت النظري والعملية

Lortz, op. cit, p. 321.

٤٦.

٤٧. المجمع اللبناني، ترجمة المطران يوسف نجيم، المرجع السابق، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

٤٨. حول مدرسة عين ورقة يمكن مراجعة: أطروحة الأب ناصر الجميل، المرجع السابق ص ١٠١١
١٠٨٢ وأطروحة رينيه اسكلندر: «مدرسة عين ورقة ودورها التربوي في لبنان» كلية التربية - الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠.

وأطروحة انطوانيت فغالي: «عين ورقة - قضايا ملكية وإدارية» كلية التربية - الجامعة اللبنانية، ١٩٧٨.

- والمجادلات الدينية وشرح الكتب المقدسة وحوادث علم الذمة وإتقان الوعظ الروحي (والتبشير بكلمة) الله على الشعب المسيحي»^(٤٩).
- وإذا لم يكن من هدفنا التوسع في بحث منجزات هذه المدرسة وقوانينها وإدارتها ومستواها الثقافي وما إلى ذلك ، فإننا سنتوقف عند بعض الخصائص السلوكية والعلمية البارزة التي طبعت هذه المدرسة تلاميذها بها . وفي هذا السياق يمكن أن نفهم الأجواء التي اكتنفت نشأة البطريرك مسعد العلمية . فعلى الصعيد السلوكي :
- ثمة تشدد لا هوادة فيه على صعيد النظام السلوكي — الروحي للتلامذة . فالمدرسة تتدبر أمورهم «جسدانياً وروحانياً» على نحو يطال دقائق حياتهم اليومية منذ الصباح وحتى المساء .
 - عند نهوضهم صباحاً من النوم يتلون الصلوات المعتادة .
 - بعد نهاية ذلك بنصف ساعة يركعون نصف ساعة بالاحتشام في العلية للصلاة (لفظياً وعقلياً)^(٥١) .
 - كل يوم يسمعون القداس في الكنيسة وأيام الآحاد والأعياد قداسين^(٥٢) .
 - قبل التوجه للغداء تتم تلاوة طلبه جميع القديسين في الكنيسة^(٥٣) .
 - في وقت الأكل تتلى أجزاء من الكتاب المقدس^(٥٤) .
 - القيام بزيارة القربان الأقدس بعد نهاية الغدا والعشا^(٥٥) .
 - زيارة الكنيسة بعد التزهة^(٥٦) .
 - القيام برياضات روحية أسبوعية وسنوية ، والاعتراف وتناول القربان مرتين في الشهر على الأقل ، وسماع الوعظ في الآحاد والأعياد ، وكذلك سماع التعليم المسيحي بعد ظهر كل أحد^(٥٧) .
- أما على صعيد علاقة التلامذة بغيرهم من خارج المدرسة :
- ثمة ضبط حازم لمسائل الزيارات وحتى انه لا يمكن للتلامذة أن «يطلوا من الطاقات والشبائك التي منها يشاهدوا الغير والغير يشاهدوهم»^(٥٨) .

٤٩. عن صورة حجة تأسيس المدرسة ، ارشيف بركري .

٥٠. المادة ١١ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥١. المادة ١٢ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٢. المادة ١٦ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٣. المادة ١٣ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٤. المادة ١٧ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٥. المادة ١٨ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٦. المادة ١٩ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٧. المواد ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ من قوانين مدرسة عين ورقا .

٥٨. المادة ٤٥ من قوانين مدرسة عين ورقا .

- التشديد على «الاختلا والبعد عن معاشره الخارجين عن المدرسة لئلا يتعلموا طرائقهم...» (٥٩).

أما على الصعيد العلمي ، فقد كان هناك مراحل ثلاث : الابتدائي ، والثانوي والعالي . وكان هناك تشديد على المنحى اللغوي (صرف ونحو وإنشاء وبيان وعروض وخطابة...) والمنحى الديني والفلسفي (تفسير كتب مقدسة ، جدل ديني ، فلسفة ، لاهوت نظري وعملي ، ومنطق...) وبعض العلوم . أما اللغات السائدة فكانت العربية والسريانية والإيطالية واللاتينية . وقد بقيت الإيطالية لغة لبنان الدولية منذ عهد المعنيين حتى السنة ١٨٤٧ وفيها بدأ تقدّم الفرنسية . وكان هناك تخوف من أن تكون اللغة الفرنسية أداة لنقل الأفكار الثورية الجديدة بخلاف الإيطالية أداة الإستقرار والحفاظة (٦٠).

أما لجهة القراءات فكان هناك حزم في مسألة التوجيه الفكري «لا أحد يستطيع أن يحفظ عنده كتب لا تكون مفيدة لدوره... وبأولى حجة لا يمكنهم يستعملوا كتب باطلة وغير مفيدة ومضرة التهذيب الجيد ومضادة الإيمان الكاثوليكي» (٦١).

أما على صعيد النقاش الفكري فكان هناك سيادة أو بالأحرى تبعية صارمة للأساتذة «وليحترسوا بالمجادلات من أن يكونوا غصوين وعنودين في رأيهم الخصوصي بل في كل المجادلات يقنعوا من رأي ريس العلوم» (٦٢).

لقد تخرج البطريك مسعد من عين ورقة متقناً اللغات العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية (٦٣) . ولقد لفت رؤسائه (٦٤) بذكائه وتقواه . فأرسله البطريك حبيش لإكمال دروسه في روما .

د) البطريك مسعد في روما :

عام ١٨٢٦ سافر مسعد إلى روما لمتابعة دراسته على نفقة المدرسة المارونية . فماذا كان وضع هذه المدرسة في هذه المرحلة ؟ وما هو الجو الثقافي الذي اكتنف دراسته بين عامي ١٨٢٦ — ١٨٣٠ ؟

إبان حملته على إيطاليا واحتلاله لروما ، أصدر نابليون عام ١٧٩٨ أمراً بإلغاء كل المؤسسات الخيرية والدينية وسلب أموالها . ومن جملة هذه المؤسسات وضع يده على المدرسة

٥٩. المادة السابقة نفسها.

٦٠. اليسوعيون في الشرق الأدنى والعالم ، دار النهار للنشر ، ١٩٧١ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

٦١. المادة ٢٦ من قوانين عين ورقة .

٦٢. المادة ٤٠ من قوانين عين ورقة .

٦٣. المطران يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، المجلد ٨ ، المطبعة العمومية بيروت ، ١٩٠٥ ، صفحة ٧٥٣ .

٦٤. سنة ١٨٢٣ انتخبت عائلة بني اسطفان «لرياسة مدرستهم عين ورقة الخوري يوحنا توما أبي رزق من جزين لما يعهدون به من الأهلية لهذه الوظيفة» ، الخوري منصور الختوني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

المارونية ، فألغاهوا وباعها مع ممتلكاتها^(٦٥) . وجعل بعض تلامذتها تراجمة في جيشه أو مراقبين للمطبعة الشرقية التي فيها من البروباغندا^(٦٦) . لكن في المرحلة اللاحقة تمكن الكردنل (أركولاني) محامي المدرسة المارونية والمنسيور (الجلياني) وكيهله من استعادة تنظيم مداخيلها . ومنذ عام ١٨٢٢ أخذت إدارة المدرسة تدفع للمدرسة البروباغندامبلغ أحد عشر سكودي شهرياً عن كل تلميذ من المدرسة المارونية يتعلم فيها . وفي فترة وصول مسعد إلى روما كان للمدرسة المارونية إدارتها المصغرة وكان التلامذة يتعلمون في المدرسة (الأوربانية) أو مدرسة البروباغندا ويعودون للنوم في غرفة واحدة ، وحفوظ على زيهم الإكليريكي وهو يختلف عن زي تلاميذ البروباغندا^(٦٧) . وكانت تجلب لهم كل احتياجاتهم ليكون كل ما في غرفتهم خاصاً بالمدرسة المارونية^(٦٨) .

لكن ماذا عن وضع مدرسة البروباغندا في الفترة التي تعلم فيها البطريرك بولس مسعد؟ . بعد المعاناة من السيطرة النابوليونية وبمواجهة سلطات الملوك ورغماً عنهم ، وبمواجهة حركة الإصلاح البروتستانتي ، وكذلك بمواجهة مدّ أفكار الثورة الفرنسية ، بادرت الكنيسة بالقيام بإصلاحات سياسية وخاصة لاهوتية . لقد استعاد المعهد الأورباني^(٦٩) حيويته الداخلية على مستوى التلاميذ وعلى مستوى الإدارة بعد تخطيطه للصعوبات الأولى . وما أعطاه دفعاً للتدخل من قبل الآباء اليسوعيين في إدارة المعهد ، ولذلك لم تأخذ المراحل التالية أي طابع خاص ، والحياة اليومية لم تخرج عن الطريق التي خططت لها من فوق . فالتلاميذ كانوا يقضون حياة إكليريكية عادية على ضوء نظام جدّد بإتقان بعد العام ١٨١٨ ، أكان ذلك في (بيازا دي سباجنا) أم في (ال غيانيكولو) أو في (تورّ روسا) . فمن بعد رجوع البابا بيوس السابع والكردنل المدير إلى روما أخذت الأمور تأخذ مجراها العادي ، وأخذ ينمو في النفوس الأمل في إعادة افتتاح المعهد

٦٥ . الخوري بولس قرألي ، لمعة تاريخية في المدرسة المارونية الحديثة برومية (١٨٩٠ — ١٩٢٧) مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٩ ، ص ١٣ . كذلك يراجع مقال د . جوزف ابونيرا (الظروف التاريخية لنشأة المدرسة المارونية الحديثة) في العدد الخاص من المنارة ، السنة ٢٥ ، ١ و ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٣٥ — ٣٥٤ . ٦٦ . من الجدير بالذكر ان الماسونيين قاموا عام ١٨١٣ ، مع هجوم الفرنسيين على ايطاليا بتحويل قاعة البروباغندا الى مكان لاجتماع الحفل الماسوني . وقد امتنع طلاب البروباغندا عن خلع اللباس الذي كانوا يلبسونه كما أمر الفرنسيون ، واستمروا بالتشبث بمدرستهم .

Sacrae Congregationis de Propaganda Fide Mermoria Rerum, Herfer, Rom-freiburg Wien, T. II, 1971, p. 297 - 298

٦٧ . « وكان هؤلاء التلامذة ثيابهم الرسمية درّاعة سوداء (قنّاز) وبنار مثلها مع رداء طويل وقبعة إكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني » . الأب لويس شيخو اليسوعي ، الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٣ ، بيروت ، ص ٧٧ .

٦٨ . الخوري بولس قرألي ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

٦٩ . هو نفسه مدرسة البروباغندا أو مدرسة مجمع انتشار الايمان .

٧٠ . هذه اماكن شهيرة في روما .

من قبل المنسيور (فيفس) . وهذا كان ممكناً فقط بعد إعادة ترتيب أمور البروباغندا^(٧١) . وفي السنة الأخيرة التي قضاها تلاميذ البروباغندا في بيت الآباء اللعازاريين في (مونتيسيتوريو) كان عددهم ١١ تلميذاً^(٧٢) .

في ٣٠ ك^٢ عام ١٨١٧ عيّن رئيس جديد للمعهد هو الكاهن العلماني : (ريموندو سيردومينيبي) (١٨١٨ — ١٨٣٠) ، وقد كان في الوقت نفسه رائد التعليم في مجال الحق القانوني . كما أن الأب (انطونيو بيرون) الكاهن العلماني ، والذي كان سابقاً معرّف الطلاب ، أخذ مركز الأب الروحي . ولم يستعد الآباء اليسوعيون إدارة المعهد الا عام ١٨٣٦ .

إن الانتشار العددي للمعهد أدى إلى مشكلة الأماكن أكان ذلك للطلاب أم لغرف التدريس ، خاصة وقد قصد المعهد تلاميذ من معاهد أخرى^(٧٣) . والمجموعة الأولى التي فتحت المعهد لأجلها كانت مؤلفة من ١١ تلميذاً لكن سنة ١٨٢٢ زاد العدد تدريجياً إلى أن بلغ ١١٠ تلميذ . ففي سنة ١٨١٨ كان العدد ٣٥ يتوزعون على الشكل التالي : الماني واحد ، إيرلندي واحد^(٧٤) والآخرين من البلقان والشرق الأدنى بينهم ٥ موارد . وفي عام ١٨٢٨ بلغ عدد التلاميذ ٧٨ بالإضافة إلى الخارجيين الذين كانوا يقصدون مدارس البروباغندا ولم يكن من بينهم إلا لاهوتي واحد و٣ فلاسفة . أما البقية فكانوا من طلاب الآداب .

أما على صعيد الحياة اليومية فقد دلت الأبحاث أن ثمة شبه كبير بين حياة المعهد آنذاك وحياة المعاهد لسنين خلت . فالحياة العقلية والفكرية ، والأعياد الكنسية ، والاحتفالات الفولكلورية كلها كانت معدة منذ سنين . الروزنامات كانت تطبع وكذلك البرامج ، وكان هناك وجود لحلقات فلسفية ولاهوتية ، وكان يدرس اللاهوت العقائدي في غرفة مزينة ببردايات حول الشبايك . والحياة الطقسية كانت منظمة بدقة توفر النضوج الروحي عند التلاميذ ، كما أن احتفالات معينة ، كانت تزيد الجو فرحاً وحيوية .

إن إدارة المعهد كانت تقوم بتغييرات تثير الإعجاب عند الطلاب ، كمثال تأمين المياه بطريقة أوفر ، إبدال الساعة الشمسية بأخرى أكثر تطوراً ، تعليق الخرائط الجغرافية على الحيطان مما يسهل على الطلاب معرفة بلدان بعضهم بعضاً . والأدلة على الفقر لم تكن قليلة كما أن الرسائل المجهولة أو المغلفة كانت تثير الاستغراب ، فكان يقرأها رئيس المعهد علنية على المائدة . إنما على العموم كان الطلاب يستنكرون ذلك . وثمة مشاكل تثار إذا قصد أحد الطلاب سكرتير المعهد

Litta, Pacca e Consalvi

٧١ . خاصة على يد الكرادلة :

٧٢ . لم يكن بينهم أي طالب من الشرق الأدنى .

٧٣ . في سنة الافتتاح عرض المهندس (بترولي) على الكرادلة ضم قسم المعهد بدير (سانت اندري) مما لم يقبل الاقتراح .

٧٤ . لما بيع بيت هؤلاء في القطاع الفرنسي استقبلوا لوقت معين في بيت رسالة موني شيتوريو ، وفي بدء سنة ١٨٢٢ ضموا موقتاً الى طلاب معهد اوربانو .

وليس الرئيس بالذات لتقديم بعض المطالب ، وتذكر الوثائق أن عدة أساتذة كانوا يحركون المعهد بطريقة تعجب وتسرع التلاميذ^(٧٥) .

أما بالنسبة للمواد التي كان يدرسها الطلاب ، فقد كانت الدروس اليومية تتناول اللاهوت الأدبي والنظري والسكولاستيكي والأخلاقي ، والكتاب المقدس والتاريخ الكنسي وعلم الجدل والليتورجيا وأسرار البيعة . بالإضافة إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية^(٧٦) .

إن قدرة البطريك مسعد وصبره على الانكباب على الدرس ، وتوقّد ذكائه غير العادي والثقافة الواسعة التي كان قد حصّلها في عين ورقة سمحت له ، كما تقول المصادر ، على أن يتفوّق بين زملائه في روما وبلغت أنظار القيمين عليه . ولا بدّ لنا في هذا السياق من الإشارة إلى دور أحد أساتذة المدرسة الأوروبية^(٧٧) اللبنانيين (متى شهوان) الذي كان صديقاً لمسعد والذي كان له تأثيره الواضح عليه ، في مجال الجدل الديني كما في مجال الفكر التاريخي^(٧٨) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المدخل التاريخي المختضب حول نشأة البطريك مسعد يحملنا على طرح العديد من الأسئلة :

١. ما هو تأثير التوجيه السلطوي في عين ورقة على شخصية البطريك مسعد؟ وما هو أيضاً تأثير الأجواء المشدّدة في المدرسة الأوروبية على تقوية المنحى السلطوي لديه؟
٢. متى بدأ يتقن الفرنسية؟^(٧٩) وهل قرأ فكر الثورة الفرنسية عند متابعتها لدروسه في عين ورقة أم في روما أم بعد ذلك؟
٣. هل اطلع على تيارات الفكر المسيحي الإصلاحية وبخاصة كتابات سان سيمون ولامنيه؟
٤. ما هو تأثير الصراعات التي كانت تحدث في المجتمع الإيطالي خاصة وفي أوروبا على عامة على فكره السياسي؟

Sacrae congregationis de propaganda fide memoria rerum, Herder, Rom-Freiburg . ٧٥
Wien, 1975, V. III/1, (1815 - 1971), p. 99 - 107.

وقد تفضل الأب د. سركيس الطبر والأب لويس خليفة بمساعدتي في ترجمة النص الإيطالي إلى العربية .

Sacrae congregationis de propaganda Fide, Memoria Rerum, T, II, op. cit., p. 293. ٧٦
et Solemnis Draemiorum distributio, Romoe, 1925, p. 17 - 20.

٧٧. كان يدرس اللغتين العربية والسريانية ، الأب لويس بلبيل ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، ج ٣ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧١ .

٧٨. هناك مخطوطة في دير الكرم لمتى شهوان تتضمن رداً على البطريك مظلوم قبل طبع كتاب « الدر للنظام » بعشرين سنة تقريباً .

٧٩. في كتابه « دحض رسالة فتح الله مراش الذي بها ينكر انبثاق الروح القدس من الابن » رومية ، ١٨٥٦ ، مطبعة انتشار الايمان ، ص ٣٥ أورد ما يلي : « فقد راجعناه (أي تاريخ الابائي فلوري) في المحلين المشار اليهما بحسب النسخة المطبوعة فرنساويا في مدينة بروكسل سنة ١٧١٤ » .

٥. هل قرأ جيو برني ومازيني ومانزوني وغيرهم من رواد الانبعاث الإيطالي؟.
٦. ما هي الأجواء العميقة لإجراءات نابوليون لإزاء البابوية كمؤسسة وبالتالي إزاء الكنيسة في نفسية مسعد؟ وكيف كان عليه تأثير الإجراءات العميقة ضد الإكليروس واحتلال الماسون لمقر البروباغندا لفترة من الوقت؟.
٧. هل إن مجمل هذه التحركات الثورية أوجدت في نفسه المزيد من التصلب في ربط الكنيسة بشؤون السياسة في الشرق بدلاً من انكفائها نحو الجوانب الروحية؟.
٨. ما هو أثر الإصلاحات التي أدخلها المصريون في سوريا ولبنان وفلسطين على موقف البطريرك؟^(٨٠).
٩. بل ما هو دور حركة الإصلاح «والتنظيمات» التي كانت تعرفها السلطنة العثمانية في هذه المرحلة؟^(٨١) وإلى أي حد كانت التحولات عميقة وبنوية في الوجه المدني والديني للشرق الأدنى بين العامين ١٨٣٠ و ١٨٦٢^(٨٢). وفي ضوء ذلك كيف استوعب مسعد هذه المتغيرات وفرض نفسه على لبنان المسيحي وعلى الدبلوماسية الأوروبية وعلى المبعوثين البابويين بدينايميكيته وبُعد نظره وحسن تنسيقه، وثقافته التاريخية العميقة؟.
١٠. كيف استفاد مسعد من عمله قرب البطريرك حيش في بركي، وإلى أي حد، من موقعه هذا، تمكن من رصد التناقضات العشائرية والمناطقية التي كانت تواجه الطائفة المارونية، فحاول مع البطريرك حيش أن يجمع عناصر هذه الطائفة في مشاريع توحيد^(٨٣) في مواجهة الأخطار التي تواجهها؟.
١١. واستطراداً ألم يلاحظ مسعد بدقة الصعود الاقتصادي والثقافي — وبالتالي السياسي —

٨٠. يمكن مراجعة مخطوطة البطريرك بولس مسعد: «تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة المصرية»، وهي موجودة في مكتبة نعمة يافت، الجامعة الأميركية، بيروت.

٨١. يمكن مراجعة كتاب

Stanford J. Shaw, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, V. II, Cambridge University Press London, New York; Melbourne, 1977, p. 55 - 171.

٨٢. ان الكنائس التوحيدية تحررت من الهيمنة الرسمية للكنيسة الاورثوذكسية واتجهت نحو نوع من التنظيم الداخلي المتصف بطابع الليتنة. في ٣ حزيران ١٨٣٤ أعلن الباب العالي، في فرمان اصدره أحد الكهنة الارمن الكاثوليك (أغوب ثوكوريان) رئيساً دينياً ومدنياً لكل الملل أو الكنائس الكاثوليكية للسلطنة. هذا الكاهن — البطريرك كان يمثل رسمياً الموارنة والملكيين، والسريان والكلدان الذين تم الاعتراف بهم شرعياً للمرة الأولى.

Joseph Hajjar, les Chrétiens Uniates du Proche-Orient, Ed., du Seuil, 1962, p. 264 - 265.

٨٣. يمكن مراجعة صك البطريرك حيش حول وحدة الطائفة، الشيخ طنوس الشدياق، اخبار الاعيان في جبل لبنان، ج ٢، مطابع سميا، ١٩٥٤ ص ٢٥٠ — ٢٥١.

للمؤسسة البطيركية في مواجهة القوى المنافسة داخل الطائفة ، أو خارجها ، فحاول
عند تسلمه لسدة المسؤولية عام ١٨٥٤ أن يرسخ هذه السلطة .
على قاعدة هذه الأسئلة الهامة يمكننا أن نلج إلى القسم الثاني من بحثنا وهو المتعلق بدور
مسعد في حركة كسروان ١٨٥٨ — ١٨٥٩ .



القسم الثاني

البطريك مسعد ومسألة السلطة في حركة كسروان (١٨٥٨ - ١٨٥٩)

لقد كتب الكثير من الدراسات حول حركة كسروان (١٨٥٨ - ١٨٥٩)، منها ما حاول أن يتصف بالطابع العلمي الموضوعي، ومنها ما صبغ بالطابع الإيديولوجي. ومن هذه الدراسات ما صدر في كتب أو مقالات خاصة ومنها ما صدر في سياق أبحاث مطولة أو تقارير. أبرزها على سبيل المثال لا الحصر:

- ما ورد في كتاب الحوري منصور الختوني^(٨٤).
- تقرير الكونت (بينتيفوغليو) قنصل فرنسا في بيروت إلى وزارة الخارجية الفرنسية^(٨٥).
- انطون ظاهر العقيلي، ثورة وفتنة في لبنان، نشرها وشرحها وعلق حواشيها يوسف ابراهيم يزبك^(٨٦).

Kerr, Malcolm H.; Lebanon in the last years of feudalism, 1840 - 1860: A contemporary by Antun Dahir al Aqiqi and other documents. American University of Beirut: Faculty of Arts and Sciences Publications, Orientale series, N° 33, Beirut, Catholic Press, 1959.

- Dominique Chevallier, Aspects sociaux de la Question d'Orient: aux origines des troubles agraires libanais en 1858. Annales: Economies, Sociétés, Civilisations, XIV, n° 1, 1959, pp. 35 - 64.
- Ye hoshua Porath, the revolt of 1858 - 61 in Kisrawan, Asian-African Studies, V. 2, 1966, pp. 77 - 157.

٨٤. الحوري منصور طنوس الختوني، المرجع السابق، ص ٣٢٩ - ٣٥٣.

٨٥. Adel Ismail, Documents diplomatiques et Consulaires relatifs à l'histoire du Liban, ٨٥ éd. des œuvres politiques et historiques, Beyrouth, 1978, pp. 161 - 169.

٨٦ منشورات مجلة الطليعة، ١٩٣٩.

- الأب فيليب الحازن، كسروان عبر التاريخ، المطبعة التعاونية اللبنانية، درعون حريصا، ١٩٧٠. عن حركة كسروان من ص ٥٧ إلى صفحة ١٧٥.

أ) سميليا نساكيا، الحركات الفلاحية في لبنان، المرجع السابق، خاصة الصفحات ١٧٧ — ٢٢٥.

Toufic Touma, Paysans et institutions féodales chez les Druses et les Maronites du Liban du XVII siècle à 1914, T. I, Publications de l'Université Libanaise, Imp. Cath. Beyrouth, 1971, pp. 259 - 272.

وبالرغم من أهمية هذه الأبحاث فإن المجال ما يزال واسعاً لمزيد من الدراسة والبحث حول هذه الحركة، وحسبنا الآن أن نتطرق، باختصار، إلى جانب من دور البطريك مسعد فيها، مستنديين إلى وثائق لم تنشر قبل الآن من أرشيف البطريكية المارونية^(٨٧). ماذا ورد في بعض الدراسات عن دور البطريكية المارونية؟

أ. الحوري منصور الحتوفي: عندما تحرك المشايخ الحازنيون (عام ١٨٥٨) ضد الأمير بشير أحمد لإقالته، «ولما بلغ مسامع غبطة البطريك بولس مسعد اجتماعهم وتنصيب وكلاء للقرايا وما أشبه ذلك فساء ذلك لإدراكه بأن هذه الأعمال يخشى من أن تأول لضررهم كالباحث على حقه بظلفه. فتدارك الأمر وطلب البعض منهم وأخذ يحذّرهم وينصّحهم ليقنعهم بالانكفاف عن هذه الأعمال والتهرب موضحاً لهم سوء العاقبة فلم يدعوا لنصايحه»^(٨٨). وعند اندلاع الحركة ضد المشايخ كان البطريك مسعد في دير مار يوحنا مارون وعندما عاد إلى بركي بدا عليه «إمارات الغم والاضطراب من جراء هذه الحركة»^(٨٩). وما لبث أن بادر إلى التشاور مع المطارنة «فأجمع رأيهم بأن مداركة الحال لمعاطة المصالحة والوفاق هو الأوفق. فمن ثم أخذوا يبحثون عن وجه يمكنهم إقناع الطرفين به»^(٩٠).

وبعد طرد المشايخ من كسروان يذكر الحتوفي أن البطريك حاق به «الحزن والشجن والقلق والاضطراب بداعي ما التحق بالمشايخ من الإهانة والأضرار»^(٩١). فطرح على قادة الفلاحين «الاتفاق مع مشايخهم على هذا الوجه وهو أنه ينتخبون مأموراً واحداً منهم على الثلاثة عهد

٨٧. لقد تفضل الأب الدكتور بولس صفيّر بالسّاح لنا بالاطلاع على هذه الوثائق فله شكرنا. من جهة أخرى يبدو أن بعض الوثائق التي نشرها المرحوم يوسف إبراهيم يزبك نقلت عن أرشيف بركي، فيها بعض التحريف لعدة وثائق.

٨٨. الحتوفي، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

٨٩. المرجع السابق، ص ٣٤٠.

٩٠. المرجع نفسه، ص ٣٤٠.

٩١. المرجع نفسه صفحة ٣٤٣.

لبتعاطى الأحكام وحده وباقي الخازنيين لا يكون لهم سلطة فأقنعهم بهذا. وعرض هذا الوجه على المشايخ فأبوا قبوله...^(٩٢). فأجابهم غبطته إن القبول بهذا الوجه الآن أوفق لتخمين الأمور وتسكين الهيجان». وعندما تخوف البطريك من إمكانية دخول العساكر العثمانية إلى كسروان، عرض ذلك لقنصل فرنسا فضغظ على خورشيد باشا، فتراجع^(٩٣).

ب. تقرير القنصل الفرنسي: تطرق التقرير في عدة أماكن لدور البطريك والإكليروس من الحركة فبعد أن يعرض مطالب الفلاحين يشير إلى أن «الإكليروس الماروني (هو) الأكثر تنوراً بين إكليروس سائر الطوائف الشرقية في سوريا، ويتمتع بتقدير واحترام عميق. وغبطة البطريك بولس مسعد ومطارنته، كان باستطاعتهم إيقاف التحرك في بدايته لولا غطرسة المشايخ الذين أعمت بصائرهم سيطرتهم السابقة، والذين قصروا في فهم أبعاد الخطر الداهم، فلقد رفضوا بشكل مطلق التراجع عن تصلبهم وإعطاء أي مطلب للفلاحين»^(٩٤). ثم يضيف التقرير: «ولما ازدادت ثقة الفلاحين بأنفسهم وتقبل غبطة البطريك للمطالب المطروحة، تعرض البطريك لاتهامات من قبل المشايخ بأنه ما انحاز إلى جانب الفلاحين إلا بسبب أصوله الفلاحية هو الآخر»^(٩٥). وفي مكان آخر من نفس التقرير: «غبطة البطريك تصور حينئذ أنه يجب عليه استعمال سلطته فوجه إلى الفلاحين، بأمل توقيف تحركهم، توبيخات وبعض التهديدات، وكما فعل المشايخ سابقاً اتهم الفلاحون البطريك بتأييد خصومهم، فوجد نفسه في موقف لا يحسد عليه ولا يمكنه من أية مبادرة»^(٩٦). وبعد أن يتطرق التقرير لتعرض بعض الأديار إلى إطلاق الرصاص بسبب اختباء بعض المشايخ وعائلاتهم فيها يقول: «الثورة كانت تنذر بالولوج إلى مرحلة جديدة بحيث تطل حزمة الإكليروس. ومما زاد الطين بلة غياب غبطة البطريك الماروني الذي استفاد من فترة الهدوء الظاهر في الشهر السابق ليقوم بزيارته السنوية إلى أبرشيته الخاصة في منطقة بشري»^(٩٧).

بعد تفاقم الوضع طلب القائمقام المسيحي من بونتيغوليو التدخل «وفي نفس الوقت طلب مني المطارنة وغبطة البطريك الماروني التدخل مباشرة في الموضوع. فقنصلية فرنسا كانت على الحياد منذ بدء الأحداث في كسروان، الأمر الذي فسره الفلاحون كمظهر رضى عما

٩٢. المرجع نفسه، ص ٣٤٤.

٩٣. المرجع نفسه، ص ٣٥٠.

Archives du Ministère des Affaires étrangères, Paris, Turquie, correspondance politique des Consuls, Registre n° 12, p. 4 (Verso) le 7 janvier 1860.

٩٤. تقرير القنصلية، المرجع السابق، ص ٥ (قفا كل الصفحة).

٩٥. المرجع نفسه، ص ٦.

٩٦. المرجع نفسه صفحة ٨ (قفا).

٩٧. المرجع نفسه. صفحة ٩.

يحدث» (٩٨). وبعد أن يذكر القنصل الفرنسي أنه عين السيد سان شافري من قبله — وهو الضليع في العربية والمطلع على شؤون الجبل — يحمل تقريره بالقول: «توصلت إبان هذين الشهرين إلى التقريب بين المشايخ والفلاحين وكل شيء يسمح لي بالأمل لاتوصل إلى حلحلة كاملة لدى زيارتي الأولى إلى غبطة البطريك الماروني العائد لتوّه إلى مقرّه الشتوي والذي يعاونني للوصول إلى هذا الهدف بنصائح وخبرته» (٩٩).

ج. انطون ضاهر العقيلي: يولي العقيلي أهمية كبرى لدور طانيوس شاهين في الحركة. أما بالنسبة لدور البطريك مسعد فيأتي على ذكره على نحو هامشي «ومقدام الجميع — يقول العقيلي — (١٠٠) كان طانيوس شاهين وكتّوه بك فأخذ المذكور يتحايل على المشايخ ليقمهم من كسروان فأحياناً «يدعي بأنهم أرادوا قتله وأحياناً يقول إنهم كبسوه في بيته وأطلقوا عليه الرصاص وأحياناً يسند قوله على قول السيد البطريك بولس مسعد الجالس يومئذ مع أن غبطته كان يضاد جداً هذا العمل لأن الكلّ رعيته وكان قصد طانيوس شاهين بذلك هو أن يضع العداوة بين المشايخ والأهالي...».

وفي مجال تقديره لثبات المشايخ المتوازنة على الإيمان المسيحي يقول (١٠١) «ولم حصل لا من عمومهم ولا من أفرادهم ما يخلّ بشرفهم الديني والزمني... مع انه كان يلوح في عقول البعض منهم ومن غيرهم أن ينبوع هذه الحادثة عليهم كان أكثر أسبابها من الإكليروس...». وبعد أن كلف يوسف بك كرم في الحكم من قبل فؤاد باشا، على أثر حوادث الستين يذكر العقيلي انه «صار بعض بواعث بينه وبين طانيوس شاهين فطلع إليه من جونه إلى ريفون. وصار طلق بواريد خفيف من دون أذية أحد... أخيراً هرب طانيوس شاهين ومن معه فحضر يوسف بك إلى ريفون وقعد في مدرسة ريفون وأمر في نهب بيت طانيوس شاهين فنهبوه وكلما فيه وطانيوس ولّى الإذبار خفية» وقيل إن ذلك كان برأي غبطته لأجل بعض بواعث (١٠٢).

د. دومينيك شفالیه: وصف هذا الباحث الفرنسي دور الإكليروس في مطلع الحركة، بأنه دور تأجيلي (١٠٣). لكنه لا يلبث أن يصف البرنامج الإصلاحى المقدم من القرى بأنه برنامج ملائم للإكليروس الماروني للتخفيف من نفوذ منافسيهم المشايخ. «وان كهنة القرى شاركوا فعلياً

٩٨. المرجع نفسه

٩٩. المرجع السابق ص (١٠ قفا).

١٠٠. انطون ضاهر العقيلي، المرجع السابق، ص ٨٤.

١٠١. المرجع نفسه، ص ١٣٦.

١٠٢. المرجع نفسه، صفحة ١٣٥.

١٠٣. دومينيك شفالیه، المرجع السابق، ص ٦٢ — ٦٣.

في صياغة هذا البرنامج الموجه إلى البطريك^(١٠٤). ولكن يبدو أن التحركات الثورية التي حصلت تخطت بكثير الحدود التي تصورها الإكليروس^(١٠٥).

هـ. توفيق توما: يؤكد توفيق توما في كتابه الرصيف على دور الإكليروس ومصلحه في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)^(١٠٦). فبالإضافة إلى القوة الاقتصادية للكنيسة فإنها تتمتع وحدها بالعناصر المثقفة في القرى. وإن مشاركة الإكليروس من كافة المراتب وتضامنه، تفسر إلى حد كبير التنظيم والهرمية والفعالية للحركة منذ بدء انطلاقها^(١٠٧). ويسوق الأستاذ توما جملة أسباب منها وقوف المشايخ الخازنيين إلى جانب سياسة «بريطانية البروتستانتية»، وطموحات عائلة البطريك مسعد «أل المشروقي» في الصعود، وكذلك حقد البطريك الشخصي للإهانة التي أوقعها لإحدى الشقيقات الخازنيات بوالدته بسبب لباسها للطنطور يوم عرسها. ويعتبر الأستاذ توما أن عمل البطريك في الحركة هو عدم تدخله لايقافها، وبما يدل على تعاطفه مع الفلاحين هو اقتراحه بانتخاب شيخ واحد من قبل المشايخ والشعب حاكم من العوام ينتخب من قبلهم، الاقتراح الذي رفض من قبل المشايخ ووفق عليه من قبل الفلاحين^(١٠٨).

و. الأب فلييب الخازن: يحاول أن يفند مجمل الكتابات التي تشيد بمواقف طانيوس شاهين ويدافع عن مآثر العائلة الخازنية وإذا تطرق لموقف البطريك مسعد في الحركة، فلكي يشير إلى عطفه على عائلة آل الخازن.

ز. أ — سميليا نسكايا: لاحظت هذه المؤرخة الروسية أن «غالبية الأساقفة الموارنة في منتصف السنوات الخمسين لم تكن تنتسب للأرستقراطية الإقطاعية. ولذا ذكر بأن بولس مسعد الذي تلقى ثقافته الدينية في روما، والذي كان يتحدث بثان لغات كان يعود بأصله إلى أسرة الفلاحين... وكانت الكتلة التي رشحته والتي يتمتع طوبيا عون بنفوذ كبير بين أفرادها، تشاطره موقف المعارضة إزاء الأرستقراطية الإقطاعية. وكان رجال الدين يرمون إلى التضييق على الأرستقراطية الإقطاعية في المجال السياسي. كما ضيقوا عليها في مجال ملكية الأرض^(١٠٩). وفي مجال عرضها لرد البطريك على طلب المشايخ الخازنيين بالتدخل تقول: «وأخبر المشايخ البطريك الماروني بما حدث آملين أن يستعمل البطريك سلطته الدينية في صالحهم ولكن البطريك اقتصر على إجابتهم بأنه أنعم بسبب ما حدث وأنه يخشى أن يؤدي الأمر إلى «تبلبل الجبل» ودعا المشايخ إلى التبصر في مغزى هاتين الحادتين وأخبرهم بأنه سيحضر سريعاً إلى طرفهم للمفاوضة. ويبدو أن

١٠٤. المرجع السابق، ص ٦٣.

١٠٥. المرجع نفسه، ص ٦٣.

١٠٦. توفيق توما، المرجع السابق، ص ٢٦٢ — ٢٦٦.

١٠٧. المرجع السابق، ص ٢٦٣.

١٠٨. المرجع نفسه، صفحة ٢٦٤.

١٠٩. أ. سميليا نسكايا، المرجع السابق، ص ١٨٧ — ١٨٨.

البطرك قد فوجيء بالأمر ولم يحدد بعد خط العمل الذي سيتبعه . وبعد فترة قصيرة عزم البطرك على أن يلعب دور الوسيط السامي شكلياً لكي يصون سلطة الكنيسة ويحتفظ بنفوذه بين الفلاحين^(١١٠) .

وتميل سميليا نسكايا الى التقليل من دور رجال الدين في الحركة فتقول : « واضطر البطرك بعد فشل رسوليته^(١١١) الى عقد المجلس البطرقي الذي توصل الى رأي مشترك بضرورة بذل الجهود لانهاء الخلاف بسبل سلمية . وكانت كل الظواهر تدل على القلق الشديد الذي استولى على كبار رجال الدين . (وهذا يناقض بوضوح الزعم المنتشر في كتب التاريخ بأن رجال الدين كان لهم ضلع في التحريض على العصيان)^(١١٢) . بل انها تذهب الى أن البطريرك مسعد فشل في اقناع المتمردين بحل وسط ، فحاول « والقنصل الفرنسي الضغط على شاهين » . وتربط هذا الضغط بما رواه شاهد عيان : « البطرك الماروني بعد أن شاهد ما يهدد النظام الاجتماعي في الجبل أخذ يقوم بالناورات لابعاد طانيوس شاهين من كسروان »^(١١٣) . وتخلص سميليا نسكايا الى القول : « في نهاية عام ١٨٥٩ أخذت المفاوضات بين المتمردين والبطرك تدور في حلقة مفرغة وفشلت بهذا محاولات كبار رجال الدين لوضع الحركة تحت اشرافهم ، والأدهى من هذا أن الحركة كانت آخذة في التوسع . وربما كان هذا ما جعل رجال الدين يفكرون بتأريث نار العداء من جديد بين الدروز والموارنة لاستغلال الفرصة واثارة الصدامات ودفع فلاح كسروان للاشتراك فيها »^(١١٤) .

يهوشع بوارث :

يعرض بوارث^(١١٥) ما كتب المعاصرون عن دور الاكليروس فيرى أن أغلب المصادر المعاصرة أكدت على مسؤولية الاكليروس الماروني في انتفاضة كسروان . والاستثناء الوحيد كان (بوجولا) الذي يميل ميلاً شديداً في كتاباته نحو الكنيسة الكاثوليكية والمارونية بشكل خاص والذي يحمل السلطات العثمانية وحدها مسؤولية انتفاضة كسروان . ويرى بأن الكهنة هم أهل سلام ولا يجرسون على الحرب . لكنه كان مستعداً للاعتراف بأن موقف البطريرك الماروني لم يكن واضحاً في كل مرحلة من مراحل الانتفاضة . بل كان موقفه نتيجة اتجاه انساني لمداواة الجميع ولم يكن نتيجة لنية متعمدة في استعمال الانتفاضة لمصلحته الخاصة . وفي مقابل هذا

١١٠ . المرجع السابق، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

١١١ . الى أهالي النوق .

١١٢ . أ. سميليا نسكايا، المرجع السابق، ص ٢٠١ .

١١٣ . المرجع السابق، ص ٢١٧ ، نقلاً عن (سوفينير دي سيرى) صفحة ١١ .

١١٤ . المرجع نفسه، ص ٢٢٥ .

١١٥ . بوارث، المرجع السابق، ص ١٣٧ — ١٤٦ .

التحليل يعبر عدد كبير من الكتاب عن وجهة نظر معاكسة تماماً. فادواردز المعروف بموقفه المعادي للإكليروس «يتم اليسوعيين بئد عوامل الاضطراب اينما كانوا»، وبالتالي يتهم الكنيسة المارونية بتسليح الفلاحين ضد أسياهم التقليديين وبإشاعة المشاعر الديمقراطية بينهم من أجل تدمير الأمراء والاعيان والسيطرة على ادارة القائمة المسيحية. وفي رأيه أن الحكومة يمكنها أن لا تقضي على الانتفاضة إذ أن ايديها مكبله بنظام شكيب أفندي ولا يعقل أن يكون لها دور في التحريض على الانتفاضة. كذلك يؤكد مصدر درزي أن ثورة كسروان لم تكن أكثر من عمل للإكليروس الماروني في اطار سياسته الايلة الى زعزعة حكم الاريسقراطية القديمة والسيطرة على السلطة. كذلك فإن عملاً صدر فيما بعد ويمكن اعتباره نشرة عثمانية شبه رسمية يعتبر أنه من الممكن وجود تعاون بين الاكليروس والسكان في أوائل الانتفاضة من أجل اضعاف قوة المشايخ الاقطاعيين. وكان رأي القنصل البريطاني أن الاكليروس الماروني واللاتيني قد قام بمساعدة الانتفاضة وقدم لها المال. كما يقول العقبي أن طانيوس شاهين كان محمياً من قبل رهبان اللازاريين الفرنسيين. ولا يختلف رأي الكتاب الذين لهم موقف ايجابي من الاكليروس كثيراً. فقد وصل كاتب لبناني لاحق (بولس نجيم) الى نفس الاستنتاج: لقد دعم الاكليروس في المرحلة الأولى الفلاحين من أجل الحلول محل الاقطاع. لكن أهم من ذلك كله شهادة شاهدين فرنسيين معاصرين، موقفها متعاطف مع الاكليروس الماروني وهما:

لويس فيليب (كونت باريس) وبانتيفوغليو (القنصل الفرنسي في بيروت أيام الانتفاضة). يكتب الأول حول موقف الاكليروس من الانتفاضة فيقول: «لقد شكك بالاكليروس واتهم بدعم الانتفاضة. ولعل قيادات من الاكليروس المنبقة بأكثريتها من الشعب قد رأت في الانتفاضة وسيلة لتخفيض شأن النبلاء (يعني المقاطعية) الذين يغارون منهم، ويسعون لاعادة القبض على سلطة بدأت تفلت من أيديهم. وقد عبر القنصل الفرنسي بشكل أوضح عن هذه القضية قائلاً: «ساقصر على ايراد الملاحظة بأن دور الاكليروس في هذه الحركات كان قليل الانسجام مع دوره في ترسيخ السلام. لقد اراد الاكليروس أن يسيطر على الوضع ويحل محل الاريسقراطية، ويقود جميع الاعمال». وفي تقرير آخر يقول القنصل بوضوح أن انتفاضة كسروان وطرد مشايخ آل الخازن خارج مقاطعتهم هي اخداث مرتبطة بشكل وثيق بهذا النوع من المؤامرة التي حاكها الاكليروس.

هذا التضافر الملفت للآراء هو الأكثر دلالة إذ أن المصادر متنوعة وكذلك موقفها من الكنيسة المارونية لبس متطابقاً. لكن هناك ضعف وحيد في كل هذه المصادر، فكل الاتهامات الموجهة ضد الكنيسة المارونية مساقاة بشكل عام وبدون أمثلة ملموسة تسلط الاضواء على مساعدة الاكليروس لانتفاضة الفلاحين.

ويستتج بوارث أن الكهنة كان لهم الدور البارز في قيادة الانتفاضة إبان المرحلة الأولى ولكن بعض القرى. ثم كان لهم الدور التوفيقي في المرحلة الثانية.

ومن جهة أخرى يذكر ان البطريك مسعد وبعض الكهنة اعطوا طانيوس شاهين مظاهر سلطوية بهدف اعلاء شأنه بالنسبة للفلاحين.

وبشكل عام فإنه يرى أن الاكليروس قد اعطى دعماً للانتفاضة ولكن بشكل خاص للجناح المعتدل فيها. كما أن أهم نشاط قامت به الكنيسة — في رأيه — هو محاولة التوفيق بين المشايخ والفلاحين.

بعد هذا العرض الموجز لبعض ما ذكر عن موقف البطريك مسعد في حركة كسروان هل لنا الآن أن نتقل الى عرض وجهة نظرنا في هذا المجال ؟ لكن قبل ذلك سنتوقف عند سؤالين :

١. ماذا نفهم بالسلطة : ثمة باحثون كثير تناولوا مفهوم السلطة من منطلقات علمية متنوعة. فبعضهم^(١١٦) يرى أنها نمط معين من العلاقات الاجتماعية ، وهي تفترض امكانية ارغام الآخرين على الانتظام في نظام معين من العلاقات بين الافراد والجماعات. انها ظاهرة مسلم بها في كل مجتمع انساني ، حتى البدائي منه ، وهي تكون عادة في خدمة نسيج اجتماعي معين. ثم انها تتخذ شكلها وتقوى تحت ضغط الاخطار الخارجية المحتملة أو الفعلية ، وهي تحاول أن تعطي المجتمع الادوات والأساليب التي تسمح بتأكيد التماسك الداخلي وابرار « شخصيته ».

لقد عرّفها بأنها « المقدرة » ضمنية كانت أو مكتسبة ، من أجل ممارسة السطوة أو الهيمنة على مجموعة ، وهي مظهر للقوة وتتضمن الطاعة من قبل المجموعة الخاضعة لها^(١١٧).

اما (ماكس ويبر) فقد عرّف السلطة على أنها « ضرورة الزامية في التنسيق بين فئتين بمعنى أن هناك مصدراً معيناً يعطي اوامر محددة تفرض على مجموعة معينة من الأشخاص طاعتها . هذا يعني أن ضمن فئة اجتماعية يفترض أن يكون هناك تناسق بين الأوامر والطاعة . أي أن الفرد يخضع بملء ارادته الى حد أدنى من الأوامر الصادرة عن سلطة معينة^(١١٨) . وانطلاقاً من ذلك يفترض (فيبر) ان الشرعية تكمن في أساس كل سلطة ، وان هناك ثلاثة انواع :

— السلطة التقليدية المرتكزة على التسليم بقديسية التقاليد القديمة . والشرعية في هذا الحال تكون مستمدة من الله أو من الأسر المالكة ، وفي هذا السياق يلعب رجال الدين دوراً بارزاً في المجتمعات ذات الصبغة الدينية .

١١٦. Georges Balandier, Anthropologie politique, P.U.F, 1967, pp. 42 - 44.

١١٧. مقال لفريدة ابو عز الدين ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٣٣ — ٣٤ ص ٣٢. نقلاً عن

Encyclopedia of social sciences, p. 319.

١١٨. المرجع السابق ، ص ٣٢ نقلاً عن :

Max Weber, the theory of social and economic organization, New York, the free press, 1947, p. 32.

١١٩. الاب بطرس فهد ، تاريخ الرهبنة المارونية ، ج ٧ ، مطابع الكرم جونية ، ١٩٦٨ ، صفحة

٤٦٧ — ٤٦٨.

- السلطة الأسطورية وهي التي تركز على انسياق الشعوب لابطال معيّنين في فترة تاريخية معيّنة (نابوليون ، هتلر ، غاندي ...).
- السلطة العقلانية — القانونية : وهي بنت الدولة في مفهومها المعاصر ، حيث هناك سيادة الدستور والقانون المنبثقان من ارادة الشعب .

٢. ماذا عن شخصية البطريك مسعد وهل يمكن أن تكون طموحة للسلطة ؟

لقد ترك لنا العديد من المعاصرين أوصافاً وذكريات تعطي بعض الملامح عن شخصية هذا البطريك . فجيرابيل القرداحي وصفه قائلاً^(١١٩) . «شيخ قصير القامة ، قوي البنية ، رقيق الحاجبين ، جميل اللحية والعارضين ، أبيض اللون ، مهيب المنظر ، نقي الجيب ، متوقد الفؤاد ، صحيح الفكر ، ثاقب الرأي ، أبي يؤثر المنيّة على الدنيّة ، متين الوداد ، طويل الباع في علوم كثيرة ولا سيما في التاريخ ، وكفى بكتابه الدر المنظوم شاهداً ، خبير بفنون السياسة ، يضع كل أمر موضعه ، حكيم متدبر لا يأتي من الأمور الا ما استطاع اليه سبيلاً ... قليل الكلام محكمه مأمون التنديد» .

أما رشيد الشرتوني فقد قال عنه : «وكان من البارعين في الرسوم البيعية ولا سيما في الحق القانوني وفي التاريخ وخاصة فيما يتعلق منه بتواريخ الطوائف الشرقية»^(١٢٠) .

عام ١٨٥٤ «اجتمع الاساقفة في بكركي وانتخبوا (مسعد) بالصوت الحي واجماع الرأي»^(١٢١) . بطريكاً ، اذن ثمة شرعية اجاعية من داخل المؤسسة الدينية نالها البطريك الجديد . على أثرها انتقل الى تثبيت قبضته الايديولوجية على المجتمع ، فبادر للدعوة الى عقد الجمع البلدي . وان عرضاً سريعاً لابرز مقررات هذا الجمع تبرهن بوضوح المنحى السلطوي لديه .

- فالجمع «قد حكم بوجود السهر الدائم على حفظ وديعة الايمان هذه ، والتوصي للجميع ، ولا سيما الكهنة ، ولكل المتقلدين الاهتمام بالانفس ، ليحترسوا من أن ينساب أحد من الاعداء المخالفين للكنيسة الرومانية المقدسة ، التي هي أم جميع الكنائس ومعلمتهن ، في المحلات القاطن بها بنو ملتنا»^(١٢٢) .

- رفض معاشرّة (المبشرين الانجيليين) واعتبارهم كذئاب خاطفة ، يجب اخراجهم وعدم اقتناء كتبهم ورسائلهم الحاوية على تعاليم باطلة وكاذبة واقاويل مشكّكة^(١٢٣) .

١٢٠ . سلسلة بطارقة الطائفة المارونية الطيّب الذكر البطريك اسطفان اللويهي الاهدني عني بنشرها وتعليق حواشيا رشيد الخوري الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٢ ، صفحة ٩٥ .

١٢١ . المطران يوسف الدبس ، المرجع السابق ، ص ٧٥٤ .

١٢٢ . الأب بولس مسعد ، الجمع البلدي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٩ .

١٢٣ . الا يمكننا التساؤل عن مدى تأثير الثقافة المتشددة التي تلقاها مسعد في عين ورقة وخاصة في روما في مثل هذه المقررات الصارمة في مجابهتها للفرق الانجيلية ؟

- من تجاسر على عمل الخلاف يسقط بذات الفعل بالحرم الكبير المحفوظ حله لسلطان السيد البطريك الكلي الغبطة .
- والمجمع أيضاً فرض على أساقفة الرعايا فحص الكتب بحيث لا « يتجاسر أحد ، ويشهر تأليفاً مرتباً منه ، أو منقولاً منه من أية لغة كانت خطأ أم طبعاً بأي موضوع كان ، وبأي لغة كانت ، ولو مهما كان صغير الحجم قبل أن يعرضه على أسقف الابريشية لأجل فحصه ، ونوال الاذن منه باشهاره خطياً أم طبعاً (١٢٤) » .
- كذلك اتخذ المجمع قراراً بإنشاء مطبعة بأحرف عربية (١٢٥) . وبالطبع تكون هذه المطبعة اداة في الصراع الايديولوجي الذي تخوضه المؤسسة الدينية ضد الاخطار الخارجية والداخلية المهددة لها .
- كما ضبط المجمع مسائل الصوم والاعياد وربطها « بسلطان السيد البطريك الكلي الغبطة » . بعد انجازه « المجمع البلدي » انتقل البطريك لاحكام سلطته على المؤسسة الكنسية . فلقد كانت الرهينة قوة اقتصادية وثقافية ودينية صاعدة ، وكان هناك بعض التنافس بين الأساقفة والرهبان على رعاية الابريشيات (١٢٦) . ولقد استغل البطريك مسعد بعض المصاعب الداخلية التي كانت تمر بها الرهينة البلدية ففرص ، بالتنسيق مع روما ، قيادة جديدة على الرهينة : «... نحتم عليكم الحتم الجازم بكلمة الرب العزيز سلطانها بأنكم عند اطلاعكم عليها أو بلوغ فحواها اليكم تبادرون حالاً الى تقديم الطاعة التامة للرئيس العام والمديرين الذين تسموا موقتاً على رهبتكم ... كما أننا نناشدكم بالرب بأن تكونوا مستكنين بالهدوء والسلام ... ومبتعدين كل الابتعاد عن كلام من شأنه أن يوجب القلق والسجس في الرهينة (١٢٧) » .
- وكذلك الأمر بالنسبة للرهينة الحلبية ، فقد عين البطريك مسعد ، في اطار الفترة نفسها القس جبرائيل العجلتوني ، رئيساً عاماً ومديرين ورؤساء اديار بعد تأخر انعقاد مجمع هذه

١٢٤. الأب بولس مسعد ، المرجع السابق. ص ١٦ .

١٢٥. « في السنة ١٨٥٥ اشترى الرؤساء مطبعة من اوروبا مجهزة بالاحرف العربية والسريانية والافرنجية وبكل ما يلزمها من مصب احرف وآلات للصرم والتجليد والقطع . وبلغ ثمنها ٧٥ ألف قرش . وكان ذلك عن يد السيد ابراهيم بك الديراي طبيب العسكر العثماني . ووضعت هذه المطبعة في دير سيدة طاميش . ثم مطبوعاتها : اللاهوت الأدبي للقديس ليكوري ، لسد حاجات الكهنة وكتاب دحض الارطقات له ايضاً . ثم كتاب الدر المنظوم للسيد البطريك بولس مسعد والشجيمة الكاملة لتعليم اللغة السريانية وغير ذلك » .

الأب لويس بلبيل ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

١٢٦. راجع المذكرة المقدمة من الرهينة الى رومية تطالب فيها السماح لرهبان الاديار بممارسة الاعتراف والمناولة « للعالمين » . الأب لويس بلبيل ، المرجع السابق ، ص ١١٦ — ١١٨ .

١٢٧. الأب انطونيوس شلي اللبثاني ، الآثار المطوية ، ج ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٢٨ .

الرهبة^(١٢٨). كما أن الرهبة الانطونية هي الأخرى كانت تمر في هذه الأثناء بأزمة داخلية تم حلها بالتنسيق بين روما والبطريركية^(١٢٩).

وما يعزّز طرحنا في أن البطريرك مسعد يريد احكام سلطته على المؤسسة الدينية هو قيامه اثناء تولّيه سدة البطريركية بتعيين العديد من اقاربه أساقفة على الطائفة. فقد رقي اخاه بطرس الى أسقفية حماه الشرفية ونيابة البطريركية وابن عمه يوسف مسعد الى أسقفية عكا الشرفية وابن أخيه بولس الى أسقفية حماه الشرفية بدمشق ونسيبه البعيد يوحنا الحاج الى أسقفية بعلبك^(١٣٠). بعد أن أحكم البطريرك مسعد سلطته على ايدولوجية المجتمع من خلال الجمع البلدي ، وبعد أن طوع المؤسسة الرهبانية من خلال تدخله المباشر في شؤونها انتقل الى المجال السياسي . من المسلم به عند أغلب الدارسين ان البطريرك الماروني ، من الوجهة التاريخية لم يكن رئيساً روحياً فحسب ، بل كان في أغلب الاحيان رئيساً روحياً ومدنياً . لكن مرّت فترة خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، تصاعدت فيها سلطة «أهل المناصب والاعيان» من الاقطاعيين على حساب سلطة البطريرك الزمنية . ولكن منذ مطلع القرن التاسع عشر أخذ دور البطريركية يتزايد بسبب جملة عوامل متشابكة ، الحثا الى بعضها في مقدمة البحث^(١٣١) . لكن علينا أن نذكر أن الخط المهابوني أكد على ضرورة تخصيص «ايرادات معينة الى البطاركة ورؤساء الجماعات» ، كما نص على ضرورة «ادارة المصالح المالية المختصة بجماعة المسيحيين وباقي التبعة الغير المسلمة لحسن محافظة مجلس مركب من اعضاء منتخبة فيما بين رهبان كل جماعة وعوامها» ، وأكد الخط على أن «الدعاوى الخاصة مثل الحقوق الارثية فيما بين شخصين من المسيحيين وباقي التبعة الغير المسلمة ، فتحال على أن ترى اذا ارادت اصحاب الدعوى بمعرفة البطريرك أو الرؤساء والمجالس ...»^(١٣٢).

هذه العوامل المتشابكة ، بالاضافة الى شخصية مسعد التي صقلت في ثقافة عين ورقة وروما ، أمنت الظروف المؤاتية ليمارس مسعد مواجهة تضعف المشايخ الخازنيين.

١٢٨. الأب بطرس فهد ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، ج ٦ ، مطابع الكريم ، جوبه ١٩٦٩ ، صفحة ٣٥.

١٢٩. أقيل الاب شاول الاسمر وعين مكانه الأب فيلبوس الحاج بطرس ، الابائي ايرونيوموس خير الله ، تاريخ موجز للرهبانية الانطونية المارونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جوبه ، لا تاريخ ص ٢٥ .

١٣٠. الدكتور اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٣ ، صفحة ٣٠١ .

١٣١. مما جاء في الخط المهابوني الصادر عن السلطان العثماني عام ١٨٥٦ : «يلزم أن تحصل المبادرة فقط الى رؤية امتيازات كل جماعة من المسيحيين والتبعة الغير المسلمة ومعاينة امتيازاتهم الحاصرة بظرف مهلة معينة وتحصل المداكرة في اصلاحاتها التي أوجبها الوقت وأثار التمدن والمعارف المكتسبة في مجالس مخصوصة لتشكل في البطريركخانات بارادتي واستحسنائي الملوكي» ...

١٣٢. يمكن مراجعة النصوص الكاملة لخط كلخانة وللخط المهابوني وللعديد من القوانين العثمانية في : «الدستور ، ترجمة من اللغة التركية الى العربية ، نوفل افندي . نعمة الله نوفل ، المجلد الأول ، المطبعة الأدبية في بيروت ، ١٣٠١ ص ٥ — ١١ .

ان الأطروحة التي نحاول البرهان عليها تختصر بما يلي :

ان البطريك مسعد كان بصدد ترسيخ شرعيته المدنية وشمول سلطته الاجتماعية على مجموع الطائفة ، بعد أن حسم بسهولة « واجماع الرأي » أمر شرعيته الدينية . ولقد كانت حركة الفلاحين التي اندلعت عام ١٨٥٨ ، في كسروان ، مناسبة لتطويع القوى الاجتماعية (مشايخ آل الخازن خاصة) التي يمكن أن تشكل عامل معارضة محتمل لسلطته (١٣٣) . اننا لا نحاول الزعم بأن البطريك خلق حركة الفلاحين ، فالأحداث — لا سيما الهامة منها — لا تكون نتاج شخص مهما سمته أهميته . بل اننا نزعج أن البطريك استغل مسار هذه الحركة للوصول الى هدفه . ما هي الأسانيد التي يمكن أن نركز عليها في ما نذهب اليه ؟

١ . بعض النصوص التي تعود الى معاصري الفترة :

إذا كان الختوني متعاطفاً مع المشايخ الخوازنة في كتابته لتاريخ الحقبة ، وقد حاول في ضوء ذلك أن لا يبين الموقف الحقيقي للبطريك ، فإن هناك العديد من معاصري الحقبة الذين سلطوا الاضواء بوضوح على الموقف الفعلي للبطريك .

أ . قال جرجس بك صفا : « عرفت البطريك بولس جيداً جيداً ولمست كرهه لرجال الاقطاع لمس اليد . فلطالما حدثني عما جرى لوالدته في كنيسة عشقوت عندما ذهبت لاستماع القداس الالهي لأول مرة بعد زواجها . قال البطريك ما كادت والدتي العروس تستقر في مكانها في الكنيسة حتى تقدمت منها شبيخة من شيوخات الخوازنة ولطمتها على خدها قائلة ان هذا الذي هو ليس لك فاذهبي واستبدليه . قال جرجس بك وعلى الرغم من مرور ثمانين سنة على هذا الحادث بقي البطريك يردده مثلاً » — ويضيف أسد رستم (١٣٤) — وما زاد في الطين بلة ، انه عندما توفي البطريك يوسف حبش سنة ١٨٤٥ واجتمع المطارنة في مي فوق لانتخاب خلف له ، مال أكثرهم الى المطران بولس مسعد . وكاد يفوز بالمقام البطريكي لولا تدخل الخوازنة والحاحهم بوجوب انتخاب المطران يوسف الخازن . وما رواه جرجس بك صفا أيضاً أن البطريك بولس بعد أن تبوأ العرش البطريكي رفض كل الرفض أن يرتدي الخلعة التي اعتاد الخوازنة أن يخلعوها على البطريك . وكاد رفضه يؤدي الى أزمة طائفية لولا تدخل اصدقائه والحاحهم عليه بقبولها . ففعل مكرهاً وعلق الفروة على « السكينة » دون أن يرتديها مرة واحدة طوال مدة رئاسته . ولا يغيب عن البال أن البطريك سكت عن قيام الفلاحين على أسيادهم في كسروان قبيل الحركة الكبرى وانه طمع في حكم لبنان سنة ١٨٦٠ فكان ما كان ولم ينل ما توشى » .

١٣٣ . يجب التذكير بما ورد في « المقاطعة الكسروانية » عن رفض المشايخ الخوازنة عن الاستمرار في التحريض ضد بشير احمد رافضين الاذعان لنصايحه . الختوني ، المرجع السابق ، صفحة ٣٢٨ .
١٣٤ . الدكتور اسد رستم ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

ب — قال الشيخ اسعد بولس (١٣٥) : « وحدثت حركة بين أهل كسروان ومشايخهم بيت الخازن . لأن الفلاحين ابوا أن يعطوا المشايخ حاصلات أملاكهم ، فضاقت الحيل ولا حكومة هنالك تضبط الأمور لأن الأمير بشير أحمد تعطلت احواله . وتوجه جماعة من المشايخ يريدون الاعتداء على البطريك ، لأن الحركة نسبت اليه . واجتمع رجال كسروان في بكركي وهاجوا على مشايخهم ، اذ قصدوا الاعتداء على البطريك الذي أصبح في موقف حرج . فأرسل بنى يوسف بك كرم بالواقع ، وكان البك يومئذ في بيروت ، ونحن بمعيتة ، فأمر للحال بالاستعداد وسار بنا الى الكرسي البطريكي ... » .

ج . جاء في مذكرة رفعها يوسف كرم الى الكنيسة المقدسة وفرنسا (١٣٦) : « ... فتلاً لهذه الأخطار ، قد ندبني الكهنة والمشايخ والاعيان في المقاطعات الخمس الشمالية ، ان امثل لدى البطريك بولس مسعد ، وارجو منه باسمهم وباسمي أن يستخدم سلطته ، ويحكم في الخلاف الحاصل بين مشايخ كسروان واهليه ، بموجب الشرائع الكنسية طبقاً لما كان يخوله من الحقوق ، استقلال لبنان .

فسرت حتى بلغت الكرسي البطريكي ، حيث وجدت جماعة من مشايخ ووجوه كسروان يسألون السيد البطريك الحكم في أمر الخلاف الحاصل بينهم . فاغتنمت الفرصة السانحة ، واعلنت لغيبته الغاية من رسالتي ، ونهت الحزبين الى الاخطار التي تهدد نصارى سوريا عموماً ، وأوضحت لها عزم موارنة الشمال على دعوة الجميع الى توقيع شرائع الكنيسة ومراعاة حقوق العباد ، كي لا يتمكن أحد من تشويش الراحة . ثم رجوت من البطريك أن يقول كلمته بشأن الحزبين ، حتى اذا اتحدنا نستطيع أن نقاوم كل خطر يداهنا من الخارج . فأجابني انه لا يقدر أن يقول شيئاً بهذا الخصوص ... ثم عرفت بعد قليل ان الباشا (خورشيد) والأمير بشير أحمد أي اللع قائمقام النصارى يومئذ كانا قد اتفقا على إقناع المشايخ بأن يتخلصوا من البطريك اذا شأوا المحافظة على مراكزهم ، وتيسير الاهلين على أن يتخلصوا من المشايخ اذا ارادوا الحصول على حريتهم » .

د . من رواية للدروز عن حوادث لبنان (١٣٧) : « لما انتخب المطران بولس مسعد بطريكاً ... أخذ الأساقفة ... يجلبون في تقويض سيطرة اولئك الزعماء وتقليص ظل نفوذهم

١٣٥ . الحوري اسطفان فريجة الشعلاني ، لبنان ويوسف بك كرم ، ط ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥٤ ، نقلاً عن مذكرات اسعد بولس المخطوطة .

١٣٦ . اوردها سمعان خازن في كتابه يوسف بك كرم قائمقام نصارى لبنان ، مطبعة المرسليين اللبنانيين ، ١٩٥٤ ، ج ٦٩ ، ص ٦٩ .

١٣٧ . هذا جزء من عريضة سلمها مشايخ الدروز الى مراسل التيمس الخصوصي ، وقد رفعها هذا الاخير الى اللورد روسل وزير خارجية انكلترا في ٥ ايلول ١٨٦٠ . مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان ، تحرير فيليب وفريد الخازن ، المجلد الثاني مطبعة الصبر ، ج ١٩١١ صفحة ٣٠٦ ٣٠٧ .

والغاء حقوقهم ليقبموا مقامهم اشخاصاً يضربون على وترهم فيكونون آلات عمياء بيدهم . يؤيد ذلك ما فعلوه بيت الخازن وبيت جيش وغيرهم من أصحاب الاقطاعات اذ طردوهم واغتصبوا املاكهم واستبدلوهم بطانيوس شاهين وغيره ...» .

هـ — من تقرير القنصل الانجليزي العام مور الى اللورد جون روسل في ١٥ ايلول ١٨٥٩ : «اني عطفاً على صورة رسالتي الى سعادة السير هنري بولفر المتقدمة في طيه ائتشرّف فأخبر سيادتكم ان فلاحي كسروان يعقدون الاجتماعات الآن بغية أن ينتخبوا زعيمهم المدعو طانيوس شاهين مديراً لشؤونهم تحت يد القائم مقام بصورة مستمرة بدلاً من المشايخ الخازنيين اصحاب الاقطاعية ورؤسائهم السابقين . ان طانيوس شاهين هو بيطار من قرية ريفون في كسروان حيث يوجد محل اصطياف للرهبان اللعازارين الفرنسيين أصحاب مدرسة عينطورا الشهيرة . وهو منذ طرد المشايخ الخازنيين يتمتع بسلطة مطلقة لم يضع خورشيد باشا لها حداً . ويقدر أنه امدّ بأموال مصدرها اجنبي ووطني والمرجح أن المصدر الأخير هو الاكليروس الماروني والروماني لأنه يساعد الثوار» (١٣٨) .

و — ما ذكره تشارلز تشرشل (١٣٩) : ان البطريرك الماروني بولس مسعد ، يتميز «بكرهه للارستقراطية الاقطاعية وتعصبه للعقائد الدينية الجامدة التي تدين بها طائفته» .
ز — تقريران من أرشيف البطريركية المارونية (١٤٠) : من جملة التقارير المتعلقة بحركة الفلاحين ثمة تقريران يشيران الى وجود اشاعات عن ضلوع البطريرك مسعد بمساعدة الفلاحين . ففي التقرير الأول المرسل من الياس شحاده (١٤١) الى البطريرك مسعد ورد ما يلي : ... نسمع من الخارجين (١٤٢) اقوالهم ان هذا العمل جميعه (أي حركة الفلاحين) برأي غبطتكم والأهالي لا يعملوا عمل دون أمركم وذلك بتزايد الحال كما الحاصل ...»
وفي تقرير آخر مرسل من مجهول الى البطريرك مسعد (١٤٣) جاء ما يلي : «حاوي خبر .

برجعونا من عندهم سمعنا أحاديث تواتر بجيبيل عن لسان المشايخ أنهم غير مخلصين الظن بغبطتكم وانهم مباشرين بعمل فتنة ضدكم مع أولاد طايفتكم وانهم اعرضوا لنيافة الحبر الاعظم

١٣٨ . مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان ، تعريب فليب وفريد الخازن ، المجلد الأول ، مطبعة الصبر ، جونية ١٩١٠ ، صفحة ٣٧١ — ٣٧٢ .

١٣٩ Churchill, Charles, the Druzes and the Maronites under Turkish rule from 1840 - 1860. London, 1862, p. 122.

١٤٠ . ارشيف بكركي ، الملفات المتعلقة بالبطريرك بولس مسعد ، وسنكتني من الآن وصاعداً باستعمال مصطلح ارشيف بكركي ، مع ذكر تاريخ الوثيقة اذا وجد .

١٤١ . على الأرجح انه من وجهاء جرود بلاد جبيل ، والتقرير مؤرخ في ٤ آب ١٨٥٩ .

١٤٢ . ربما يقصد مشايخ آل الخازن

١٤٣ . ارشيف بكركي ، ويبدو ان الوثيقة كتبت بعد ٢٣ ربيع آخر ١٢٧٦ هـ . أي عام ١٨٥٩ م .

ان مبدأ الحركة عليهم في كسروان وغير حركات في جبل لبنان مؤسسة منكم باتفاق سعادة الامير بشير احمد ومنتظرين الجواب منه ...»

ماذا نستنتج من هذه الكتابات التي تعود الى معاصرين للحركة؟

١. ان البطريك يكره المشايخ
٢. ان جذور هذا الكره يعود الى جوانب شخصية نفسية (حادثة والدته ورفض انتخابه عام ١٨٤٥)، واسباب تتصل بالتنافس على السلطة.
٣. ان البطريك والاكليروس يدعمون حركة طانيوس على كافة المستويات وخاصة مالياً.
٤. ان المشايخ الخوازنة حاولوا الاعتداء بالضرب على البطريك.
٥. احتجاج البطريك عن اتخاذ موقف، عندما طلب منه يوسف كرم التدخل، كان يجد ذاته موقفاً مؤيداً لتحرك الفلاحين.

اذا استعملنا منهج الشك التاريخي بمجمل هذه الروايات ومهما كنا صارمين في عملية النقد، فما لا شك فيه أن تنوع مصادر الرواية، عن دور البطريك، هو أمر لا يمكن انكاره. وان يقينا يزداد في دور البطريكية اذا حللنا تطور موقف البطريك في ضوء بعض وثائق البطريكية المارونية.

٢. سلطة البطريك في الحركة كما تبرز من خلال وثائق بكركي:
- اذا اعتمدنا التحديد القييري للسلطة، واذا اعتبرنا أن سلطة البطريك هي، من هذا القبيل، سلطة تقليدية^(١٤٤). فماذا يفرض علينا هذا التحديد من اطر المعالجة؟
- انه يفترض أمرين: الأول وجود اطراف. في الحالة التي ندرسها هناك تيارات ذات أصول طبقية متنوعة تتراوح بين الفلاحين والحرفيين والمرايين والاكليروس وربما غيرهم، وكل هؤلاء يندرجون تحت شعار، يكاد يكون واحداً من خلال الوثائق: وكلا القرايا^(١٤٥)، الوكيل العام^(١٤٦)، أهالي القرايا^(١٤٧).

وهناك المشايخ (الخوازنة، والحبيشيين، والدحادحة)^(١٤٨).

أما الطرف الذي ينتظر منه الفلاحون والمشايخ اعطاء الأوامر فكان البطريك. فكيف كانت اذن حركية موقف البطريك خلال تطورات الازمة؟ وكيف مارس سلطته

١٤٤. مع العلم أنه يوم ارتقائه الى السدة البطريكية (قام الشعب) بمظاهرات لم يسبق لها مثيل - وكثيراً ما هتفوا: فليحي بطريك المساواة والحرية والعدل». الخوراسقف يوسف داغر، بطارقة الموازنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩، ص ٩٨.

١٤٥. من ٨٣ وكيلاً موقفاً على بيان استسلام (٢٩ تموز ١٨٦٠) كان هناك عشر قساوسة، ولا أقل من ثلاثة مرايين، و٣٢ موسراً. سميليا نساكيا، المرجع السابق صفحة ٢٢١.

١٤٦. عادة ما كان طانيوش شاهين.

١٤٧. الدقة العلمية تفرض علينا القول بأن هذه التسمية لم تقتصر فقط على مؤيدي الحركة.

١٤٨. الأكثرية الساحقة من الدراسات تتجاهل وجود المشايخ الحبيشيين والدحادحة في الحركة

باتجاه المشايخ من جهة وباتجاه الأهالي من جهة أخرى ؟ وكيف كان يمارس تدخلاته بشؤون القرى الداخلية ؟ ثم هل كان هناك موقع لطوائف أخرى في إطار معالجة أحداث هذه الازمة ؟ وأيضاً كيف تعاملت المراجع الرسمية الداخلية والخارجية مع مسعد بما يتفق واحترام سلطته ؟ .. هذه هي ابرز النقاط التي سنحاول التوقف عندها في هذا الجزء الأخير من بحثنا .
أ — سلطة البطريك باتجاه الأهالي : لقد تراوحت مظاهر سلطة البطريك مسعد باتجاه الأهالي بين اعطائه العلم والخبر بما يجري ، وبين التشاور وتقديم مظاهر الخضوع ، وبين ممارسة عملية التقرير من قبله .

١ — إعطاء العلم والخبر : ان الاطلاع على ما يجري هو مرحلة لازمة من مراحل اتخاذ القرار وممارسة السلطة . وثمة العديد من التقارير التي قدمها الأهالي ووكلاؤهم الى البطريك : فأهالي كفرذبيان يعرضون ما فعل المشايخ الخوازنة ببعض أهالي قريتهم^(١٤٩) . وأهالي عرمون والجديدة يبلغون البطريك أنهم سيجمعون مع أهالي دلبنا وغسقا وشننير للمداولة واعطاء الجواب حول موقفهم من الحركة ، وعليه فقد «لزم بسطنا اعراضه لمسامع غبطتكم ليقى كل شيء بشريف علمكم ...»^(١٥٠) وبعد الاجتماع يرسل الأهالي تقريراً بما قاموا به «... فعلى ذلك نحن أولادكم أهالي القرى المدونة اسماءنا بذيل هذه العريضة قد صار اجتماعنا في قرية دلبنا في ١٦ الجاري وغب المداولة مع وكلاء كامل جمهورنا قد اتفق رأيهم حيث غبطتكم انوجدتم ريساً روحياً علينا نقدم لغبطتكم بهذه العريضة ...»^(١٥١) . أما أهالي درعون فكتبوا للبطريك «أبنا الأب الاقدس . غب (لثم)^(١٥٢) مواطي اقدم غبطتكم^(١٥٣) بالوكالة عن أهالي درعون لجهة مأمورنا الشيخ ابو نوفل فكان جواب غبطتكم أن نبطل الهيجان وتعملوا على خاطرنا والآن بلغنا خبر بأن سعادته امر علينا بل مأمورنا جناب الشيخ قنصوه نترجا غبطتكم تشملونا بنظركم حيث يأتي علينا مخاطر كلية وكل شيء راجع لأمر غبطتكم ونكرر تقبيل مواطي اقدم غبطتكم^(١٥٤) .»

أما يعقوب البيطار وهو على ما يبدو ، من زعماء التحرك ، يرسل تقريراً عن مهمته في «قرايا الوادي» بالنسبة لدفع الضريبة «حسباً رسمتم^(١٥٥) . بينا يقدم الياس خضر تقريراً عن اجتماعه بالشيخ كنعان بان الخازن حيث وافق المشايخ على القبول «بديوان الكومسيون»^(١٥٦) . وبدوره

-
- ١٤٩ . أرشيف بكركي ، ١٨ ك' ١٩٥٨ .
 - ١٥٠ . أرشيف بكركي ، ١٢ ك' ١٨٥٩ .
 - ١٥١ . أرشيف بكركي ، ١٧ ك' ١٨٥٩ .
 - ١٥٢ . غير موجودة في الوثيقة .
 - ١٥٣ . هكذا كتبت في النص الأصلي للوثيقة .
 - ١٥٤ . أرشيف بكركي ، ٧ أيار ١٨٥٩ .
 - ١٥٥ . أرشيف بكركي ، ٢٣ أيار ١٨٥٩ .
 - ١٥٦ . أرشيف بكركي ، ٢٩ أيار ١٨٥٩ .

يرسل مسعد الى يعقوب البيطار علماً بأنه «... وصل تحريركم وفهمنا كامل شرحكم عن سابق اجتهادكم بعمل الجمعية وتركيزها على شكل يرضي الباري...» ثم يضيف «... فابقوا خبرونا عما يحصل معكم ويوجد بما يلزم»^(١٥٧).

وفي اليوم نفسه يرسل يعقوب البيطار خبراً عن اجتماع وكلا قرايا الوادي وحضرة الابرأ كهنتهم مع طلب قرايا الساحل^(١٥٨). وفي اطار حملة التعبئة ضد تصرفات المشايخ يعرض أهالي كسروان للبطريك حادثة ضرب تعرض لها «مكارية عدد ٢ وهما منصور بطرس أبو انطوان من ريفون وبطرس طنوس من عجلتون» من قبل المشايخ رامج وحيدر الحازن في جهات الحفد، وزربها في دير ميفوق وضربها من قبل رئيس الدير الأب القس اغناطيوس الحازن. «أقصى أعراضه لغبطتكم لكي تبصروا بهذه القضية الكلية التعدي الظاهر»^(١٥٩).

وعندما يحاول سجعان العضيمة ضبط غلال المشايخ باسم البطريك يطلب منه طانيوس شاهين الأمر الخطي فيجيب أنه اضاعه على الطريق، ولما استطلع شاهين زلم العضيمة اخبروه أنه يفعل ذلك برأي كنعان بان وعبد الله خطار، ويضيف شاهين، في تقريره للبطريك، «فنب ذلك اكراًمأ لحاطر غبطتكم ولأهله ولأهل القرايا الذين بالقرب اليه لم ردنا (تهزيره) ولا أخذ منه شي... هذا حدث بنا عارضينه لدى مراحم غبطتكم»^(١٦٠).

ان التقارير للبطريك لم تكن تتناول فقط عرضاً لمواقف الأهالي أو المشايخ أو الاحداث التي يمكن أن تقع، وانما أيضاً كانت تطل التحركات العسكرية — اذا حصلت — من قبل الأرناؤوط أو من قبل الطوائف الاخرى. فهذه رسالة الى البطريك: «نعرض أنه من بعد تقديم الاعراض لغبطتكم وقفنا مرسل طانيوس شاهين عن تسليم التحرير وحررنا له المقضي ان هذا العمل غير موافق بتوقف عن هذا العمل اوقف فجاءونا الآن لا يتم الا بتسليم الكتابة واذ لم سلمناه الكتابة صباحاً يكون جمهور العسكر عندنا وتحريره واصل سراً.

اقتضى اعراضه نرجو تأمروا بما يحسن واذا حسن امرهم تامرون بتوقف عن هذا العمل والتدبير بحكمتكم والأمر لديكم الخياله والزلم نفروا منهم قدر ٣٠ على الجديدة ودلبنا والفتوح وبك فيه اعتماد يتوجه غلافه الخياله الى ريفون»^(١٦١).

٢. الاستشارة ومظاهر الخضوع: اذا كان البطريك مسعد يتلقى باستمرار علماً وخبراً بما يجري في القرى، فإنه أيضاً يستشار وتقدم له مظاهر الطاعة والخضوع، وهذا بالطبع مظهر من مظاهر سلطته.

١٥٧. أرشيف بكركي، ١٤ تموز ١٨٥٩.

١٥٨. أرشيف بكركي، ١٤ تموز ١٨٥٩.

١٥٩. أرشف بكركي، لا تاريخ.

١٦٠. أرشيف بكركي، لا تاريخ.

١٦١. أرشيف بكركي، لا تاريخ، من البديهي الاشارة الى ركافة التعابير في هذه الوثيقة.

فبعدما اجتمع المشايخ الخوازنة في غوسطا — في مطلع الحركة — بادر أهالي الذوق بارسال «اعراض» يخبرونه فيه أن المشايخ «مرادهم يكبسونا بمحلاتنا ويسلبوا نعمتنا» . وهم بالتالي يتكلمون على غبطته « مسترحمين من حنيتكم الأبوية أن تبصروا بوقايتنا بما يقتضي حكمت طوباويتكم » وقد وقعوا الاعراض «عبيدكم أهالي ذوق مكاييل»^(١٦٢) . ولما تجمعهم المشايخ في الكرسي البطريكي أرسل أهالي كسروان رسالة الى غبطة البطريك يطالبون فيها بترحيل المشايخ عن كرسي الطائفة وان وجود البطريك هو وحده الذي يلجم الأهالي عن الهجوم^(١٦٣) . ويبدو أن بعض القرى تعرضت لضغط لكي تشارك في الحركة ومن هذه القرى (الجديدة ، شننغير ، دلبتا ، عرامون ، غوسطا) فاستجارت بالبطريك لكي يساعدها في موقفها «... الآن وحيث نحن أولادكم من البداية مسلمين حالنا لغبطتكم حتى الدم وما صار منا تهيج ولا خلل لزم اعراضنا لساحة مراحضكم وتشكي أمرنا...»^(١٦٤) . وفي الوقت الذي تستجير هذه القرى بالبطريك لعدم زجها في الحركة ، يجتمع مسعد مع طانيوش شاهين :

«... وذاكرين أن نحضر للثم مواطي اقدم غبطته فإن وفق الباري نكون صباحاً عنده»^(١٦٥) . وثمة العشرات من الرسائل المقدمة من وكلا القرايا تؤكد طاعتها لسلطة البطريك : «... بل كل وقت طابعين لأوامركم ولأوامر الدولة العلية صانها رب البرية هذا ما اقتضى اعراضه وما يحسن لديكم افيدوا به لأن جميع جمهورنا خاضع لكما ترسون به ولا نبرح من جزيل الدعا...»^(١٦٦) . وفي رسالة من أهالي عشقوت للبطريك : «... نحن قابلون نصايحكم وأوامركم السابقة لحد الآن لنا بأن لا نسعى بالشر والمضمرة لأحد...»^(١٦٧) . وفي رسالة أخرى لا تاريخ لها^(١٦٨) . يشير أهالي كسروان الى اجتماع وكلا القرايا الخمس في ريفون مع بعض الآباء المرسلين من قبل البطريك «للمصالحة والمسألة مع جناب المشايخ بني خازن» ، فييدي الوكلا ارادتهم بالمصالحة وان أهل الخازن هم الرافضون «... والآ غب اجتماعنا بمقتضى امركم قد صار تعميم افكارنا برضانا للجميع بتسليم ارادتنا واطاعتنا بكل خضوع لأمركم وبه بتجشم من كريم اخلاقكم المنازلة بقبول معروضنا بهذا المحضر...»^(١٦٩) . وازاء المصاعب التي يواجهها بعض أهالي القرى^(١٧٠) . ومن جراء الخلافات الناشبة ، فيقررون الاجتماع على روح المحبة

١٦٢. أرشيف بكركي ، ١٠ ك ١٨٥٨ .

١٦٣. أرشيف بكركي ، ٣٠ ك ١٨٥٩ .

١٦٤. أرشيف بكركي ، ١٩ أيار ١٨٥٩ .

١٦٥. أرشيف بكركي ، ١٥ حزيران ١٨٥٩ ، رسالة من طانيوش شاهين لأهالي الزوق .

١٦٦. أرشيف بكركي ، ٢٢ حزيران ١٨٥٩ رسالة من وكلا قرايا كسروان الى مسعد .

١٦٧. أرشيف بكركي ، ١٤ تموز ١٨٥٩ .

١٦٨. نرجح انها تعود الى شهر تموز ١٨٥٩ .

١٦٩. أرشيف بكركي ، من أهالي كسروان الى البطريك .

١٧٠. ريفون غادير ، جعيتا ، بلونه ، داريا ، عجلتون ، عشقوت ، بقعانه عشقوت ، القليعات ، مزرعة

كفرديان .

«وتحايد كافة الأسباب المقلقة»، «ومن كون أن راحة أولادكم هي من خصوصيات غبطتكم فوجب الأمر لتقدمة اعراض ذلك لطوباوتكم ليكون ذلك بشريف مسامع الغبطة حتى اذا الآن تأمروا بما هو آيل لخير أولادكم المظلومين...»^(١٧١) — كما أن أهالي قرى اخرى^(١٧٢) . ينتظرون صدور «ونفوذ امر» البطريك للمداولة في سبب تشكيات ومطالبات القرى الاخرى^(١٧٣) .

٣. السلطة التقريرية للبطريك :

إن سلطة مسعد ، في حركة كسروان ، لا تظهر فقط في أخذ العلم والخبر بما يجري ، ولا في تقبل مظاهر الخضوع من الأهالي ، وانما هي تتجلى خاصة باعطائه الاوامر للأهالي ووكلائهم فيما يتعلق بكيفية اتجاهات الازمة واحتمالات الحلول المطروحة لها .

ففي ٦ أيار ١٨٥٩ يرسل أهالي عشقوت الى البطريك الرسالة التالية^(١٧٤) : « غب قبله مواطي اقدام غبطتكم الطاهرة بكل توقير واحترام ثم نعرض حسب امرته لأحد وکلانا باخوس بأن نجري المصالحة مع جناب المشايخ وهذا التهار وصل لنا علم من جناب الشيخ كنعان بأن الخازن لنحضر عنده فحضر كام نفر عنده وخاطبهم بهذه المصالحة بأن يباشروا في المصالحة بين جنابهم والأهالي وأن يمر علينا بعشقوت نهار بكره الجمعة ونذهب معه لعجلتون وان اذا باقية القرايا لم رادت في الصلح يقبلوا في مصالحة عشقوت فقط قصدنا اعراضه لقدسكم ليكون كل شي بأمركم حيث ماكيند خاطرکم ونكرر قبله مواطي أقدامکم للدوام » . ويبدو أن البطريك أوعز الى القرايا بالرد على طروحات وضعها ، فيكتب له الياس نصر : « غب لثم ايديکم الکرام والدعا بحفظ وجود جنابکم للدوام . المعروض أنه بحسب امرکم وجهنا الكتابة الى القرايا وحضر لنا جواب عنهم ان مرادهم الاجتماع وتصير المذاكرة ومثلا نحصل المداولة يصير الجواب اقتضى اعراضه لجنابکم... »^(١٧٥) .

وإذا ظهر في بعض الأحيان من طانيوس شاهين بوادر استقلالية في التحرك ، ومحاولات التلطي وراء مواقف الوكلا والأهالي لتأجيل البت بأوامر قد يكون تلقاها من البطريك^(١٧٦) . فإننا نلاحظ بوضوح وجود العديد من الوثائق التي تؤكد خضوع شاهين لتوجيهات مسعد . ففي ١٢ حزيران ١٨٥٩^(١٧٧) يرسل الاميکو^(١٧٨) الى البطريك الرسالة التالية : «... وطرخوا

١٧١. أرشيف بكرکي ، لا تاريخ .

١٧٢. أرشيف وعرامون والجديدة ودلنا وساحل علما ودرعون وغوسلا .

١٧٣. أرشيف بكرکي ، لا تاريخ .

١٧٤. أرشيف بكرکي ، ٦ أيار ١٨٥٩ .

١٧٥. أرشيف بكرکي ، ٢٣ أيار ١٨٥٩ .

١٧٦. أرشيف بكرکي ، على سبيل المثال لا الحصر الوثائق المؤرخة في ٣ آذار ١٨٥٩ ، ٦ آذار سنة ١٨٥٩ .

١٧٧. أرشيف بكرکي ، من طانيوس شاهين الى البطريك مسعد .

١٧٨. هذا اللقب لطانيوس شاهين ورد في العديد من الرسائل المتبادلة بينه وبين البطريك ورجال الإكليروس .

الصوت فابتدت الناس تتراكم وتتجمع الى أن بلغت نحو ألف نفر وتم العمل والغاية الذي في عقولهم وبلغ الجمهور الى قلعة معراب بكل اعتنا واجتهاد وامثالاً لأمر غبطتكم قد رجعناه مخالف ولم حصل منه شي مضر ولا اسطى على احد فالله يوقينا بواسطة دعا غبطتكم من الأشياء الاعظم فربما قريب تحدث بسبب ما هو متظاهر من آل الخازن وغيره والبعض صف وكلا جمهورنا يقول ان وقوع البلا اهن من استنظاره ... » . ثم بعد ذلك بيومين يرسل رسالة ثانية : « ... نعرض أنه بتاريخه تشرفنا بورود مرسوم غبطتكم الشريف وقد قدمنا جزيل الحمد للمولى العليم (لاجارتنا) عام انشراح الخاطر وبه (راسمون) ان ترسل لوكلا القرى المرسوم الواصل فحالا (ياورنا) بارساله بدون تأخر البتة قدام رسولكم ارسلناه والباين نحن لسنا مطلوبين بموجب مرسومكم^(١٧٩) » . ورداً على ارسال البطريرك أحد مطارنته طالباً من شاهين « تخميد الهيجان » ، يجيب شاهين^(١٨٠) : « ... نعرض انه حال ما تشرفنا بأمر غبطتكم بلسان قدس سيدنا رسولكم المطران بطرس البستاني الكلي الشرف والجزيل الاحترام المشتمل النصح لولدكم هذا بتخميد الهيجان والدخول في نير الاطاعة لدولتنا العلية وغب المفاوضات الكافية مع سيادته اعرضنا لديه انه بهذا النهار يحضروا عندنا كافة الوكلا ونفهمهم أمر غبطتكم والذي يقر عليه الرأي نقدم عرض حاله لدى سدت غبطتكم ... فحال ذلك أفهمنا الوكلا الموجودين ان هذا النهار يجتمعوا مع بعضهم ويقدموا عرض حال لدى سعادت أفندم كاخية مشيرية ايالت صيدا المعظم واننا متوجهين على الوجه المشروع وانصرفنا من هذه الجهات لبيروت خاضعين لأمر غبطتكم والآن اقتضى اعراضه مسترحمين من شفقة ابوكم وحنون غبطتكم بألا تهملونا من عنايتكم . هذا ما وجب اعراضه وبكل الوجوه نحن وأولادكم اخوتنا الوكلا وكافة الطائفة ليس لنا غوثا وملجأ بعد الله سوى غبطتكم » .

وسلطة البطريرك لها الأولوية على سلطة امراء البلاد ، بالنسبة لوكلا القرى ، فلا استجابة لأوامرهم قبل الاذن والقرار من غبطته . فرداً على الدعوة من قبل الامرا بأن ترسل القرى وكيل أو اثنين ونفرين أو ثلاثة من أوجه القرية الى ذوق مكاييل « لكي تتلى عليهم البلوروده الشريفة وحيث غبطتكم راسمين ان لا احد يبدأ بعمل ونكون متربصين في أماكننا ... » « ونحن موقفين تحت أمر غبطتكم نرجا بجواب بما يشاهده الخاطر الشريف ...^(١٨١) » . والبطريرك بدوره يرسل الى وكلا القرى توجيهات بمثابة قرارات : « بعد الشوق . انه قبلاً حضر البعض منكم لدينا وافهمناهم أن يكونوا مستكنين ومتحايدين اسباب السجس وأن يفهموا الجميع بأن يتجنبوا ذلك ولا ييدي احد شيئاً يوجب القلق والفتنة والآن موجهون حضرة ولدنا الخوري بطرس منصور القاضي الاكرم بهذا الخصوص عينه ليؤكد عليكم وعلى الجميع باجتنااب اسباب

١٧٩. أرشيف بكركي ، ١٤ حزيران ١٨٥٩ .

١٨٠. أرشيف بكركي ، لا تاريخ وانما المرجع حزيران ١٨٥٩ .

١٨١. أرشيف بكركي ١٧ حزيران ١٨٥٩ من وكلا وأهالي قرى كسروان الى البطريرك .

الخصومات والابتعاد عن الهيجان والمقاتلات وكل شيء يوصل الى ما لا يلائم. فاقبلوا هذه النصائح ولا تسعوا بما يمكنه أن يضر وهذا كاف لحسن طاعتكم وانقيادكم لأوامرنا والبركة الرسولية» (١٨٢).

وإذا ما قصر وكلا القرى عن ضبط الأوضاع في قراهم قدموا الطلب إلى البطريك ليساعدهم في ذلك. فوكلا مزرعة كفرذبيان يطلبون من البطريك «ليصدر أمرهم بالحد» من «رزالات موسى عجيز وفارس ابو حسن ومنصور بو طوبيا صقر وابن عبود ابو شاهين» (١٨٣). وبعد تحرك قنصل فرنسا باتجاه وضع حد للحركة كتب أهالي كسروان للبطريك: «... وهذه المدة القريبة ما تركنا استعمال الوسائط الفعالة لوضع نهاية لهذه القضية حسب رسم غبطتكم بل قد سعينا بشريف علوم غبطتكم لحصول المسألة» (١٨٤). كما كتبوا للقنصل الفرنسي: «... غب استعطاف شريف الخاطر نعرض ان غبطة قدس السيد البطريك ماري بولس الكلي الطوبى قد صلب امره الكريم باستدعائنا نحن عبيد دولتكم وكلا مقاطعة أهالي كسروان وقد تلي علينا كتابة سعادتكم له...» (١٨٥).

إن سلطة البطريك باتجاه الأهالي تبدو كأنها ذات جذور راسخة.. وبالرغم من استعمال مصطلحات «الجمهور» واجتماعات الوكلاء وما إليها، فإن الشرعية الدينية التي يتمتع بها البطريك لها قوة المرجعية والقرار. فحركة كسروان من هذا القبيل، لم ترسخ بشكل فعال، تقاليد «الارادة الشعبية» الرافضة لسلطة الاقطاع والمذبح، مستبدلة اياها بسلطة الشعب المتشكل من مواطنين لا من رعايا. انه المجتمع الذي تطفئ عليه ملامح العلاقات الدينية باشكالها التي لم تحسم بعد مسألة فصل الدين عن السياسة.

ب. سلطة البطريك باتجاه المشايخ:

ان تحليلاً عاماً لموقف البطريك باتجاه المشايخ يحملنا على الاستنتاج بأنه لم يعتمد اراءهم سياسة القطع والمجابهة المكشوفة، بل اعتمد سياسة الانهاك والتوجيه والاحتواء. بين تطويع المشايخ واذلالهم مسافة حرص مسعد على أن تظل قائمة. ان الذين عارضوا باستعلاء عام ١٨٤٥ انتخابه بطريكاً— مستعملين لذلك قوة السلاح —، والذين تمردوا على تحذيراته من علاقاتهم مع «الانجليز البروتستانت»، والذين رفضوا الرضوخ لانهذاره بعدم معارضة «بشير أحمد»، يستعطفونه للعودة الى بيوتهم ولابقائهم احياء.

١٨٢. أرشيف بكركي، لا تاريخ (الارجح أواخر حزيران ١٨٥٩) وهي من البطريك الى وكلا القرى.

١٨٣. أرشيف بكركي، ٢ تموز ١٨٥٩.

١٨٣. أرشيف بكركي، ١٥ ك ١٨٦٠.

١٨٥. أرشيف بكركي، ١٩ ك ١٨٦٠.

وان التحليل المستند الى الوثائق يبرز أن هدف البطريك لم يكن القضاء على سلطة المشايخ على نحو شامل ، بقدر ما كان الهدف إلحاقهم بمشروع سلطته الصاعدة التي كان يسعى لترسيخها . انه مشروع تهميش لسلطة الإقطاع ، وضبط وتطويع لما يمكن أن يشكل السلطة الشعبية في آن . وهو في كل حال مشروع انبعاث الطائفة — الإلمة التي تستمد سلطتها من مشروعية التقاليد الدينية الماضوية .

كيف تبرز ، من خلال الوثائق ، ظاهرة رضوخ المشايخ لسلطة البطريك ؟
في ١٢ ك ١٨٥٨ يعرض المشايخ في صفحتين تصورهم لتطور الاحداث منذ بدايتها ويخلصون الى القبول بحلول وسطى « حيث ارتباطنا بموجب مقتضى الديانة بغير الاطاعة والابتعاد عن كل ما يكون مخالفاً لرسوم ديانتنا ... » ويؤكدون خضوعهم للبطريك « ... والحال على هذا المنوال قصدنا اعراضه لديكم ليكون كل شي بشريف علمكم وتأمرؤا بما يشاء خاطركم » (١٨٦) .
وعندما شعر المشايخ الخازنيون ان رد فعل البطريك لم يكن بالحسم الذي كانوا ينتظرونه الى جانبهم ، بدا أن البعض منهم أخذ يتحرك بمواجهة البطريك أيضاً ، الأمر الذي زاد في تأزم وضعهم من هنا مبادرة ١٢ من وجهاء آل الخازن الى وضع اختتامهم على رسالة يؤكدون فيها عدم ذمهم أو تشكيهم على البطريك لا لروما ولا لأحد الدول العظام (١٨٧) . « وثبت قولنا بالنبي عما ذكر بقسم وهو أنه قسماً بالله العظيم وسيدتنا مريم العذراء والدت (١٨٨) الاله بأن ليسنا واضعين اسمائنا ولا اجتهامنا بمغروض تشكي وملمه بغبطته كما ذكر ... »

في ٥ نوار ١٨٥٩ يحاول الشيخ كنعان الخازن — بتوجه ذكي من المشايخ — الوصول الى حل مع وكلا عشقوة (١٨٩) . لما في ذلك من مدلولات وانعكاسات على صعيد المنطقة عامة . (كونها مسقط رأس البطريك) . « وبالاختصار هذا النهار حضر وكلاهم لعندنا وأوضحوا لنا رغبتهم بذلك وخصوصاً حيث أنهم فاهمين ان ذلك مما يشرح خاطركم ومن نحونا وان نكن محققين ان هذا مشرب طبعكم الباهر كان مرادنا نرسل أحد ابنا عمنا ليعرض لديكم لتكون كافة اعمالنا متايده بالنبي (٢) نظركم الشريف ومن كون طبعنا مایل لسرعة نفود الأمور والأمر الخيرية لا يقتضي الاهمال بها فاكثفينا بتقدمة هذا الاعراض حتى اذا كان مقتضى نوع من الانواع تأمرؤ به ليكون السلوك بموجبه ... » (١٩٠) .

رداً على محاولات التقارب مع البطريك يبدو أنه حصل تصعيد من قبل الأهالي في هذه الاثناء :

١٨٦. أرشيف بكركي ، ١٢ ك ١٨٥٨ ، رسالة من المشايخ الخوازنة الى البطريك .

١٨٧. أرشيف بكركي ١١ آذار ١٨٥٩ .

١٨٨ . هكذا كتبت في الوثيقة .

١٨٩ . هكذا كتبت في الوثيقة .

١٩٠. أرشيف بكركي ، ٥ نوار ١٨٥٩ ، من الشيخ كنعان الخازن الى البطريك .

« نعرض لغبطتكم حضر نهار الثلاثاء الواقع ١٧ نوار أهالي بقعتوتا وأفهمونا بأننا نقوم من بيوتنا نحن وعيالنا وانما قنا والا يحضروا أهالي القرايا والوكلا ويقيمونا جبراً . فصرنا في حيرة فلان دشرنا بيوتنا وقوزنا هذا عين الخراب ... نرجوكم اذا لاق وكان لكم امكان بطني هذه المادة بالذي يحسن ان كان بجرم أم بتهديد من قبل الحكم ... والذي يقول له علينا دعوى بشي ان كان كلي أم جزئي ندفع له اياه عن يد غبطتكم وكفلونا بذلك ... »^(١٩١) . ويبدو أن التصعيد طال النساء من آل الخازن . فحرمة الياس شيبان الخازن تطلب من البطريك اعطاءها مرسوماً لو كلا عجلتون لكي لا يتعارضوها اذا حاولت الاصطياف هناك^(١٩٢) .

وعندما يعرض منصور الخازن ظروف نهب منزل شقيقه للبطريك من قبل أهالي ريفون يستطرد « نحن بخاطركم بأي نوع تأمرونا به ... اذ حسن تأمرنا بالذي يشاء خاطركم ونحن مستعدين لنفوذ أمركم ... وعلى كل حال غبطتكم ملزومين بنا ... »^(١٩٣) . ويذكر حنا نقولا الخازن بأوضاعه : « ... نعرض أنه قبلاً قدمنا الاعراض لغبطتكم لجهة الأوعي الماخوزة منا والدرهم فيبطرون أمرتم بمرسوم لحضرة الأب الخوري انطون فيطرون واعتز بأن حاصل له تشويش ... نرجو أن يصدر أمركم الى نصار (من فيطرون) يسلم البارودي ... وكلشي راجع لأمركم ... »^(١٩٤) .

اذن سلطة البطريك تطلب مسألة استعادة ما نهب من المنازل واداة التنفيذ أحد الكهنة . وفي هذا السياق يعرض الشيخ فارس ضاهر الخازن ضبط القمح والارزاق من قبل أهالي بقعتوتا والمزرعة وفاريا ... « قصدنا بسط اعراضنا مع وفور غيرتكم الابوية وكبر املنا تفيدونا بما يحسن ويا ليتك تعملوا الجهد ولا تدعوا المادة تتعاضم أكثر ... »^(١٩٥) .

ان التعدييات لم تطل فقط المشايخ الخوازة وانما طالت أيضاً المشايخ الدحادحة والحبيشين . فرعي الدحادح يشكو من استمرار التعدي عليه ويلتمس المساعدة من البطريك : « فترجا مراحمكم تكرار التعديد والتحريس التام وحضرة الأب الخوري غايل ابو صعب أفهمهم بالكفاية ان هذا التعدي هو مضاد جداً لرأفتكم ... »^(١٩٦) ، ثم يعود فيكرر التماسه : « ... فاقضى واضعين كتابتنا لهم في طيه تنظروها غبطتكم وترجا مراحمكم تأمرنا بارسالها الى طنوس شاهين مع الأمر الذي يحسن بأمركم بقيام هذا الجمهور الذي عال يتظاهر برداوه كلية بضد الكتاب المرسول الى وكلا الكفور ونلتمس من غيرتكم الابوية تخلصونا من هذه

-
- ١٩١. أرشيف بكركي ١٩ نوار ١٨٥٩ .
 - ١٩٢. أرشيف بكركي ١٩ حزيران ١٨٥٩ .
 - ١٩٣. أرشيف بكركي ٢٤ حزيران ١٨٥٩ .
 - ١٩٤. أرشيف بكركي ، ٤ آب ١٨٥٩ .
 - ١٩٥. أرشيف بكركي ، ٨ آب ١٨٥٩ .
 - ١٩٦. أرشيف بكركي ، ٢٦ آب ١٨٥٩ .

الورطة» (١٩٧). ويبدو أن المؤيدين لشاهين كانوا قد اجبروا مرعي الدحداح على دفع كميالة بـ ٨ آلاف غرش (١٩٨).

من جهة أخرى يتقدم أهالي غزير بطلب الى البطريك للتدخل « راجين صدور الامر المقتضى بترجيع البارودة ... » التي أخذها « الثوار » من منزل الشيخ عفيف حبيش (١٩٩) « كما أن منصور سلوم الدحداح يطلب التدخل من البطريك رداً على تسلط حنا معوض من بحشوش (الذي كان خادمه) . » وحيث ان غبطتكم لكم الحنو والرأفة علينا ولم نرى اقرب منكم لأفعال الرحمة لتقصده لزم قرعنا باب حنوكم لتتقدونا من هذا القاسي الجاهل واجزابه في الوجه الذي ترويه موافق لراحة النفس والجسم ... لأن غبطتكم مجبورين للمحاماة عنا وعمن هو مثلنا ما له قوة ولا عضد ولا ملجا سواكم ... » (٢٠٠).

إذا كانت لهجة المشايخ ، في اغلب الرسائل التي المينا اليها ، تنصف بمنحى استعطافي ، فإن رسائل اخرى — ولو قليلة — تحمل اتهاماً ضمنيّاً للموقف المتعاس من قبل البطريك على المبادرة بحل المشكلة . فالشيخ عباس شيبان الخازن يحتم رسالة مطولة للبطريك بما يلي : « ... يظهر لدى حكمتكم وغيرتكم كم هو ضروري ان تسرعوا في التشریف ولو كنتم لا سمح (الله) باغراف المزاج واعراضنا هذا هو عن روح مخصوصيتنا بغبطتكم ولهذا نتجاسر ونعرض انه حاصل الظن من عموم الناس ان تأخير تشریفكم ناتج عن عدم اكتراث . واما أكثر العقلا مفسرين ان تأخير تشریفكم هو حتى يصير وضع العلاج بمحلاته ، غير ان الحال حاصل بخلاف لأن من تأخير تشریفكم عمال يتزايد المهيجان ساعة بساعة واتصل لخطر الخراب كما اعرضنا ... » (٢٠١).

إذا كان الحاح المشايخ مستمراً للتدخل من قبل البطريك ، فإن الباحث في ارشيف البطريكية يلاحظ وجود ثغرات عديدة في أجوبة البطريك . فأين هي هذه الاجوبة ؟ هل فقدت في فترة مسؤولية البطريك — مع ما عرف عنه من الحرص على تنظيم ارشيف ومكتبة البطريكية ؟ (٢٠٢) ، أم أنها فقدت في الفترات اللاحقة ؟ أم أننا لم نستطع الاطلاع عليها ؟ ومع امكانية ورود كل هذه الاحتمالات فإن هناك رسائل قليلة توضح الى حد كبير سياسة الترقب والتسويق التي اتبعتها .

١٩٧. أرشيف بكركي ٢ أيلول ١٨٥٩ .

١٩٨. أرشيف بكركي ٢٤ آب ١٨٥٩ .

١٩٩. أرشيف بكركي بدون تاريخ .

٢٠٠. أرشيف بكركي ١٤ أيلول ١٨٥٩ .

٢٠١. أرشيف بكركي بدون تاريخ .

٢٠٢. ذكر المنجد ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، ط ١٩٥٦ ، ص ٤٩٧ ان مسعد هو الذي أسس مكتبة بكركي ، كما أنه ترك ثلاثة مجلدات لفهارس السجلات البطريكية (محفوظ نسخة عنها في ارشيف الكرّم) .

في ١٤ ك ١٨٥٨، يرسل البطيريك الى المشايخ المتوازنة رسالة يشير فيها الى ان ما حصل « قد أولانا غما لا يوصف ولا يقدر لأنه فضلاً عن مزيد ميلنا ورغبتنا في حفظ شرفكم وشأنكم واعتباركم... فلا يهون علينا أبداً أن نسمع بوقوع أدنى حادث نواحيكم مما يكدر أو يوجب القلق ».

ثم يخلص الى القول : « فالملحوظ من حسن شيمكم أن تتخذوا الأشياء بالاتساع والمعروف المفطور عليه طبعكم وبذلك وبحسن درايتكم تزول هذه الغيوم وينقاد جميع المذكورين الى ما به خاطركم كما هو مرغوبنا من صميم القلب » (٢٠٣)

وفي رسالة أخرى الى الشيخ فارس ضاهر الخازن يؤكد غبطته أنه « قد تعبنا جهداً وما تركنا شيئاً مما أمكن للملاشاة هذه البواعث ولترجيع الحال الى أصله » . وما حدث « مصعب علينا الشني الذي جرى وكم عذب افكارنا وخرج قوادنا » ، ثم يشير الى « ان مساعيها للمصالحة ذهبت سدى » (٢٠٤)

ويرسل الى أهالي عشقوت رسالة (٢٠٥) يؤيد فيها ما ورد على لسان وكيل القرية باخس بأن البطيريك مع « اجراء الصلح » فقد « الابتدا للآن قد بدلنا ولم نزل بأذلين غاية الجهد باجراء الصلح وازالة هذه البواعث وقد صندر أمرنا مزاراً ليس فقط لولدنا باخس المذكور بل للجميع باجراء الصلح ونهاية هذه الأمور الحاصلة على كل سلامة فيلزم ان كلا منكم يهتم بقضية الصلح هذه ويرفع كل باعث لأن هذا هو خاطرنا من الابتدا للآن كما لا يخفاكم ».

ج. سلطة البطيريك تتدخل في الشؤون الداخلية للقوى :

إذا كان من المسلم به ، تقليدياً ، ان الاكليروس برئاسة البطيريك كان هو القيم على كل ما يتعلق بشؤون الأحوال الشخصية للناس ، فإننا نلاحظ ان البطيريك مسعد ، أثناء حركة كسروان — وبالطبع قبلها وبعدها — كان هو المرجع في العديد من القضايا التي اشكلت على قيادة الحركة . واننا نلاحظ — خاصة من خلال رسائل طانيوس شاهين له — ان سلطة البطيريك كانت أعلى — تطبيقياً وميدانياً — من سلطته .

في ٢١ أيار ١٨٥٩ يرسل شاهين تقريراً الى البطيريك يطلعه فيه على امتناع أهالي الوادي عن دفع الضريبة الى محمد بك السقعان (٢٠٦) ، ويبدو من خلال العرض تأفف شاهين من هذا الموقف . ومن شبه الأكيد ان هدف شاهين هو محاولة استقطاب البطيريك ليضغط على الأهالي من أجل دفع الضريبة :

٢٠٣. أرشيف بكركي ، ١٤ ك ١٩٥٨ .

٢٠٤. أرشيف بكركي ، ١٠ آب ١٨٥٩ .

٢٠٥. أرشيف بكركي ؛ ٩ أيار ١٨٥٩ .

٢٠٦. من الأرجح انه كان ملتزم بجفع الضرائب للدولة العثمانية .

وفي ١٤ آب ١٨٥٩ يعرض شاهين للبطريك خلاف أهالي عجلتون وأهالي فيطرون على بارودة ووزار ربما تكون لأحد المشايخ ، ويضيف :

« نترجا غبطتكم بصدور أمر كي يسلمونا أواعي حنا المرقوم ... » وفي نهاية الرسالة : « واصل تحارير عدد ٣ ان شاء خاطر غبطتكم الاطلاع عليهم ويصدر أمركم ... » (٢٠٧) .

من هذه الوثيقة يمكن استنتاج عدة ملاحظات :

- ان سلطة شاهين لم تكن تتمتع باجهزة تنفيذية . فهو لا يستطيع أن يصادر « بارودة ووزاراً » من منطقة قريبة من مركز تحركه (ريفون) .
- ان سلطة البطريك هي السلطة العليا ، حتى في المجال التنفيذي ، وهذا ما يقر به شاهين .
- ان هناك مراسلات مستمرة بين شاهين والبطريك .
- ان البطريك يعطي اوامر في ما يعرض له شاهين من قضايا .
- إن شكل العبارات المستعملة لا تتم عن موقف حذر ، أو بالأحرى لا تتم عن معارضة واضحة من قبل البطريك للتحرك الذي يقوم به « الاميكو » . بل بالعكس هناك ما يحمل على الظن بوجود تفاهم ضمني وربما تنسيق فعلي على الصعيدين النظري والتنفيذي للتحرك .

حتى في استحقاق السندات وشؤون البذار كان هناك تدخلات من قبل البطريك . ففي ٢٦ آب ١٨٥٩ يعلم مرعي الدحداح البطريك بأنه قد استحق سند له على أولاد عمه ضاهر وجرجس بقيمة ٣٦٠٠ قرش في ٣١ الجاري . « نبقا نرسل لغبطتكم السند ونستورد المبلغ » (٢٠٨) . وفي ١٥ آب ١٨٥٩ يرسل شاهين الى البطريك رسالة جاء فيها (٢٠٩) « ونحن جاورنا الأب الرئيس (لمار شليطا) بأن حيث غبطتكم رب الوقف يطلع لنا أمر من غبطتكم كي نسلّمه مطلوبه من البذار والآن مقدمين معروضنا هذا لمواطي مسامعكم فالذي يصدر امركم فيه يكون العمل ... » (٢١٠) .

لئن كنا قد أشرنا باستمرار الى شمولية السلطة التي يتمتع بها البطريك ضمن الطائفة وحتى في اطار الحركة ، فلا يجب أن ننحي جانباً ملفتاً من الوقائع . فالموضوعية تقضي علينا بالإشارة الى وجود تيارات ، ولو هامشية ، في الحركة اتخذت طابعاً جذرياً يرفض — على ما يبدو — سلطة الاكليروس . فالخوري بولس الأشقر يرسل الى البطريك تقريراً يخبره فيه ان يوسف حبالين مع عشرين نفر امر « بأن نقوم من الضيعة وانهم لا يقبلونا » . وعرضه لهذه الحادثة « لكي تأمروا ان

٢٠٧. أرشيف بكركي ، ١٤ آب ١٨٥٩ .

٢٠٨. أرشيف بكركي ، ٢٦ آب ١٨٥٩ .

٢٠٩. يبدو أن خط هذه الوثيقة مغاير لخط الوثائق الاخرى الموهورة بامضاء أو بتم طانيوس شاهين .

٢١٠. أرشيف بكركي ، ١٥ آب ١٨٥٩ .

توجه بجلاله (؟) وكل شي راجع لأمركم». وان حبالين قال للخوري الاشقر عندما ذكره بالاجرة: «الذي جابك الى الضيعة هو يعطيك نحن لا ندفع» (٢١١).

د. مشروع الحل المقدم من بكركي يمثل التوازن المتوافق مع سلطة البطريرك:

بعد مفاوضات مطولة، وبعد تدخلات كان ابرزها، ضغط القنصل الفرنسي، بادرت البطريركية الى وضع مشروع حل (٢١٢). للخلاف بين الفلاحين والمشايع. هذا الحل يتألف من ستة بنود (٢١٣) وبرز ما جاء فيها: ان حل الدعاوى (جنائية ومالية وحقوقية) بين الأهالي والمشايع يتم في مجلس القايمة أو في ديوان كومسيون مركب من اعضا يعينهم الفريقان. مع الغاء العديبات ورسم النكاح ومال ويركو المشايخ ومشاعية اراضي جرد كسروان للجميع. ثم ان القائم مقام ينصب ثلاثة فقط من آل الحازن (واحد من كل جب). شرط ان يتمتعوا بالذمة والمعرفة والاستقامة والعدل. وهناك امكانية للعزل في حال الخلل. اما باقي افراد العائلة فلا تدخل لهم مع الأهالي، مع وجوب ضبط النواحي العدلية، وعدم السخرة وما اليها من وجوب مراعاة المشايخ «ظروف القمدن الحاضرة وشرائط الانسانية الواجبة...».

أما البند السادس من «لائحة الاتفاق بين المشايخ والفلاحين» فقد نص على ما يلي: «بند سادس: ان هذه اللائحة من واجب الضرورة ان تحرر اربع نسخ وتنتقم من وكلا المشايخ بيت الحازن ومن وكلا الأهالي أيضاً ويتصادق عليها من قدس السيد البطريرك الكلي الطوبى ومن ديوانه المؤلف بهذا الخصوص من السادة المطارنة شهادة على ما ذكر فيها لتكون دستور العمل. وغب ذلك فنسخة منها تبقى محفوظة في خزانة الكرسي البطريركي ونسخة تتقدم لسعادة القايمة ونسخة تحفظ عند المأمورين ونسخة تحفظ عند وكلا الأهالي».

ان هذا الحل جاء يعكس موازين القوى الفعلية في الحركة. فالأهالي لم يطرحوا منذ البدء مشروع سلطة شعبية تثبت من الارادة العامة لـ «الجمهور»، وانما كان برنامجهم يتصف، بشكل عام، بالطابع الإصلاحية الذي يحاول أن يخفف من ظلم المشايخ من جهة، وان لا يخرج عن دائرة الوصاية من قبل الجهاز الاكليريكي من جهة ثانية. ولئن كان لدينا أكثر من برهان على أن البطريرك مسعد كان يعطف على الفئات الفلاحية (٢١٤)، من موقع حسه الديني وأصوله

٢١١. أرشيف بكركي، ١٠ أيار ١٨٥٩.

٢١٢. يمكن الاستنتاج ان يوحنا الحبيب قد كان له الدور البارز مع البطريرك— في صياغة النص النهائي للحل.

٢١٣. أرشيف بكركي، بدون تاريخ.

٢١٤. أورد الأب انطونيوس شلي اللبناني، في كتابه الآثار المطوية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٣٢٩ صورة مرسوم من غبطته إلى الأب لورنسيوس يمين الشباي الرئيس العام (للرهبنة البلدية) مؤرخ في ١٢ شباط ١٨٥٧: «... بتاريخه حضر لدينا أولادنا يوسف ضوميط البكاسيني وبطرس انطون أبي هاشم من شركاء دير حوب بالوطا واعرضوا لدينا بأن الراهب برتلماوس التنوري تطاول عليها بالضرب وضرب والد يوسف المذكور

الطبقية وثقافته الواسعة ، لكن بما لا شك فيه أن حدود هذا العطف لا يتعدى دائرة الاستمرار التقليدي لفهوم السلطة الدينية الرافضة لكل شرعية قانونية عقلانية تركز على الانتخاب الشعبي وتتكيف مع مسألة الفصل بين شؤون الدين وشؤون الدنيا .

هـ . سلطة البطريك والعلاقة مع السلطة الرسمية للطوائف الأخرى إبان الحركة :

لقد أسهب أكثر الباحثين لهذه الفترة في تحليل دور السلطات العثمانية في تغذية الاضطرابات بين الطوائف اللبنانية من جهة ، وداخل القاطمية المسيحية من جهة أخرى من أجل فرض تدخلها المباشر في شؤون الجبل . ويظهر من خلال المصادر العائدة لهذه الفترة ان البطريك مسعد كان على ادراك لهذا الخطر الداهم ، ولقد تعامل معه بكثير من الحذر والتبصر .

إن فهم السلطات العثمانية لقوة تأثير البطريك على مسار الاحداث أدى الى تكرار اتصالها به للتداول في ما يمكن أن يطرح من حلول . ففي ٤ ك ١٨٥٩ يبلغ القائم مقام بشير احمد البطريك عن نية الامير يوسف علي وحميتلو يوزباشي عثمان آغا مع انفار ارناووط ، الهجي الى « نادي غبطتكم » للبحث في « الحادث الحاصل ما بين اخواننا المشايخ الخوازة ومحبينا واعزازنا أهالي مقاطعة كسروان »^(٢١٥) . وقبل أن يضغط القنصل الفرنسي على السلطات العثمانية بالتدخل لوقف الحوادث ويعلنها من مغبة ادخال قوات كبيرة الى كسروان الامر الذي يتناقض مع « نظامات الجبل » ، كانت السلطات العثمانية برشوة ربما من قبل المشايخ قد ارسلت فرقة الى كسروان للقبض على زعماء الحركة . ففي ١ حزيران ١٨٥٩ يرسل طانيوس شاهين وعبد الله نصر وبشارة غانم ثم باقي الوكلاء رسالة الى البطريك تذكر ان هناك « الامير حسن ومعه سبعين خيال وخمسة وعشرين ارناووط ويده امر بربط اولاد سيادتكم الخواجات طانيوس شاهين وعبد الله نصر وبشارة غانم وقصار الضيع ... وكان مراد الأهالي نحضر الى شننغير ونكحت الأمير حسن ومن معه فاقتضى اعراضه لديكم وهديناهم لبعده علم سيادتكم ومتقدم اعراض بشأن ذلك ولا نبرح من دعاكم »^(٢١٦) ومن المرجح أن البطريك كان أميل الى عدم مجابهة قوات العثمانيين بالقوة لكي لا يعطيهم المبررات التي ينشدونها لتوسيع نطاق تدخلهم العسكري المباشر في المنطقة المسيحية . لكن ما يلفت ترابط الدخول الجزئي لقوات العثمانيين مع اندلاع قتال طائفي

وأهل بيته ونبه عليهم ليطلعوا من بيوتهم وهما واصلان يشرحان لكم القضية بطروفيها . ونرغب من حضرتكم بأن تحصصوا عن حقيقة ذلك وأن وجد تقريرهما صحيحاً فيقتضي ان تقاصصوا الراهب المذكور بموجب قوانينكم ليرتدع عن كذا معطاولات ولا يغني حضرتكم ان الآن ليس هو وقت اخراج الشركاء من الارزاق . وهذا كاف والبركة الرسولية تشمل حضرتكم تكراراً . الختم : الحقيير بولس بطرس البطريك الانطاكي

٢١٥ أرشيف أرشيف - ٤ كانون الثاني ١٨٥٩

٢١٦ أرشيف بكري - ١ حزيران ١٨٥٩ .

بين المتأولة والموارنة في جرد كسروان وجبيل^(٢١٧). إلا أن هذه المصادمات ذات الطابع الطائفي لم تمنع أحد زعماء الشيعة كنج حمادة من الكتابة الى البطريرك مسعد شارحاً أنه بسبب الضيق يريد الذهاب الى بلاد جبيل «ولم نتوجه الى (الا) في خاطرهم فإذا أذنتونا بالتوجه الى محل ارزاقنا نرجو التحرير ونحن تحت خاطرهم...»^(٢١٨).

على صعيد آخر كان ولا شك لحركة كسروان أصداء واضحة في مناطق القانمقامية الدرزية. إذ إن المقاطعيين الدرّوز تحوّلوا من انتقال العدوى الى المسيحيين الموجودين تحت سيطرتهم. فبادر الأمراء والمشايخ المسيحيون كافة إلى عقد اتفاق مع الدرّوز «صاروا الجميع سوية وليس باقي فرق لا بالدين ولا بالعمل...»^(٢١٩).

«... قصدهم يحضروا لكسروان بوجه مصالحة... وحضورهم يكون من كل الجهات ..» اما رد فعل بعض الأساقفة فقد كان سلبياً على هذا الأمر: «سيادة المطارين طوبيا ويوسف جميع حدث عندهم غم وافر من جرى ذلك...» — ويضيف التقرير: — «نحن استحسن عندنا الجواب برأي المتمدان اننا لا نقبلهم حيث به بمعيتهم. دروز ومتأولة فقط نطلب الديوان لا غير...».

إن السلطات العثمانية ووجهاء الطوائف الأخرى كانوا يراقبون ولا شك الدور الهام الذي كان يلعبه البطريرك مسعد في الأحداث، كما أنهم كانوا يستشرفون مشروع السلطة الذي يسعى لترسيخه داخلياً وخارجياً^(٢٢٠) على نحو مواز إن لم يكن مجابه لقيادات الطوائف الأخرى. ولقد تلاقت في هذه المرحلة جملة مصالح دولية متناقضة (فرنسا — بريطانيا — الإدارة العثمانية)، مع آلية الصراعات المركبة ضمن الطوائف وبين الطوائف اللبنانية الأمر الذي أدى الى اندلاع فتنة ١٨٦٠.

لقد كان بولس مسعد محطة هامة في تاريخ البطريركية المارونية. فهو رجل التقوى ورجل التعصب في آن، جمع بين عمق الثقافة التاريخية، والأصول الفلاحية واردة السلطة التي ترفض أن يكون لها حدود في مجالي الدين والسياسة. هذه السلطة كانت في خطوطها العامة مزيجاً مركباً. فهي من جهة تتحسس مع الفلاحين «والشركاء» حاسمة مسألة استقلالها — إن لم يكن معاداتها — للمؤسسة الاقطاعية. لكن في موازاة ذلك كانت ترفض مقولات الحرية والارادة الشعبية، محاولة أن تفرض شرعيتها الدينية كقيادة للطائفة المارونية وبروجية المواجهة والعصية للطوائف الأخرى.

٢١٧. أرشيف بكركي، ٥ حزيران ١٨٥٩، تقرير من طانيوس شاهين الى البطريرك حول هذه الأحداث.

٢١٨. أرشيف بكركي، ٢٠ ربيع أول ١٢٧٧.

٢١٩. أرشيف بكركي، لا تاريخ.

٢٢٠. يمكن مراجعة رواية الدرّوز عن حوادث لبنان، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية،

ج ٢، المرجع السابق صفحة ٣٠٦. ٣١٨

- من هنا تبقى هناك اسئلة جوهرية تفترض المزيد من البحث والمعالجة :
- ما هو مضمون الفكر السياسي والاجتماعي الذي انتجته المدرسة المارونية من خلال اعدادها الديني لكوادرك الكنائس الكاثوليكية في الشرق ؟
 - لماذا لم تنتج ثقافة المدرسة المارونية فكراً دينياً واجتماعياً يربط بين الالتزام بتحرير الفلاح... وغير الفلاح — من ربة الاستغلال ويسعى لتحقيق الحرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية باتجاه بناء الدولة الديمقراطية الحديثة ؟
 - لماذا لم تنتج المدرسة المارونية فكراً يجمع بين تراثنا الروحي المشرقي العريق ، وبين انجازات الفكر اللاهوتي المسيحي المتجدد مع مفاهيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الانسان ؟
- ان هذه الاسئلة — واخرى كثيرة غيرها — ليست مطروحة فقط بالنسبة للمدرسة المارونية في روما والثقافة التي انتجتها ، بل انها مطروحة على «مدارس كل الطوائف» ، وعلى قوى المجتمع اللبناني ، والمشرقي عامة ، وعلى امتداد مرتكزات ثقافته المعاصرة .

الأرشيف ووزارة الخارجية الفرنسية (١٩١٨-١٩٤٥) وأهميته في كتابة التاريخ اللبناني

• بحث مقدم الى المؤتمر الأول لأرشيف تاريخ لبنان الذي عقد في كلية الآداب (الفرع ٢) — الفنار —
الجامعة اللبنانية ، ١٩٨٣ .

الرئيسية وزارة الخارجية الفرنسية (١٩١٨-١٩٤٥) والرئيسية في كتابة التاريخ اللبني

د. عصام خليفة*

مقدمة حول الارشيف

أ) التحديد اللغوي والمعنوي

يكاد يكون من المتفق عليه بين أغلب اللغويين ان كلمة ارشيف (Les Archives) هي ذات أصول لاتينية ويونانية. فكلمة (Archivum) اللاتينية تعني - من الوجهة اللغوية - الورقة، وربما توسع هذا المعنى فشمّل معنى «المستند». أما كلمة (Archeion) اليونانية فتعني، من الوجهة اللغوية، «المكتب» أو الموجودات المختلفة في مكان ما^١.

والارشيف، تحديداً هو عبارة عن مجموع الوثائق المأخوذة والموضوعة في حوزة شخص مادي أو معنوي، أو مؤسسة عامة أو خاصة. وعملية جمع هذه الوثائق وتنظيمها تهدف إما الى استعمال فردي أو مباشر، وإما من أجل استعمال لاحق محتمل^٢. بيد ان الوثائق لا تقتصر على مجموعة من الأوراق، بل انها قد تتشكّل ايضاً من الخرائط والصور الفوتوغرافية والأفلام والشرائط المسجلة وغيرها، وربما يصبح الفيديو - وهو من الصوت والصورة - أحد وثائق المستقبل.

ب) الارشيف والكتابة التاريخية:

يعتبر البعض ان الارشيف هو ذاكرة الزمن الماضي والحاضر وذاكرة الزمن الآتي، وقد أصبح، خاصة منذ قرنين، المصدر الذي لا غنى عنه لكل عمل في مجال الكتابة التاريخية. لا بل ان البعض يذهب الى اعتبار مخازن الارشيف مخبر المؤرخين^٣. وبشكل عام لم تنهض الكتابة

١. كلية الآداب والعلوم الانسانية (٢)، الجامعة اللبنانية.

٢. نسيب عبد الصمد، المحفوظات اللبنانية في ستين عاماً، لا اسم للطبعة، لا تاريخ، ص ١٤.

٣. Jean FAVIER, *Les Archives*, «Que sais-je?», P.U.F., 1975, p. 5.

٤. المرجع السابق، صفحة ٣٩.

التاريخية نهضتها الحقيقية إلا بعد النهضة التي عرفتها المكتبات والمتاحف ودور الإرشيف ، هذه الأماكن التي تجمع الوثائق المتنوعة لموضوع معين في مكان واحد ساحة للمؤرخين ان ينكبوا على دراساتهم وأبحاثهم . وفي هذا السياق يجب الإشادة بدور الحكومات والدول - المتحضرة - التي اعتبرت منذ قرون عدة^٤ ان كل الوثائق السياسية والأمرية ونصوص القوانين وسجلات قرارات السلطة والمعاهدات وما إليها كلها ملك الدولة ، كما انها منذ القرن الماضي وسعت حقوق مطالباتها لعدة أنواع من الوثائق فصادرتها ، ووضعتها في مستودعات على أسس منظمة ، مسهلة الرجوع إليها عند الحاجة الى البحث . وانطلاقاً من ذلك تبرز جدلية الترابط بين تعزيز الدول للإرشيف وقيام النهضة في التأليف التاريخي . ولكن هذه الجدلية لا تعني تغييب دور المؤرخين ، فوهبة المؤرخ المتفوق لا تكن فقط في اكتشاف الوثائق ، بل ترتبط ايضا بمعرفة اي الوثائق يجب ان يكشف ومتى وكيف يستعملها^٥ .

اذا كان من غير الممكن كتابة التاريخ إلا على أساس الوثائق^٦ ، واذا كانت الخطوة الأولى في العمل التاريخي هي خطوة البحث عن الوثائق (heuristique) ، فان الارشيفات (التي هي مجتمعة للوثائق) تصبح أداة البحث التاريخي من درجة أولى . من هنا ضرورة تنظيمها لتقوم بمهمتها على وجه أكمل ، وتسهيل استعمالها في أقل وقت وبأقل جهد .

فالارشيفات غير المفهومة تبدو وكأنها ليست لكل الباحثين الذين لا يجدون متسعاً من الفراغ كما يقوموا هم أنفسهم باستقصاء هذه الخزائن والمستودعات . علماً ان الارشيف لم يعد مقتصرًا على أقلية من المثقفين ، بل أصبح الاطلاع عليه ملكاً للجميع وبالتالي أصبح أداة ثقافة ، وأحد أبرز أعمدة التربية . عبره يندمج الماضي في حضارة عصرنا الحاضر ، وعبره تستطيع قطاعات واسعة من الناس اكتشاف او تذكر تاريخ هذا الحاكم ، أو أوضاع بلاطات الأمراء وعائلات

٤ . لقد وجد علماء الآثار العديد من الارشيفات المحفوظة في المعابد المصرية القديمة ، وفي قصور ما بين النهرين ، وكذلك في ماري وأوغاريت وإيبلا ، وقد شكّلت هذه الارشيفات المادّة الأساسية لكتابة التاريخ القديم لهذه المنطقة . والجدير ذكره ان حفظ الوثائق عند شعوب الشرق القديم تنم عن رقي حضاري نسبي .

٥ . Henri-Irénée MARROU, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, Paris 1975, p. 72

٦ . « الوثيقة هي كل مصدر يمكن استقاء المعلومات منه من قبل المؤرخ لتوضيح جوانب الماضي » مارو ، المرجع السابق ، ص ٧٣ . وكولنجوود يقول : « كل شيء يمكن ان يصبح وثيقة بالنسبة لأي موضوع . ليس التاريخ سوى استثمار الوثائق » لانجلوا وسينويوس . المدخل الى الدراسات التاريخية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٢٤٨ .

« قبل ان تصبح الوثيقة التاريخية نتاجاً مهماً كانت عامل دفع لعملية التقدم الحضاري » .

Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 75

« اذا ضاعت الاصول ضاع التاريخ » (أسد رستم)

« Dès qu'une civilisation a conservé les "archives" de ses autorités publiques, économiques, religieuses, "l'historien" cesse d'être nécessairement un "archéologue"; il peut travailler sur un terrain solide et dès lors, l'histoire peut être écrite scientifiquement sur les documents et non plus reconstituée par voie de conjectures. » *L'Histoire et ses méthodes*, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961, p. 1121

الاقطاعيين، او تحرك العاميات الشعبية، فضلاً عن معرفة دقائق الحياة الروحية والمادية للشعب (اللباس، المأكل، شؤون الزواج والعادات والزراعة والصناعة والتعليم والدين والطقوس... الخ).

واذا كنا قد أكدنا على أهمية الارشيف الرسمي (الذي تملكه الدولة)، فإن الارشيفات الخاصة لها أهميتها هي الأخرى بالنسبة للمؤرخ. فارشيفات الأديار، والمدارس، والبنوك، والعطارين والبقالين والدكنجية، وارشيف التعاونيات وكتاب العدل وارشيف الشخصيات المرموقة وملفات العائلات المتنوعة كلها مواد هامة للمؤرخ.

(ج) بعض التوصيات

انطلاقاً من أهمية الارشيف (الرسمي والخاص) بالنسبة للتأليف التاريخي والثقافة التربوية نطرح بعض النقاط كتوصيات يمكن ان يتخذها المؤرخ:

١. ايلاء الارشيف، من قبل السلطة، أهمية قصوى.
٢. وضع موازنة سخية لمؤسسة المحفوظات الوطنية.
٣. استقطاب أوسع الكفاءات اللبنانية وتمييزها في هذه المؤسسة.
٤. تخصيص مئآت الطلاب اللبنانيين، خاصة في الخارج، في علوم التوثيق وتقنيات الحفاظ على الوثائق والآلات المتطورة لاستعمالها (التبويب، النسخ، التصوير، التكبير، استعمال العقول الالكترونية... الخ).
٥. المباشرة فوراً ببناء مركزي، وأبنية أخرى لامركزية، لحفظ الارشيف اللبناني. مع لحظ كل المستلزمات الضرورية في هذه الأبنية (ان لجهة الحرارة وما إليها ام لجهة مواجهة الحريق كالأبواب والباطون المضاد للنار الخ...).
٦. إصدار قانون جديد يسمح بموجبه للدولة مصادرة او تصوير كل الوثائق الموجودة بمحوزة المؤسسات أو الأفراد، والتي تعتبر هامة بالنسبة للتاريخ اللبناني.
٧. وضع خطة للتعرف العام على أماكن وجود الوثائق المتعلقة بتاريخ لبنان (والمنطقة المحيطة به لاحقاً). وهذا يعني تحديد الأماكن مع معرفة أولية بما تحتوي هذه المراكز من وثائق متصلة بتاريخنا.
٨. التعرف التفصيلي على هذه الوثائق مع وضع لوائح باسمائها.
٩. إمكانية اعتبار اسطنبول وروما وباريس ولندن ومدريد وفيينا وبرلين وبيترسبورج (ليننغراد) واثينا ودمشق وواشنطن - وربما غيرها - أماكن أساسية لتواجد الوثائق اللبنانية. وهذا يفترض أمرين على الأقل:
- إرسال بعثات لبنانية دائمة لتصوير الوثائق على ميكروفيلمات، حسب أولوية الاهتمام.
- وضع اتفاقيات ثقافية مع الدول المعنية بهذا الصدد.

١٠. وضع فهرس تفصيلية للوثائق مع أماكن وجودها.
١١. وضع فهرس علمية ، مع إمكانية طبع وتحقيق الوثائق على نحو علمي رصين وذلك ضمن خطة زمنية معينة.
١٢. طبع دليل بمحتويات المحفوظات الوطنية لمساعدة المؤرخين.
١٣. طبع أكثر من دليل بمحتويات محفوظات بعض المراكز الهامة للوثائق (بكركي - المحاكم الشرعية الخ...).
١٤. القيام بترجمات منظمة (بعدة لغات) لكل ما يتعلق بوثائق التاريخ اللبناني والعمل بالتنسيق مع الأونسكو.
١٥. إعطاء الأولوية لإعادة تنظيم المتحف الوطني « والإفراج » عن الوثائق والمخطوطات والميكروفيلمات الموجودة فيه.
١٦. إقامة أسبوع أو شهر يسمى أسبوع أو شهر الارشيف. (تطبع خلاله الطوابع البريدية ، وتلقى المحاضرات وتستعمل وسائل الاعلام ، كلها عن الارشيف).

حول دور الجامعة اللبنانية

١. يبادر أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية الى إنشاء ، « الجمعية التاريخية اللبنانية » .
٢. يتم إنشاء مركز أو مراكز للأبحاث التاريخية ملحقه بأقسام التاريخ . ويكون من مهماتها تأمين الوثائق والدراسات التاريخية لمختلف حقبات التاريخ اللبناني .
٣. إصدار مجلة أو مجلات تاريخية عن هذه المراكز والأقسام .
٤. تبادل الميكروفيلمات بين الجامعة اللبنانية وبقية الجامعات ومراكز الارشيف في لبنان وفي الخارج .
٥. وضع خطة تثقيف لطلاب الجامعة اللبنانية ، ولباقي الطلاب في المراحل الجامعية والثانوية يكون من مهماتها تنمية حس الاحترام والحفاظ على الوثائق . ويمكن في هذا المجال استعمال وسائل الاعلام (راديو وتلفزيون وصحف...) ويمكن استعمال المحاضرات المباشرة وكذلك من المستحسن إشراك باقي قطاعات الشعب في هذه الحملة .

القسم الأول :

ارشيف « الكي دروسه » المتعلق بتاريخ لبنان (١٩١٨ - ١٩٤٥)

يُعتبر ارشيف الكي دورسه Quai d'Orsay من أهم مراكز الارشيف في فرنسا . ففيه توجد التقارير الدبلوماسية التي تتشكل من تقارير Rapports ، وبرقيات Dépêches وملاحظات Notes . وهذه التقارير تعود الى العام ١٦٦٢ ، وهي منظمة عادةً بشكل مجلدات Volumes ، وعددها لا يقل عن ٢٠ ألف مجلد^٧ . ويتضمن هذا الارشيف ايضاً مجموعة كبيرة من المذكرات ، والوثائق ، وهي تقارير مكتوبة من قبل أقسام الوزارة ، وملفات^٨ قضايا مُرسلة بالبريد من قبل الدبلوماسيين ، وأوراق بروتوكول وغيرها من مثل الارشيفات الخاصة لبعض قدماء وزراء الخارجية الفرنسيين .

والدخول الى هذا الارشيف يخضع لجملة شروط مطبوعة تسلم نسخة منها لجميع الذين يريدون البحث والتنقيب . منها ان يحمل الباحث اذنًا خاصًا من أستاذه ، أو إفادة من الجامعة أو مركز الأبحاث الذي يعمل فيه ، مبرزًا هدفه من البحث ، وبناءً على ذلك تتم الموافقة . ومنها ايضاً ان يرسل الباحث الى إدارة الارشيف نسخة عن كل دراسة قد يكتبها مستعملًا الوثائق التي اطلع عليها الخ...

دوام العمل بين الساعة الثانية بعد الظهر والساعة السابعة مساءً ، ما عدا يوم السبت فالدوام بين العاشرة والواحدة بعد الظهر ، ويوم الأحد عطلة .

يتمكن الباحث أن يطلب ٣ مجلدات فقط كحد أقصى يوميًا ، ويتم تسليمها في اليوم التالي . إمكانية تصوير الوثائق مُتاحة ، لكن من خلال شركة خاصة ، فتقدّم إليها لائحة بالصفحات وأرقام المجلدات التي توجد فيها هذه الصفحات ، ويستغرق الأمر بعض الوقت^٩ .

أما لجهة شكل الوثائق فهي في أغلبيتها الساحقة مسحوبة على الآلة الكاتبة ، مما يسهّل القراءة . لكن ثمة بعض الرسائل الشخصية من الوزير أو الموظفين أو غيرهم يمكن قراءتها بصعوبة . كما هناك عرائض وملفات تتفاوت في أحجامها أغلبها مكتوب بخط اليد .

٧. Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 99

٨. بالنسبة للارشيف المتعلق بلبنان ١٩١٨ - ١٩٤٥ ، يوجد آلاف العرائض والمذكرات والبيانات السياسية والكراسات وقصاصات الصحف والكتيبات التي تعكس مختلف النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتربوية وغيرها...

٩. ان مسألة التصوير في مركز الأرشيف الانجليزي (Public Record Office) هي اكثر سرعة ، وطلب الوثائق كذلك يتمّ بدقائق بسبب الاستعانة بالعتل الالكتروني.

توجد المحفوظات المتعلقة بتاريخ لبنان (١٩١٨ - ١٩٤٥) ، والتي اطلعت عليها^{١١} ، تحت ستة عناوين :

١. *Archives diplomatiques, E - Levant 1918-1929*. Sous-série: Syrie-Liban-Cilicie

٢. *E - Levant*. Sous-série: Syrie-Liban (1930-1940)

٣. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.

٤. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Londres C.N.F.

٥. *Arabie 1918-1920*

٦. *Série Y. International*

سأحاول ، قدر الإمكان ، أن أعرض المواضيع العامة التي تتضمنها هذه العناوين ، مع ذكر أرقام المجلدات التي تحتوي التفاصيل .

١ و ٢ *E - Levant 1918-1940*

أرقام المجلدات	المواضيع العامة
من ١ الى ٤٠	- الأمور السياسية العامة (من ١٧ شباط ١٩١٨ الى ٣٠ تموز ١٩٢٢)
من ٤٢ الى ٤٥ + ٢٦٥	- العرائض
٤٦	- وثائق سياسية مطبوعة
٤٧ A + ٤٧ B + ٥٠ الى ٥٥	- الحكومات وتنظيمها الإداري
من ٤٨ الى ٤٩ + من ١٥٣ الى ١٥٦	- التمثيل الدبلوماسي
من ٥٦ الى ٥٨ + من ٢٨٦ الى ٢٩٦ + من ٥٢٥ الى ٥٣٩	- الصحافة
	- الاقتصاد والمال :
من ٦٠ الى ٦١ + ٣١٣	الوضع الاقتصادي العام
من ٦٢ الى ٦٦ + من ٧١ الى ٧٢ + من ٣١٥ الى ٣١٨	الوضع المالي العام
من ٥٤٨ الى ٥٥٣	الضرائب
من ٦٧ الى ٧٠ + من ٣٢٤ الى ٣٢٩ + من ٥٥٤ الى ٥٥٨	الموازنة

١٠. ربما يكون هناك محفوظات ، متعلقة بتاريخ لبنان في هذه الفترة ، ولم اتمكن من الاطلاع عليها .

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الجوارك	٧٣ + من ٣٣٢ الى ٣٣٨ +
	من ٥٦٠ الى ٥٦٥
الزراعة	من ٧٥ الى ٧٦ + من ٣٣٩ الى ٣٤٠ + ٥٦٠
التجارة	من ٧٨ الى ٧٩ + من ٣٤١ الى ٣٤٢ + ٥٦٧ الى ٥٧٢
المعارض	٨٠ + من ٥٧٣ الى ٥٧٥
الصناعة	٨١ + من ٥٧٦ الى ٥٧٧
المناجم	٨٢ + ٣٤٣
البترول	٣٤٤
مسائل التبغ	٣٢٠
مسائل الديون	من ٣٢٢ الى ٣٢٣
البنوك	من ٣٣٠ الى ٣٣١ .
الترامواي والكهرباء	٣٥١
الغاز والمياه	٣٥٣
- الاشغال العامة	من ٨٣ الى ٨٤ + ٣٤٥ + من ٥٧٨ الى ٥٨٠
- طرق ووسائل الاتصال :	٣٥٨
سكك الحديد والطرق	من ٨٥ الى ٩١ + من ٣٦٢ الى ٣٦٤ + ٥٨٨
الملاحة البحرية	من ٩٢ الى ٩٣ + ٣٦٨
البريد والهاتف والتلغراف	من ٩٤ الى ٩٧ + من ٣٦٩ الى ٣٧٢ + من ٥٩٣ الى ٥٩٤
المرافئ	٣٥٥ + من ٥٨١ الى ٥٨٧
الطيران	من ٣٥٩ الى ٣٦٠ + من ٥٨٩ الى ٥٩٢
مطبوعات	٣٦١
- العدالة	من ٣٧٣ الى ٣٧٧ + من ٥٩٥ الى ٥٩٩ + من ٩٨ الى ١٠٢
- التربية	من ١٠٣ الى ١٠٥ + من ٣٧٨ الى ٣٧٩ + من ٦٠٠ الى ٦٠١
- الآثار	٣٨٠ + ١٠٦

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
- الصحة	من ١٠٧ الى ١٠٨ + من ٣٨٢ الى ٣٨٧ + من ٦٠٣ الى ٦٠٤
- قضايا متنوعة (سياسية ، ادارية ، تجارية ، ثقافية ودينية)	١٠٩ + ٢٦٠ + من ٣٨٨ الى ٣٩٢ + من ٤١٥ الى ٤٢٣ + ٤٢٦ + من ٦٢٥ الى ٦٢٨
- الباسپورات	١١١ + ٣١٠ + من ٥٤٤ الى ٥٤٧
- الجيش والنواحي العسكرية	من ١١٢ الى ١٢٤ + من ٢٣٣ الى ٢٤٢ + من ٢٨٠ الى ٢٨٥ + من ٥٢١ الى ٥٢٤
- الرقابة البحرية	من ٦٣٢ الى ٦٣٥
- الأوسمة العسكرية	من ٤٤٩ الى ٤٥٤
- أوضاع الدول	من ١٢٥ الى ١٢٧ + من ٢٤٣ الى ٢٥١
- الجاليات اللبنانية - السورية في الخارج	من ٢٥٦ الى ٢٥٨ + من ٢٦٢ الى ٢٦٤
- الصحافة الفرنسية والمسألة السورية	من ١٢٨ الى ١٣٢ + من ٣٩٥ الى ٤٠٠
- السياسة الخارجية للمفوضية العليا	من ١٣٣ الى ١٣٤ + من ٥٤٠ الى ٥٤٢
- السياسة الداخلية للمفوضية العليا	من ١٦٠ الى ١٨٩ + من ٤٥٥ الى ٤٦١
- الدعاية الفرنسية والدعاية ضد الانتداب الفرنسي	من ١٩٠ الى ٢٠٧
- اعداد دساتير الدول الواقعة تحت الانتداب	من ٢٠٨ الى ٢١٦ + ٢٩٧ + ٥٤٣
- تقارير المفوضية الفرنسية الى عصبة الامم عن الأوضاع في سوريا ولبنان	من ٢١٧ الى ٢٢٧
- الاتفاقات الدولية المطبقة في مناطق الانتداب	من ٢٢٨ الى ٢٣٢ + من ٥٠٥ الى ٥٠٧
- تقارير عن القبائل والبدو الرحل في مناطق الانتداب	من ٢٥٣ الى ٢٥٤
- اعمال المساحة	٢٣٦
- المصالح المشتركة	٢٥٥
- المسائل الدينية (الأوقاف، المراجع الاسلامية، البطريركيات المسيحية)	٢٥٩
- مسائل الحدود	من ٢٧١ الى ٢٧٩ + من ٥٠٨ الى ٥٢٠
	من ٢٩٨ الى ٣٠٩ + من ٤٦٢ الى ٥٠٤

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
- طلبات خاصة	٣١١
- مسائل متنوعة	٣١٢
- تقارير المخابرات	من ٤٢٧ الى ٤٣٥ + من ٦٢٩ الى ٦٣١
- الفرنسيون في سوريا ولبنان	من ٦٠٥ الى ٦٠٦
- اللبنانيون والسوريون في فرنسا	٦٠٢ + من ٦٠٧ الى ٦١٣
- مسائل الجنسية والحماية	من ٤٠١ الى ٤١٤ + من ٦١٤ الى ٦٢٤
- المفوضية العليا :	
سلطات المفوض السامي	من ١٤٧ الى ١٥٠
الموظفون الفرنسيون في دول الانتداب	١٥١
مندوب المفوضية في باريس	١٥٢ + ٤٣٩
الجريدة الرسمية للمفوضية العليا	٤٢٤
تقارير دورية عن نشاطات اجهزة	
المفوضية العليا	٤٢٥

٣. Guerre 1939-1945, Londres C.N.F.

- ابرز الاحداث السياسية في سوريا ولبنان	(تموز ١٩٤٠ + تموز ١٩٤٣)
- مشاريع الاتفاقات الفرنسية - الانجليزية	من ٣٩ الى ٤٠
- حول المشرق (تموز ١٩٤١ - ك ٢. ٤٣)	٤٣
- العلاقات الفرنسية - البريطانية في المشرق	
- بعد الاتفاق (ك ١ ١٩٤٢ - ت ٢ ٤٣)	٤٤
- السياسة الاميركية في المشرق (ايلول ١٩٤١ -	
حزيران ١٩٤٣)	٤٥
- امور متعلقة بشخص المندوب العام	
(آب ١٩٤١ - تموز ١٩٤٣)	٤٦
- العلاقات الدبلوماسية	
(ايلول ١٩٤١ - ايار ١٩٤٣)	٤٧
- تقارير عن نشاط اجهزة المفوضية	
(١٩٤٢ - ١٩٤٣)	٤٨
- الصحافة والاعلام (آذار ١٩٤١ - ٤٣)	من ٤٩ الى ٥٠

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
- مسائل عسكرية (ت ٢ . ١٩٤٠ - ت ٢ . ١٩٤٣)	٥١
- مسائل دينية (٢ آب ١٩٤١ - ٢٤ ايار ١٩٤٣)	٥٢
- مسائل حقوقية (٢٥ نيسان ١٩٤١ - ١١ آب ١٩٤٣)	٥٣
- مسائل اقتصادية (ك ٢ . ١٩٤١ - تموز ٤٣) من ٥٤ الى ٦٠	
- ملف لمختلف الشخصيات اللبنانية والسورية (١٩٤٢ - ١٩٤٣)	
من A الى L	٦١
من M الى Z	٦٢
- الجاليات اللبنانية في الخارج (ت ١ . ١٩٤٠ - حزيران ١٩٤٣) من ٦٣ الى ٦٥	

٤ . Guerre 1939-1945, Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.

- الازمة اللبنانية (٢ آذار ١٩٤٣ - ٣٠ ت ١ . ١٩٤٤)	
- واصدائها الخارجية - الاتفاقات والعلاقات مع الحلفاء	من ٩٩٩ الى ١٠٠٣
أ (الانتخابات في سوريا ولبنان)	
(آذار - ت ٢ . ١٩٤٣)	١٠٠٤
ب) الصدامات اللبنانية (آب - ت ٢ . ١٩٤٣)	١٠٠٥
ج) مسألة يوسف كرم (ك ١ . ١٩٤٣ - آب ١٩٤٤)	١٠٠٦
د) معلومات عن رجالات السياسة السوريين واللبنانيين	١٠٠٧
هـ) مفاوضات مع السلطات الاسلامية (ت ٢ . ١٩٤٣ - آب ١٩٤٤)	١٠٠٨
- الصحافة والاعلام : الاعلام السياسي (حزيران ١٩٤٣ - آب ١٩٤٤)	١٠٠٩

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الصحافة الاجنبية واحداث المشرق	
(ت ٢ . ١٩٤٣ - ك ٢ . ١٩٤٤)	من ١٠١٠ الى ١٠١١
الصحافة والمجلات اللبنانية	
(آب ١٩٤٣ - ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٢ الى ١٠١٥
- القضايا المالية : (بما فيها بنك الاصدار ومصارفات سلطات الانتداب والموازنة)	
(آب ١٩٤٣ - ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٦ الى ١٠١٧
- القضايا العسكرية (آب ١٩٤٣ -	
ك ١ . ١٩٤٤)	من ١٠١٨ الى ١٠١٩
- القضايا الحقيقية (ك ٢ . ١٩٤٣ -	
ت ١ . ١٩٤٤)	١٠٢٠
- المسائل الدينية (ك ١ . ١٩٤٣ - ايلول ١٩٤٤)	١٠٢١
- المسائل المتعلقة بالتبادل الديبلوماسي	
(شباط - آب ١٩٤٤)	١٠٢٢
- المسائل الاقتصادية بما فيها البترول والزراعة	
والاستيراد (حزيران ٤٣ - ايلول ٤٤)	من ١٠٢٣ الى ١٠٢٥
- الأوراق الخاصة للمندوب العام الفرنسي	
(ك ٢ . ١٩٤٣ - ت ١ . ١٩٤٤)	من ١٠٢٦ الى ١٠٢٧
- الجاليات اللبنانية والسورية في الخارج	
(نيسان ١٩٤٣ - ١٩٤٤)	١٠٢٨
- مآثر الفرنسيين في المشرق	
(تموز ١٩٤٣ - ايلول ١٩٤٤)	١٠٢٩
- رصد حركة القومية العربية	
(شباط ١٩٤٣ - ت ٢ . ١٩٤٤)	من ١٠٣٠ الى ١٠٣٢
- سياسيات الدول الكبرى	
(أذار ١٩٤٣ - ك ١ . ١٩٤٤)	١٠٣٤

٥. Arabie 1918-1920

تحت هذا العنوان توجد أغلب الوثائق المتعلقة بالشريف حسين وولده فيصل ، ويمكن للباحث ، خاصة في المجلدات الأولى ، ان يجد الكثير من الأمور المتعلقة بسياسة فيصل ازاء لبنان .

٦. Série Y. International

يمكن للباحث ان يحد المداولات والمؤتمرات الدولية التي عقدها الحلفاء للبحث في مستقبل تركيا، ومن ضمنها المسألة السورية، وذلك في اطار مؤتمر الصلح. فعلى سبيل المثال مداولات مؤتمر سان ريمو توجد خاصة في المجلدات ٦٦٩ الى ٦٧١.

انطلاقاً من هذا الثبت العام بأهمّ العناوين التي يتضمنها ارشيف الكي دورسه، بالنسبة لفترة الانتداب في سوريا ولبنان، نطرح السؤال:

- ما هي الاهمية لهذه الوثائق في كتابة تاريخ لبنان المعاصر؟
- لا شك ان قيمتها لا تقدّر بثمن، فهي تساعدنا على عدة مستويات، في الكتابة التاريخية:
- تساعدنا في معرفة تسلسل الأحداث والوقائع.
- وتساعدنا في دراسة المؤسسات السياسية (كالحكومة، والبرلمان والأحزاب والجمعيات والساتير).
- وتشكّل منجماً لا ينضب للتاريخ الاقتصادي (الضرائب، الموازنة، الزراعة والصناعة والتجارة، والمواصلات، الجمارك، والأوضاع المالية...).
- كما تساعد في كتابة التاريخ العسكري (تقارير عن العمليات الحربية والأسلحة وما إليها...).
- وفيها العديد من العناصر المسهلة لكتابة التاريخ الديني وتطور المؤسسات الدينية (أوقاف، طقوس، شخصيات دينية، معلومات عن الطوائف...).
- وثمة ملفات شبه متكاملة عن تاريخ الصحافة بمختلف تياراتها، وكذلك عن التاريخ الثقافي وبخاصة تطور المؤسسات التربوية.
- وهناك معلومات، قلماً توجد في مكان آخر، عن العلاقات الدولية ومسائل الحدود والاتفاقيات الدولية حول لبنان والمنطقة.
- كما هناك تقارير تساعد في التاريخ الاجتماعي للبنان وبخاصة التاريخ الديمغرافي.
- حتى ان هذه الوثائق تساعدنا في كتابة تاريخنا القديم من خلال تقارير الاكتشافات الأثرية، وكذلك ثمة معلومات في مجال التاريخ الطبيعي.
- وتساعدنا هذه الوثائق في دراسة تاريخ الادارة والقضاء، وكذلك مسائل الملكية وما إليها.
- بالإضافة الى هذه الأمور تقدّم لنا وثائق ارشيف الكي دورسه خدمات جلي في الدراسات الانثروبولوجية والجغرافية والسياسية ومختلف المجالات الثقافية بمفهومها الواسع.
- اذا كانت اشادتنا عميقة باهمية هذا الارشيف كمصدر بالغ الغنى لكتابة تاريخ لبنان المعاصر، فهذا لا يعني اعفاء المؤرخ من استعمال كافة تقنيات النقد التاريخي التي تبرزها الكتب المعروفة في هذا المجال^{١١}، وبخاصة الحرص على عدم اخذ كل ما يرد في جميع التقارير الديبلوماسية كحقائق راهنة.

١١. L'Histoire et ses méthodes, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961.

القسم الثاني^{١٢}

مدخل الى أهمّ الجمعيات والأحزاب السياسية والحركات في لبنان (١٩١٨ - ١٩٢٠) من خلال أرشيف الكي دورسه

سنحاول ، في هذا القسم من بحثنا ، ان نستعمل بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض البرامج التي وضعتها ، والتحركات التي قامت بها ، بعض التيارات اللبنانية^{١٣} في المهاجر خاصة ، بالنسبة لمستقبل لبنان وعلاقته بمحيطه .

ولكن قبل ذلك نرى من الضروري التوقف عند جملة ملاحظات :

١. ان اقتصرنا على عرض برامج ونشاط هذه الأحزاب والحركات لا يعني عدم وجود قوى سياسية اخرى . وربما تكون هامة ايضاً .
٢. لم نتطرق تقريباً الى برامج وتحركات فيصل والأحزاب المؤيدة له ، ومجلس الادارة اللبناني ، والوفود اللبنانية الثلاثة التي ارسلت الى باريس ، باعتبار ان هذه القضايا قد استقطبت من اهتمام أغلب الباحثين ما كاد يطمس دور القوى الأخرى .
٣. حاولنا ان نقوم بعرض عام لبرامج هذه القوى وبعض أهم تحركاتها ، ولم ندخل في تحليل بناها الاجتماعية ، ولا في جذور ايدولوجياتها ، والتأثير الناتج عنها على القوى والأحزاب التي تنالت بعدها .
٤. لم ندخل ، بالعمق اللازم ، في مجال تحليل السياسات الفرنسية والانجليزية وتأثيراتها على هذه القوى . وربما يكون لنا عودة الى هذا الموضوع لاحقاً .
٥. ان انتقائنا للتيارات ذات التوجّه السوري او التوجّه اللبناني ، لا يعني عدم وجود تيارات اخرى ذات توجهات مختلفة خاصة دينية او عروبية .
٦. حاولنا قدر الامكان الاعتماد على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض المعلومات عن هذه التيارات ، علماً ان ثمة دراسات وكتب (حول هذه التيارات) ، فيها العديد من الأمور الهامة والتي لم نذكرها . فنحن لا نطمح الى ايفاء كل من هذه الحركات حقّها من الاحاطة

p. 1247-1389 (surtout les faux dans les archives et les bibliothèques, p. 1367-1389)

المدخل الى الدراسات التاريخية ، تأليف لانجلوا وسنيويوس ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، ط ٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٥١ - ١٦٤ .

Henri-Irénée MARROU, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, 1975, p. 117-140

١٢. ملاحظة بالنسبة للهوامش اللاحقة : سنستعمل في القسم الثاني من هذه الدراسة مصطلح (A.E.).

اختصاراً لـ : Archives du Ministère des Affaires Étrangères, E - Levant, Syrie-Liban- Cilicie وكذلك V. اختصاراً لـ : Volume

١٣. لقد شارك العديد من غير اللبنانيين في نشاط هذه التيارات .

والدرس ، بل ان هَمَّا يقتصر على اعطاء عينات تطبيقية عن كيفية مساعدة ارشيف الكي دورسه لنا في استخراج المعلومات - الجديدة على ما اعتقد - في موضوع كتابة تاريخ الفكر السياسي اللبناني ، وتطور ايدولوجيات بعض النخب من مختلف الطوائف ، في فترة تاريخية محدّدة ، وبالنسبة لموضوع تاريخي محدّد .
يتضمّن هذا القسم من الدراسة نقطتان :
اولاً : التيارات ذات التوجّه السوري .
ثانياً : التيارات ذات التوجّه اللبناني .

اولاً : بعض التيارات ذات التوجّه السوري

من المسلّم به ، عند أغلب الباحثين ، ان الأمير فيصل بما يمثّل من قوى متشعبة مؤيّد له ، كان هو صاحب المشروع الأساسي الداعي الى وحدة سوريا في الفترة الواقعة بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ . لكن من خلال وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يبرز ان ثمة تيارات أخرى كان لها مشروعها في وحدة سوريا ولكن على أسس وتصورات مغايرة نسبياً لمشروع الأمير فيصل .
أبرز هذه التيارات ثلاثة :
- اللجنة المركزية السورية .
- حزب الاتحاد السوري .
- جمعية سوريا الجديدة الوطنية .

I. اللجنة المركزية السورية Le Comité Central Syrien

كانت بوادر الصراع بين الانجليز والفرنسيين قد بدأت تظهر حول تطبيق اتفاقية سايكس-بيكو ، وكان هم حل المسألة السورية ، على نحو يتفق مع مصالح الهيمنة الفرنسية ، قد أخذ يطرح نفسه بالحاح على الأوساط النافذة في وزارة الخارجية الفرنسية . وانطلاقاً من أهمية الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة في رسم معالم السياسة الفرنسية ، كان من البديهي ان يتم العمل على انشاء حزب سياسي يعكس في المهاجر ، وفي «سوريا» مصالح هذه القوى الاقتصادية . وهكذا تم اختيار شكري غانم^{١٤} للقيام بمهمة ترؤس «اللجنة المركزية السورية» .

١٤ . وُلد في بيروت وتعلّم في مدرسة عينطورة . سافر الى مصر حيث عمل في وزارة الأشغال العامة ، ثم انتقل الى تونس حيث عمل في خدمة الحكومة التونسية . بعدها رحل الى باريس حيث اهتم بالثقافة . اصدر على التوالي : *Antar, Daad, Tamerlan, Ronces et fleurs* الأمر الذي اعطاه مكانة مرموقة بين كبار الادباء

١. أهداف هذه اللجنة

- بالرغم من ان اللجنة المركزية السورية قد أعلنت برنامجاً مطولاً لها عند قيامها قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى^{١٥} إلا ان الأهداف الحقيقية لها كانت :
- ضم المهاجرين (السوريين واللبنانيين) الى فرق الشرق .
 - بث الدعاية (المؤيدة لفرنسا) في الأوساط السورية بأميركا .
 - العمل لوحدة السوريين الموجودين في أوروبا وأميركا ومصر بغض النظر عن العرق والدين^{١٦} .
 - تأمين الوحدة السورية^{١٧} .
 - ضرورة تنظيم سوريا تبعاً لارادة أهلها ، اي ضمن نظام فدرالي ديمقراطي ، الأمر الذي يؤمن وحدة مصالح كافة الأطراف ، وبخاصة تحقيق استقلال داخلي لمختلف المقاطعات بما فيها كيليكييا وفلسطين^{١٨} .
 - مساعدة الصديقة فرنسا من خلال وصايتها على كامل سوريا^{١٩} .

٢. القوى الفرنسية الداعمة لهذه اللجنة

ما يلفت نظر الباحث في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية كثافة المذكرات والدراسات المقدمة من الجمعيات الجغرافية والاستعمارية ، ومن غرف التجارة والخبراء الاقتصاديين . وكلها تركّز على أهمية « المسألة السورية » بالنسبة للمصالح العليا لفرنسا . والخط العام الذي يستشف من هذه المذكرات والدراسات هو التشدد في السيطرة الفرنسية على كامل المناطق التي تمّ اقتسامها في اتفاقية سايكس - بيكو ، بل والمطالبة - في بعض الأحيان - بالسيطرة على فلسطين ايضاً .

أ) مطالب الجمعيات الاستعمارية

في كانون الأول ١٩١٨ قدّم نائب رئيس جمعية الدراسات الاستعمارية والبحرية

الفرنسيين . وقد كان لاختيه خليل الدور الهام في تعريفه على اوساط الصحافة . فأخذ يكتب فيها . وعام ١٩١٢ ترأس اللجنة اللبنانية في باريس ، وانتخب عام ١٩١٣ نائباً لرئيس المؤتمر العربي الذي عُقد في العاصمة الفرنسية . وبالرغم من التوجّه السوري لغانم بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ فانه عاد وأصبح من مؤيدي لبنان الكبير وقد لعب دوراً بارزاً في حمل العديد من المسؤولين الفرنسيين الكبار على ضم البقاع وطرابلس وبيروت الى الدولة اللبنانية .

١٥ . نص برنامج اللجنة : A.E., V. 9, p. 161

١٦ . A.E., V. 2, p. 253 (12 oct. 1918)

١٧ . A.E., V. 6, p. 184-185 (28 déc. 1918)

١٨ . A.E., V. 6, p. 158 (29 déc. 1918)

١٩ . A.E., V. 5, p. 56 (27 nov. 1918) et V. 6, p. 159-160 (17 déc. 1918)

M. Paul Bourdarie تقريراً^{٢٠} حول « المسألة السورية » تقتطف منه بعض المقاطع :

« ان الجمعية تعتبر أن الإشراف على كامل سوريا بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين - مع الأماكن المقدسة - هو أمر ينسجم مع المصالح الفرنسية ، ويؤمن لفرنسا موقعها كدولة كبرى إسلامية وعربية ... »

... وان الجمعية تدین إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لأنها لا ترى كيف يمكن ربط فكرة القومية بالفكرة الدينية . ان هذا الأمر يبدو مناقضاً لكل الأفكار السياسية الحديثة ، وخاصة يبدو مغايراً للسياسة التي تتبعها فرنسا بالنسبة لمسلمي أفريقيا الشمالية .

وبعد أن يتطرق التقرير لإبراز أهمية سوريا كمصدر لاستيراد القطن للصناعة الفرنسية التي تشغل ما يزيد على ٤٠٠ ألف عامل ، تقترح الجمعية الاستعمارية « في إطار مبدأ القوميات ، أن يصبح لبنان وسوريا وفلسطين دولة فدرالية ، مستقلة وحرة وتحت وصاية فرنسا » .

ثم تتطرق المذكرة للجوانب الدينية فتشير « الى انه من مجموع عدد السكان الذي يبلغ ٣,٥٥٠,٠٠٠ نسمة ، هناك ١,٩٠٠,٠٠٠ عربي مسلم ، و ١,١٠٠,٠٠٠ عربي مسيحي ، ١٥٠,٠٠٠ يهودي ، ١٧٠,٠٠٠ درزي ، ١٢٠,٠٠٠ نصيري ، ٥٠,٠٠٠ أوروذكس^{٢١} ، ١٠,٠٠٠ اسماعيلي ، و ٥٠,٠٠٠ من فئات مختلفة » .

وتحذر المذكرة من الأخطار التي ستصاب بها المصالح الفرنسية اذا ما تدخلت في الصراعات الدينية في منطقة يطغى فيها التعصب الديني على كل شيء .

وتضيف « بأن الانقسامات الدينية لا تسمح لسوريا بأن تكون قادرة على حكم نفسها بنفسها ضمن نظام جمهوري . ولا يوجد بالتالي أمير سوري يني بالمقام ، وحتى اذا أردنا الاستعانة بأحد أحفاد أسرة عبد القادر الجزائري ، فان ذلك يثير حتماً صراعاً بين العصبية القبلية . من هنا يبدو من المفضل تعيين أمير مسيحي على لبنان وأمير مسلم على سوريا ... »

... ان سوريا الفدرالية ستتمتع « ببحرية موجهة » « وباستقلال محمي » . سترتبط بفرنسا برابط « التبعية المستمرة » « والوصاية المعنوية » .

والشروط الجوهرية لهذا الارتباط ستكون :

- أمير من أصل فرنسي .
- معاهدة تحالف مستمرة .
- معاهدة تجارة خاصة .
- حصر الواردات من فرنسا بالدولة السورية في مجال الأشغال العامة والتسلح .
- عدم قدرة الحكومة السورية بالتعاقد لشراء أية سلعة إلا برضى فرنسا .

٢٠ . A.E., V. 5, p. 156-166 .

٢١ . ربما يقصد سريان أوروذكس وليس الروم الأوروذكس .

وفي تقرير آخر^{٢٢} للجمعية نفسها تأكيد على أن « البحر المتوسط هو محور السياسة الفرنسية . في الغرب تقع المغرب والجزائر وتونس كطرف لهذا المحور ، والطرف الشرقي يجب أن يكون سوريا . ولبنان وفلسطين » .

وفي ١٦ نيسان ١٩١٩ يعتبر مجلس الجمعية^{٢٣} مجتمعاً برئاسة نائب الأدميرال Besson ، ان سوريا حدوداً تمتد من طوروس الى حدود مصر ومن البحر الى الفرات ، وان تجزئتها في اتفاقية سايكس - بيكو هو خطأ ، وتطلب تخطي هذا الخطأ وتوحيد سوريا تحت الوصاية الفرنسية . وفي شهر نيسان ١٩١٩ يؤكّد Edouard Cheignon^{٢٤} قاضي وأستاذ للتجارة في جامعة نانت ، على أهمية سورية في المجالات التجارية والصناعية خاصة الصناعات التحويلية ، ومواد سكك الحديد ، والسيارات ، والمواد الزراعية المصنّعة والمنسوجات ، والحلويات ، والصناعات الكهربائية .

وثمة جملة مذكرات من جمعية الدراسات الاستعمارية تشدّد باستمرار على ضرورة بسط الوصاية الفرنسية على دولة فدرالية تضم لبنان وسوريا وفلسطين^{٢٥} ؛ حتى ان هذه الجمعية ، في جلستها المنعقدة في ١١ تموز ١٩١٩^{٢٦} أكدت على ضرورة سيطرة فرنسا على سوريا بما فيها كيليكيا وفلسطين وشمال العراق وكردستان .

أما جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا فقد قدّمت الى وزير الخارجية مذكرة (في ١٩ نيسان ١٩١٩) جاء فيها^{٢٧} :

ان جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا مؤكّدة من جديد الأمان التي عبّر عنها من خلال المؤتمر الفرنسي حول سوريا والذي عُقد في مرسيليا ، وأخذة بعين الاعتبار الأحداث التي تشكّل آسيا الصغرى مسرحاً لها ،
تتقدّم بالمطالب التالية :

١. رفض كل تفكير يريد أن يبعد الى أجل غير مسمى الوصول الى حل للمسائل السورية والأرمنية وغيرها .
٢. البتّ بمسألة الانتداب ، التي أقرّها مؤتمر الصلح ، وذلك في أقرب فرصة ممكنة .
٣. أن تصبح سوريا ، بكامل وحدتها وأراضيها المعروفة بمحدودها الطبيعية والتاريخية دولة فدرالية مشكلة من مناطق ذات استقلال ذاتي ، وذلك تحت وصاية فرنسا .

٢٢. A.E., V. 3, p. 73 (18 oct. 1918)

٢٣. A.E., V. 12, p. 59-63

٢٤. A.E., V. 13, p. 83

٢٥. A.E., V. 4, p. 184 et p. 39-40 et p. 135 et p. 155-156

٢٦. A.E., V. 14, p. 228

٢٧. A.E., V. 12, p. 48

على صعيد آخر ثمة تقارير مختلفة تشدد على المصالح الفرنسية المختلفة في المنطقة وبخاصة المدارس الفرنسية التي تخرج سنوياً ما يزيد على ٤ - ٥ آلاف تلميذ متيحة لهم الاطلاع على الثقافة الغربية. وهناك العديد من المستشفيات الفرنسية وشبكة من سكك الحديد (تزيد على ١٢٣٣ كلم). هذا بالإضافة الى مياه بيروت وغازها وترامواي وكهرباء هذه المدينة وهي كلها بيد شركات فرنسية. هذا بالإضافة الى مزرعة تعنابل ونبيل كساره ، ومعمل للأدوية وآخر لإنتاج العطور. مع العلم ايضاً ان بيروت كانت تصدر الى ليون ٤٥٠ ألف كيلو من خيوط الحرير^{٢٨}.

ب) مطالب غرف التجارة :

منذ انتصار قوات الحلفاء على القوات العثمانية ، أخذت غرف التجارة الفرنسية بالتحرك. ففي ٢١ تشرين الأول ١٩١٨ حيث غرفة تجارة مرسليليا^{٢٩} دخول البحرية الفرنسية مرفأ بيروت وطالبت بحفظ الحقوق التاريخية للغرفة في سوريا. وبعد شهر تقريباً طالبت الغرفة نفسها^{٣٠} بترسيخ نفوذ فرنسا في كل سوريا.

وفي ٢ كانون الأول ١٩١٨ تحتج الغرفة^{٣١} على اقتصار السيطرة الفرنسية على الشاطئ فقط وتطالب بالتوسع نحو كامل «سورية الطبيعية». ويدعو Adrien Artaud رئيس الغرفة ، رئيس الجمهورية الفرنسية لرعاية المؤتمر الذي سيعقد في ٣ و ٤ و ٥ كانون الثاني ١٩١٩ حول سوريا^{٣٢}. وفي ٢٥ حزيران ١٩١٩ تقدم غرفة مرسليليا تقريراً^{٣٣} الى وزير الخارجية مشددة فيه على ضرورة السيطرة على كيليكيا ، لأهميتها في زراعة القطن ، وتحتج على تراجع فرنسا عن فلسطين والموصل الأمر الذي لا يبق سوى لبنان الصغير تحت النفوذ الفرنسي. كما طالبت الغرفة في التقرير عينه من وزارة الخارجية مساعدتها في طبع كرايس المؤتمر الذي عُقد حول سوريا.

أما غرفة تجارة Béziers في باريس فتطالب برفض اتفاق ١٩١٦ وتوسيع المساحة الملحقه مباشرة بالنفوذ الفرنسي في سوريا^{٣٤}.

وغرفة تجارة Mende برئاسة Caussignac^{٣٥} تشدد على المصالح الفرنسية في كامل سورية الطبيعية ، وتؤكد على عدم التراجع عن حصص فرنسا في اتفاق ١٩١٦ كحد أدنى.

٢٨. A.E., V. 8, p. 231 (14 janv. 1919).

٢٩. A.E., V. 3, p. 47 et p. 88.

٣٠. A.E., V. 5, p. 75.

٣١. A.E., V. 5, p. 126.

٣٢. A.E., V. 6, p. 121 (24 déc. 1918).

٣٣. A.E., V. 14, p. 45.

٣٤. A.E., V. 4, p. 230-232 (19 nov. 1918).

٣٥. A.E., V. 6, p. 190 (19 déc. 1918).

وغرفة تجارة Beaune تطالب بوحدة سوريا الطبيعية واستقلالها ووضعها تحت الانتداب الفرنسي (٢٧ آذار ١٩١٩).^{٣٦}

أما الجمعية الجغرافية الملحققة بالغرفة التجارية لـ Nantes فقد طالبت بكل سوريا وجزء من تركيا (٣ أيار ١٩١٩)^{٣٧} ثم تقدّم غرفة تجارة Rennes احتجاجاً متشدّداً على عدم تحقيق مطالب فرنسا في مؤتمر الصلح.^{٣٨}

ومن جهتها تطالب غرفة تجارة Rouen بترسيخ نفوذ فرنسا في كامل سوريا^{٣٩} وغرفة تجارة ليون تطالب الحكومة باحتلال المدن الأساسية (حلب ودمشق والموصل)، وتشجب سيطرة الانجليز على مرافئ عكا وحيفا وكذلك سكة الحديد^{٤٠}، وتذكر بضرورة إصلاح الطرق السورية والمرافئ لتسهيل التجارة.

ثم ان غرفة تجارة Roubaix التي يرأسها Georges Motte فقد طالبت بضمّ كل سوريا الى النفوذ الفرنسي بسبب المصالح الفرنسية الموجودة فيها، وتعني بسوريا ولايات الموصل، دير الزور، الاسكندرونة، حلب، بيروت، دمشق، وأيضاً فلسطين ولبنان^{٤١}.

وغرفة تجارة (Maine et Loire) Saumur تطالب بالحفاظ على المصالح الفرنسية في سوريا^{٤٢}.

وفي مهرجان أقيم في اوتيل Des Sociétés Savantes شارك فيه خطباء سوريون وفرنسيون، تم التأكيد على أن لسوريا الحق بأن تصبح أمة مستقلة ضمن حدودها التاريخية، دون تفتيت ودون استعباد، وإن يكون لفرنسا وحدها حق الانتداب عليها. ووقع على البيان ١٣ جمعية من مختلف القطاعات^{٤٣}.

ماذا يمكن ان نستنتج من بحمل هذه الطروحات للفعاليات الاقتصادية والاستعمارية الفرنسية؟

— ان لفرنسا مصالح اقتصادية واستراتيجية جوهرية في شرق المتوسط^{٤٤}.

٣٦. A.E., V. 11, p. 116.

٣٧. A.E., V. 12, p. 220.

٣٨. A.E., V. 13, p. 84.

٣٩. A.E., V. 5, p. 99 (30 nov. 1918).

٤٠. A.E., V. 3, p. 192.

٤١. A.E., V. 15, p. 125-126 (18 juin 1919).

— علماً انه لم يكن هناك ولاية باسم لبنان او فلسطين، وإنما كان هناك متصرفية جبل لبنان ومتصرفية القدس.

٤٢. A.E., V. 5, p. 73.

٤٣. A.E., V. 14, p. 48 (26 juin 1919).

٤٤. «Celui qui possède la Syrie a la clé de l'Asie tout entière». Napoléon.

A.E., V. 7, p. 238.

- ان تمت تنافسًا قويًا بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة ويجب على فرنسا ان لا تراجع .
- ليس على فرنسا ان تتشبث فقط باتفاقية سايكس-بيكو ، وانما عليها ان تسعى لتعديلها باتجاه ضم فلسطين ومناطق اخرى .
- ان هناك تعارضًا بين المصالح الفرنسية ومشروع انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
- ان المشروع السياسي الذي ينسجم مع مصلحة فرنسا ، من وجهة نظر هذه الجمعيات ، هو تنظيم المنطقة على أساس اتحاد كونفدرالي او فدرالي .
- وانطلاقًا من هذه النقطة الاخيرة يمكننا ان نفهم قوة التيار الداعي لانشاء سوريا الكبرى في وزارة الخارجية الفرنسية ، وهو الذي تمثل باللجنة المركزية السورية Comité Central Syrien المرؤوسة من قبل شكري غانم .

٣. التحرك السياسي لهذه اللجنة

يبدو ان هدف المشروع السياسي الذي سعت هذه اللجنة لتحقيقه هو نفسه مشروع الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة الفرنسية . من هنا ضرورة ايلانها الاهمية اللازمة في سياق تحليل السياسات الفرنسية ازاء المشرق في هذه المرحلة^{٤٥} .

ما هي سياستها في المهاجر ؟ وما هو موقفها أمام مؤتمر الصلح ؟

ما هو موقفها بالنسبة لباقي القوى الفاعلة في وزارة الخارجية الفرنسية ؟

هذه أبرز النقاط التي سنتوقف عندها بإيجاز :

سياستها في المهاجر : لقد تركز نشاط اللجنة المركزية ، بشكل أساسي^{٤٦} في مصر وأميركا الشمالية وأميركا الجنوبية - اذا ما اعتبرنا ان باريس هي منطلق التحرك^{٤٧} . ولقد اتبع غانم نوعًا من المرونة في التعامل مع الأوضاع السائدة في كل منطقة ، اذ جمع ، في تعامله مع الفروع ،

٤٥ . لقد عالج المؤرخ الكبير زين نور الدين زين هذه النقطة بكثير من السرعة في كتابه « الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان » ، دار النهار للنشر ، ١٩٧١ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ . فقد نقل عن أحد المصادر الانجليزية قولاً منسوباً الى كليمنصو - بيشون حول مداخلة شكري غانم في مؤتمر الصلح - « لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا ؟ فيجب بيشون : « لم أكن أعلم انه سيعالج الأمر على هذا المنوال » . ان من يطلع على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يعرف جيداً انه من المستبعد أن يقول كليمنصو وبيشون هذا القول عن شكري غانم ! »

٤٦ . بالنسبة للنشاط في لبنان وسوريا يبدو انه لم يكن يزخم باقي اللجان والجمعيات والتيارات الطائفية والسياسية . ومن البرقيات القليلة التي أبدت شكري غانم ، من بيروت ، البرقية التالية : « الجمعية الوطنية للشباب السوري تشكرك وترجو منك أن تقبل انتدابها لك أمام مؤتمر الصلح ، وذلك من أجل سورية موحدة ، مستقلة ، فدرالية ، تحت وصاية فرنسا . (شارل قزم)

A.E., V, 11, p. 141 (28 mars 1919)

٤٧ . من أبرز المساعدين لغانم في باريس الدكتور جورج سمته .

بين وحدة البرنامج ووحدة الشعارات من جهة ، وحرية الحركة فيما يتعلق بالأمور الجزئية من جهة أخرى .

أ (اللجنة اللبنانية - السورية في مصر

تألفت هذه اللجنة على أثر البرقية رقم ٧٧ تاريخ ١٨ آذار ١٩١٨ ، من قبل وزارة الخارجية^{٤٨} . ولقد تشكلت نهائياً وبعد وقت قصير من صدور التصريح الفرنسي الانجليزي حول المسألة السورية . برنامجها لا يختلف كثيراً عن برنامج «اللجنة المركزية السورية في باريس» باعتبار انها حرصت على ان يكون لها بعض الاستقلال . حالياً^{٤٩} تعد ما يقارب ٧٠٠ عضو مؤرخين على أربع لجان اقليمية : في القاهرة ، الاسكندرية ، طنطا والمنصورة ولجنة مصر المركزية في القاهرة وهي مؤلفة من : عبد الله صفيير باشا رئيساً ، شكور باشا أمين صندوق عام ، الفونس زينية سكرتير عام ، ادغار طويل سكرتير عام ، حقي بيك العظم ، الفرد ليان ، نعمه غانم وهنري مشاققة أعضاء .

كل هؤلاء السوريين هم من المسيحيين باستثناء حقي بيك العظم ، ويتمون الى طوائف المارونية ، والملكية والارثوذكس ، ولكن يوجد بين الأعضاء بعض المسلمين المرتبطين بحقي بيك ، وهو الذي كان منذ زمن بعيد مؤيداً للتدخل الفرنسي في سوريا وخاصة في دمشق التي إليها ينتسب (...).»

على صعيد البرنامج فقد وضعت اللجنة نقاطاً خمسة لتحركها :

١ . «نحن موقعي هذا من سوريين ولبنانيين مقيمين في القطر المصري ومتفقين اتفاقاً تاماً في آرائنا وفي شعورنا فيما يتعلق بمستقبل وطننا الأصلي إجابةً للنداء الموجه إلينا من ممثلي الدولتين الفرنسية والبريطانية^{٥٠} ، قد قابلنا بمزيد الارتياح مشروع إنشاء لجنة لبنانية سورية في القطر المصري غرضها تعزيز مصالح وطننا .

٢ . ووافقنا على لائحة اللجنة الآتي بيانها : وهو تحرير سوريا والسير بها في سبيل الاستقلال تحت رعاية دولة فرنسا وبمساعدها وبضمانها على طريقة الاستقلال الإداري لكل من ولايات سوريا مع المحافظة على نوع الاستقلال الحائز عليه لبنان من قبل وعلى الصفة الخاصة به وعلى حقه

٤٨ . كان التنسيق عميقاً بين فروع اللجنة المركزية ومفراء وقناصل فرنسا .

٤٩ . هذا جزء من تقرير أرسله (M. Malzac) عن التيارات السياسية بين السوريين في مصر . وقد

أرسل التقرير في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ - A.E., V. 7, p. 159 ولكن في تقرير للكونندان Sarrou ان عدد أعضاء الجمعية ١٥٠٠

A.E., V. 9, p. 54 (13 janv. 1919)

٥٠ . كانت الخارجية الفرنسية ، بالتنسيق مع شكري غانم ، قد أرسلت برقية بخصوص برنامج اللجنة

المركزية - A.E., V. 6, p. 194 (29 déc. 1918)

في السعي لتحقيق أمانه العادلة ؛ أما علاقات لبنان مع باقي بلاد سوريا فسيؤجل أمر تقريرها لما بعد حسب الظروف.

٣. واعتمادًا على التصريحات الصادرة في ظروف متعددة من رجال الحكومة الفرنسية المتضمنة عزم الدولة المشار إليها على أنها بمساعدة الأهالي ومع احترام العقائد الدينية تضع طريقة للحكم من شأنها تأييد النظام والعدل والحرية، تعتمد اللجنة على الدولة الفرنسية في وضع هذا النوع من الحكم مبنياً على مبدأ الاستقلال الإداري. (أعني اللامركزية).

٤. ونشكل في المدن وفي البنادر المهمة لجان محلية تمثل مجموع الموافقين على هذه اللائحة ثم تشكل لجنة مركزية يكون مركزها في القاهرة وينتخب أعضاؤها بمعرفة لجنتي مصر والاسكندرية المحليتين وهذه اللجنة المركزية يكون لها وحدها الحق في تمثيل اللجان المحلية كافة بصورة رسمية.

٥. واننا نؤيد بموجب هذا هيئة اللجنة المحلية في مدينة او بندر... المشكلة من أصحاب المشروع الواضحة اسماؤهم أدناه وسنؤدي لأعضاء هذه اللجنة وإلى اللجنة المركزية كل ما يلزم من المساعدة التي تمكنهم من القيام بمهمتهم كما يجب بمقتضى اللائحة الواضحة آنفاً :

عبدالله صفيير باشا ، رئيس

حقي بيك العظم ، نائب رئيس

الفونس زينية ، سكرتير

نعمه غانم ، أمين صندوق

أعضاء : شكور باشا ، أمين بك هستاني ، الأمير مختار الجزائري ، الدكتور الكسندر الغريب ، سامي قصيري ، الدكتور أسد عطيه ، رزق الله أرقش ، جان خوام^{٥١}.

لقد تشبّعت اللجنة اللبنانية - السورية في مصر ببرنامجها ودافعت عنه وأرسلت جملة برقيات^{٥٢} مؤيدة موقف القيادة في باريس ، حتى انها استغربت تصرف جورج ببيكو عندما خطب في حلب مؤكداً ان «فرنسا تؤيد قيام أمة عربية موحدة وحكومة عربية مستقلة ، وهي مستعدة لمساعدتها»^{٥٣}. فأرسل عبدالله صفيير باشا كتاباً باسم بلخته في القاهرة يستغرب كل انجاء يمكن ان تنحوه السياسة الفرنسية حول دولة كونفدرالية موحدة مع الحجاز ، ويطلب جواباً تلغرافياً سريعاً^{٥٤}.

على أثر ذلك بادر شكري غانم بتقديم رسالة^{٥٥} الى وزير الخارجية ينقل فيها شكواه من

٥١. A.E., V. 7, p. 164

٥٢. A.E., V. 10, p. 16 (21 fév. 1919)

٥٣. A.E., V. 10, p. 131-133 (25 janv. 1919)

٥٤. A.E., V. 10, p. 128-130 (27 janv. 1919)

٥٥. A.E., V. 10, p. 125-127 (3 mars 1919)

خطاب بيكو في الشام وصدى هذا الخطاب على أعضاء لجنته في القاهرة. ويتوه بأن سياسة الحكومة وسياسة «اللجنة المركزية» متفقتان بالنسبة لمستقبل وحدة سورية، وهي مغايرة لتصرف بيكو. ثم يؤكد على معارضته لأي نوع من الفدرالية لدول إسلامية يمكن أن تشكل ثقلًا سياسيًا في المنطقة.

وعلى صعيد آخر فقد قدمت اللجنة اللبنانية - السورية في مصر مذكرة الى مؤتمر الصلح - من خلال اللجنة المركزية السورية - طارحة المطالب التالية :

١. رفع كل سيطرة لتركيا على سوريا، وتحريرها من كل علاقة يمكن أن تقيد بها هذه البلاد (تركيا)، وحتى لو كان هذا القيد نظريًا أو اسميًا.

٢. السماح لسوريا الموحدة والمتكاملة سياسيًا واقتصاديًا بالاستقلال المرتبط بفترة تدريب وتجهيز في مجال الحكم من قبل دولة فرنسا، وهي الدولة الموكلة إليها هذا الأمر طبقًا لنص الاتفاق الفرنسي - البريطاني. ويكون ذلك على قاعدة الاستقلال الذاتي للمناطق، ومن ضمنها لبنان الذي كان يتمتع باستقلال ذاتي، فيستطيع الاحتفاظ باستقلاله الذاتي هذا مع توسيع لحدوده.

٣. الفصل التام بين المسألة السورية والمسألة العربية، وإنشاء حكومة قومية سورية، دستورية وديمقراطية مع رئيس دستوري ليس له أية خصائص دينية.

وتتوسع المذكرة في كل نقطة داعمة إياها بأسانيد تاريخية. وقد وقع على هذه المذكرة كل من :

مجلس اللجنة في القاهرة :

عبدالله صغير باشا، رئيس؛ حقي بيك العظم، نائب رئيس؛ الفونس زيني، السكرتير؛ نعمه غانم، أمين الصندوق؛ شكور باشا، سامي قصيري، أمين بيك بستاني، الدكتور أسد عطيه، الأمير مختار الجزائري، رزق الله أرقش، الدكتور الكسندر غريب، جان خوام.

مجلس اللجنة في الاسكندرية :

الكونت جورج دي زغيب، رئيس؛ الفرد إليان، نائب رئيس؛ ادغار طويل، سكرتير؛ هنري مشاققة، أمين صندوق؛ غبريال انكري، ييار طراد.

مجلس اللجنة الإقليمية في طنطا :

حبيب بيك زوين، نقولا بيك أرقش، قسطنطين بيك سعاده، الدكتور ف. دهان، مرهج رزق.

مجلس اللجنة الإقليمية في المنصورة :

الكونت عزيز صعب، ميشال سوسة، الدكتور امين الجميل، الدكتور شويري، أ. داود.

مجلس اللجنة الاقليمية في بور سعيد:
الدكتور سليمان خوري، شكري غريب^{٥٦}.

(القاهرة، ١٠ كانون الثاني ١٩١٩)

ب) رابطة سوريا - جبل لبنان للتحرير

انطلاقاً من أهمية الولايات المتحدة (سياسياً واقتصادياً وإعلامياً) بالنسبة لفرنسا، وبسبب أهمية الجالية اللبنانية - السورية فيها (١٢٥ ألفاً) فقد أولت السياسة الفرنسية، من خلال «اللجنة المركزية السورية»، اهتماماً واسعاً بها.

وهكذا تمّ تأليف هيئة تنفيذية مقرّها نيويورك مؤلفة من:

الدكتور أيوب ثابت، رئيساً

نعمه تادوس، أميناً للصندوق

أمين الريحاني، نائباً للرئيس

جبران خليل جبران، سكرتيراً للمراسلات الانجليزية

ميخائيل نعيمة، سكرتيراً للمراسلات العربية

نعم دياب، رئيس تحرير «الديلي ميرور»

شكري بخاش، رئيس تحرير مجلة «الفتاة»

عبد المسيح حداد، رئيس تحرير مجلة «السائح»

نسيب عريضه، رئيس تحرير مجلة «الفنون»

ايليا أبو ماضي، مساعد تحرير مجلة «الديلي ميرور»^{٥٧}

وقد تابعت مذكرات هذه الرابطة الى وزارة الخارجية الفرنسية، ففي أيار ١٩١٨ تشير وثيقة^{٥٨} الى ان الرابطة أرسلت مذكرتين الى الرئيس ويلسن وسكرتير الدولة الأميركية روبرت لنسنگ تعرض فيها الموقف بالنسبة لمستقبل المنطقة، وبعدها ترسل الرابطة رسالتين الى القنصل الفرنسي في نيويورك (لبريت)^{٥٩}. وفي تقرير آخر تطالب الرابطة بوحدة سوريا الطبيعية تحت السيطرة الفرنسية^{٦٠}. وفي ١٢ كانون الاول ١٩١٨ جاء في رسالة الى الخارجية الفرنسية «ان رابطة تحرير سوريا وجبل لبنان المعبرة عن آمال السوريين في اميركا الشمالية تدعم باسمها وياسم

^{٥٦} Comité Central Syrien, *La Syrie devant la conférence*, Mémoire à M. Georges Clemenceau, Paris, janvier 1919, p. 6-12

^{٥٧} A.E., V. 1, p. 61 (10 mai 1918)

^{٥٨} A.E., V. 1, p. 61-67

^{٥٩} A.E., V. 1, p. 214-217

^{٦٠} A.E., V. 3, p. 249-255

الصحف السورية الصادرة في الولايات المتحدة اقترح غرفة التجارة في مرسيليا حول حدود سوريا. وهي اذ تذكر بما قدمته سوريا من تضحيات، قبل وخلال الحرب، ومشاركتها في التحرير بواسطة جيش المشرق، فانها تؤكد على حقها في المطالبة بوحدة سوريا القومية... واستقلالها تحت حاية وإدارة فرنسا، الأم التاريخية لهذه البلاد^{٦١}.

في ضوء ذلك يشيد شكري غانم بدور المثقفين ولجان المغتربين في أميركا الشمالية وخاصة ثابت وجبران، لأنهم يعملون بجد للوحدة السورية على أساس ديمقراطي فدرالي، ويصرون على مساعدة فرنسا الصديقة^{٦٢}.

في أول شباط ١٩١٩ ترسل الرابطة الى مؤتمر الصلح مذكرة هامة توضح فيها خطتها السياسي^{٦٣}:

«أول شباط ١٩١٩ - الى السكرتير العام لمؤتمر الصلح - وزارة الخارجية الفرنسية، الكي دورسه - باريس.

الرجاء إيصال هذه العريضة الى الرئيس ويلسن والى رؤساء الحكومات كليمنصو، لويد جورج واورلندو:

نحن الموقعين أدناه، أعضاء المجلس التنفيذي للجامعة الوطنية السورية - اللبنانية للتحرير، نرفض بشدة الادعاءات المقدمة من مندوب الحجاز الى مؤتمر الصلح. هذه الادعاءات التي تزعم ان السوريين يرحبون بحرارة بالسيطرة العربية على سوريا وفلسطين. والحقيقة هي عكس ذلك، فنحن متأكدون ان الاحتلال العربي للأرض السورية قد أدى الى مساوئ جمّة لطمأنينة المستقبل السوري، والخسارة تصبح كبيرة جداً اذا ما طال هذا الاحتلال. ان سيادة، ولو اسمية، تعلقها قبائل الحجاز على سوريا المتحضرة باسم بعض المفاهيم التي تنفقر الى القيمة العلمية (كالأخوة العربية، واللغة العربية والصيغ السياسية - الدينية وغيرها من الحجج المصطنعة)، تعتبر ضربة بالغة السوء لمستقبل التقدم في هذه البلاد. ان السوريين ليسوا عرباً واللغة العربية فرضت على سبعة ملايين مسيحي كانوا سكان البلاد الأصليين، وكان من شأن السيطرة التعصبية للعرب اولاً ومن ثم الأتراك ان اختزلت - حسب آخر التقديرات - عدد هؤلاء المسيحيين الى أقل من مليون. اننا نرجوكم، يا معالي السكرتير العام للمؤتمر، عندما تصيغون الشكل السياسي لسوريا المستقبل، أن تأخذوا بعين الاعتبار، كقاعدة في خياركم هذا، حق الشعوب في تقرير مصيرها، ودرجة

٦١. A.E., V. 5, p. 231

٦٢. A.E., V. 6, p. 105 (23 déc. 1918), et V. 4, p. 217

٦٣. يمكن مراجعة مقالتي في مجلة دراسات، السنة العاشرة، العدد ١١، ١٩٨٣، كلية التربية، الجامعة اللبنانية. وهي بعنوان «وثائق جديدة حول جبران السياسي».

التقدّم والثقافة لمختلف العناصر المشكلة للسوريين ، أكثر من اعتمادكم على التراكم الكمي للجواهر الجاهلة التي تتحكّم بمواقفها عوامل التعصّب الديني وليس عامل العقلانية الرصينة . ان السوريين المتمين الى عناصر التقدّم يُجمعون بحماس على حلّ المسألة السورية على أساس الوحدة الفدرالية في سوريا الطبيعية كلها تحت وصاية وحماية دولة واحدة كبرى ، وديمقراطية . ان وحدة الأهداف عبر التاريخ ، والعلاقات التربوية المتجدّدة ، والمصالح الاقتصادية المشتركة ، وخاصة التدخل العسكري الفعّال لتخليصنا من الإبادة الشاملة عام ١٨٦٠ ، كل هذه المعطيات تجعل من ميلنا نحو فرنسا ميلاً طبيعياً ، ونحن نترجها ان تتحمّل المسؤولية لحايتنا وتوجيهنا . اننا نرجو من فخامتكم عدم معارضة هذا الامتياز الذي هو حق من حقوقها ، هذا الحق الذي جعله مقدّساً ولا يرفض استشهاد ربع مليون مسيحي سوري متعلّقين بفرنسا .

مع فائق الاحترام

أيوب ثابت ، رئيس الرابطة الوطنية السورية - اللبنانية للتحرير ، السكرتير السابق للجمعية العامة للإصلاح المنعقدة في بيروت ١٩١٣
جبران جبران ، سكرتير عام
سلم ملدوكي ، ممثل سوريا في ذكرى ٤ تموز (يوليو) في مون فرتون
الدكتور نجيب بربر ، رئيس جمعية بيروت
ابراهيم موقد ، رئيس جمعية دمشق
وليم كاتسفليس ، الرئيس السابق لجمعية الاتحاد السوري
جوزف خوري ، رئيس تحرير «الشهاب»
شكري بخّاش ، رئيس تحرير «الفتاة»
نعمه تادرس ، رئيس جمعية طرابلس
سعيد عقل ، سكرتير رابطة التجار السوريين
عبد المسيح حداد ، رئيس تحرير «السائح»
نسيب عريضه ، رئيس تحرير «الفنون»^{٦٤} .

لقد نشطت هذه الرابطة على مختلف المستويات ويتضح من مجمل مراسلات ان الفرنسيين كانوا يقدّمون الدعم المادي لمجلات (السائح) و(الفنون) و(المهدى)^{٦٥} ، لا بل ان ليبر - القنصل الفرنسي في نيويورك - يطلب من وزارة الخارجية وضع مبلغ ٢٠ ألف فرنك بتصرّف ثابت وجمعيته^{٦٦} ، باعتبار انه قدّم مساعدات هامة لفرنسا من أجل سوريا الموحّدة وهو شخصية

A.E., V. 9, p. 6 .٦٤

A.E., V. 6, p. 40 .٦٥

A.E., V. 9, p. 221-222 .٦٦

عميقة الاطلاع^{٦٧}. ويشيد ليبير في تقارير متلاحقة بالموقف الودي جدًا من ثابت وجبران بالنسبة لفرنسا^{٦٨}، ويرسل في أحد تقاريره الدبلوماسية نص رسالة موقعة من ثابت (الرئيس) وجبران (السكرتير) يعربان فيها عن عواطفها الحارة وتقديرهما لرئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو بمناسبة نجاحه من محاولة اغتياله. ويؤكدان انها يضعان فيه كل آمالهما بتحرير سوريا وربطها بفرنسا ويعتبران انه القادر على التعبير عن مطامح السوريين أمام مؤتمر الصلح^{٦٩}.

ويطرح تساؤل أمام الباحث عن طبيعة العلاقة بين الرابطة^{٧٠} وبين غرفة تجارة مرسيليا. ففي برقية مرسلة الى الخارجية الفرنسية تدعم الرابطة - «وهي التي تجسّد مطامح السوريين في اميركا الشمالية، باسمها وباسم الصحافة السورية في الولايات المتحدة (مرآة الغرب، الشهاب، السايح، الفتاة، الفنون)، تدعم الحل المقترح عليه في غرفة تجارة مرسيليا والمتعلّق بمحدود سوريا نحو الداخل وليس فقط على الشاطئ المتوسطي (...) وتدعو للوحدة القومية المميزة لسورية واستقلالها تحت الوصاية الفرنسية».

ج) اللجنة الوطنية السورية - اللبنانية في البرازيل

تعتبر البرازيل مركز تجمع هام للجاليات السورية واللبنانية، وكانت أوساط هذه الجاليات تشهد - في هذه الأثناء - نهضة ثقافية وسياسية. ولقد تجسّد ذلك في النوادي والجمعيات المختلفة. من هنا فان اللجنة المركزية السورية أوجدت لها فرعًا هناك، وكان نشاطه محدودًا بالمقارنة مع نشاط فرعي مصر ونيويورك.

وحسبنا أن نعرض المذكورة^{٧١} التي أرسلتها هذه اللجنة الى مؤتمر الصلح وهي تدلّ على فكر سياسي ناضج.

«لقد كلفت اللجنة الوطنية السورية اللبنانية في البرازيل، من خلال تليفراف أرسل في ١٩ كانون الأول ١٩١٨، اللجنة المركزية السورية في باريس ان تطلب من مؤتمر الصلح، أن يعهد الى فرنسا تنظيم سوريا على أساس من الوحدة والاستقلال والنظام الفدرالي. ان اللجنة الوطنية السورية - اللبنانية تجد من واجبها تقديم هذا الالتماس الى كل من الدول الكبرى الحليفة، مرفقة به كل الأسانيد والدوافع التي تدعم مطالبتها.

سوريا وحدة جغرافية: ان سوريا تشكّل وحدة جغرافية ثابتة وتضم كل الأراضي التي كانت

٦٧. A.E., V. 13, p. 267

٦٨. A.E., V. 10, p. 31

٦٩. المرجع السابق.

٧٠. A.E., V. 5, p. 231

٧١. A.E., V. 8, p. 27-29 (20 janv. 1919) - من أبرز قادة هذه اللجنة رئيسها: Assad Kaléo

تتألف ، تحت النظام التركي ، من المناطق الإدارية التالية : ولايات دمشق ، حلب ، بيروت ، وسنجي القدس وجبل لبنان . هذه الأراضي لها حدودها الطبيعية التي تفصل سوريا بوضوح عن باقي البلاد الآسيوية . وهي حدود تؤمن ، على المستوى السياسي ، كل شروط الحماية . والقانون الدولي يعطي لمثل هذه الحدود ، وبدرجة عالية ، قيمة كبرى ، ذلك أن البلدان التي تنفصل حدودها بوضوح عن غيرها ، والتي هي بعيدة عن الإشكالات والعدوان عليها من الخارج ، هي عناصر سلام وهدوء ، لنفسها أولاً ، ولخيراتها بالتالي ، وللعالم المتحضّر كذلك . ان اول شرط للتقدّم هو الأمن القومي ، وأول شرط للأمن هو تأمين سبل الدفاع .

سوريا وحدة اثنية : تشكّل سوريا وحدة اثنية ثابتة ، ذلك ان الشعوب التي تسكنها في متحده جغرافي ، تتكوّن من عنصر واحد يتكلّم لغة واحدة ، وتتصف بعادات وآداب وتقاليد مشتركة . انها اذن تؤلّف جماعة اثنية موحّدة واقعياً . ومن الواجب ان لا نشدّد على جوانب التباين الديني والطائفي ، فهذه التباينات ، عدا كونها موجودة عند كل الأمم التي لها نفس العرق ، لا يمكن أن تعتبر عائقاً بوجه الوحدة الوطنية (...) ان هذه التباينات تشكّل في سوريا عائقاً عابراً سوف يتجاوزه التطوّر الوطني ويزيله .

حق سوريا بالاستقلال : لسوريا الحق الذي لا تناقش فيه بالاستقلال وذلك بسبب وحدتها الجغرافية والأثنية .

- حسنات الوحدة السورية : وحدة أجزاء سوريا تحت نفس الراية سوف تخلق قوة تكون معتبرة من جيرانها وتساهم في تحقيق علاقات حسن جوار . هذه الوحدة سوف تنمي وتضاعف القوى الحيّة في البلاد وتضاعف مصادر النشاط والانتاج ، وسوف تعطي انطلاقة سريعة للتطور الوطني وتحقّق الاندماج القومي . السوريون المعروفون بقابليتهم الطبيعية للتقدّم سوف يصبحون أحد محاور الحضارة في آسيا . أما تجزئة سوريا فسيستج عنها العكس تماماً ، إذ ان كل جزء سيضعف بفقدان الدعم الناتج عن الوحدة .

ان قوة وتطور وازدهار سوريا مرتبطة كلها بوحدتها ، أما تجزئتها فسيستج عنها الضعف والانحطاط وهدم وحدتها القومية .

- نظام الحكومة السورية : النظام الذي نبتغي قيامه في سوريا هو النظام الجمهوري ، الفدرالي والبرلماني . هذا النظام هو الوحيد المناسب لأمة كالأمة السورية ، وهي التي رزحت حتى الآن تحت نير الاوتوقراطية المدنية والدينية المزدوج ، بينما هي تملك القابلية الخاصة لحياة الحرية والديمقراطية^{٧٢} .

٧٢ . ان من يقوم بتحليل دقيق للمصطلحات والمنطقات الفكرية الواردة في هذا النص يستنتج ان انطون سعاده قد اطلع - بدون شك - على أدبيات هذه اللجنة ، وعلى أدبيات غيرها من الجمعيات التي كانت تعمل للوحدة السورية في هذه المرحلة . ومن الأمور التي تعمق هذا اليقين مشاركة والده خليل سعاده بترعم بعض هذه الجمعيات ، والمرحلة غير القصيرة التي قضاها زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي في أميركا الجنوبية .

(د) فروع ثانوية مختلفة :

بالإضافة الى نشاط الفروع الأساسية للجنة المركزية السورية فاننا نقع على بعض البرقيات لفروع^{٧٣} أخرى أقل أهمية :

ففي رسالة من مكسيكو ان الجمعية السورية - اللبنانية تطالب بسوريا فدرالية موحدة ، بما فيها لبنان ، وتكون تحت رعاية فرنسا^{٧٤}.

وفي برقية من الأوروغواي تأييد لبرنامج اللجنة السورية بوحدة سوريا الفدرالية تحت ظل الحماية الفرنسية^{٧٥}.

وفي رسالة من سفير فرنسا في (فالباريزو) يوضح فيها ان بعض اللبنانيين رفضوا تأييد شكري غانم وأكّدوا على استقلال لبنان ، بينما طالب آخرون بالوحدة مع سوريا^{٧٦}.

وثمة تقرير^{٧٧} من السفير الفرنسي في بونيس ايرس ، يذكر ان حزب الوحدة السورية (يونيون سيريا) فيه موارد ، دروز ، اورثوذكس ، وعرب (ربما يعني سنة) وعلى رأسه «سعادة» الذي وافق مؤخراً على حماية من قبل القوى الدولية الحليفة . ويضيف ان تدخله الشخصي - أي تدخل السفير - أذى الى استبدال سعادته بشخص آخر مؤيد للوصاية الفرنسية .

وفي رسالة من مغربي سوريا ولبنان في كيتو مطالبة بتحقيق وحدة سوريا الطبيعية مع وصاية فرنسية^{٧٨}.

كما ان شكري غانم تلقى رسائل كثيرة من فروع الجمعية تكلفه بتمثيلها أمام مؤتمر الصلح . من أبرز هذه الرسائل :

- رسالة من شارل خوري (Pernambuce 12 déc. 1918)
- وأخرى من سان بولو موقعة بإمضاء نعمة يافت (١٣ تشرين الأول ١٩١٨)
- ورسالة من بوليفيا من اللجنة التي يرأسها Simon Khabal (٢٢ كانون الأول ١٩١٨).
- ورسالة من بلو اوريزوني (٢٢ كانون الأول ١٩١٨) موقعة من خليل سعد بدران.
- ورسالة من دكار (كانون الأول ١٩١٨) موقعة من جبر ونجا ورزق.
- وأخرى من كوناكري موقعة من جبر ، Kalif ، نجا وشيبان (كانون اول ١٩١٨)

٧٣. في احد تقارير وزارة الخارجية الفرنسية ذكر لعدد المغتربين في اميركا : اميركا الشمالية ، ١٢٥ ألفاً ، الأرجنتين ، ٥٠ ألفاً ، البرازيل ، ٦٠ ألفاً ، المكسيك ، ٣٠ ألفاً ، تشيلي ، كولومبيا ، فنزويلا ، البيرو والانتيل في كل منها ألف مهاجر لبناني.

٧٤. A.E., V. 9, p. 83 (1 fév. 1919)

٧٥. A.E., V. 6, p. 184 (28 déc. 1918)

٧٦. A.E., V. 9, p. 28 (2 fév. 1919)

٧٧. A.E., V. 7, p. 21 (2 janv. 1919)

٧٨. A.E., V. 9, p. 117

- رسالة من رفيرا (بالاوروغواي) موقعة من نعمة (كانون الأول ١٩١٨).
- وأخرى من سنتياغو (كانون الأول ١٩١٨) موقعة من توفيق بالش.
- رسالة من بوينس ايرس (٣١ كانون الأول ١٩١٨) موقعة من كوستا
- وكذلك رسالتان واحدة من لوس انجيلوس (٩ كانون الأول ١٩١٨)، وأخرى من سيدني (كانون الثاني ١٩١٩) تؤيدان الوصاية الفرنسية على سوريا^{٧٩}.

٤. نشاط اللجنة المركزية السورية باتجاه مؤتمر الصلح :

ان تحقيق المصلحة الفرنسية بالسيطرة على المنطقة ، وحمل مؤتمر الصلح على إضفاء الشرعية الدولية على هذا الحل ، وإيجاد تيار شعبي - في سوريا ولبنان - يوحى للمؤتمر بان السكان يطالبون - عبر ممثلهم - بفرنسا ، كان هذا من الأسس والأهداف الاولية التي بسببها أنشئت اللجنة المركزية السورية. في هذا السياق كان تحرك اللجنة المركزية أمام مؤتمر الصلح يتمحور حول أمور ثلاثة :

- تنفيذ طروحات الأمير فيصل
- الاحتجاج على الوفود اللبنانية
- التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية.

أ) تنفيذ طروحات الأمير فيصل :

لقد كان الإعداد لمؤتمر الصلح الشغل الشاغل لشكري غانم . فقبل انتهاء الحرب يذكر شكري غانم «بأنه يتصل بلجان اميركا ومصر وغيرها إعداداً لمؤتمر الصلح»^{٨٠}. ويشارك غانم في طرح المسألة السورية أمام مؤتمر الصلح^{٨١} فيذكر بأنه يتكلم «باسم جماعة يقدر عدد أعضائها بأكثر من مليون نسمة» ، وبالتالي فإنه لا يريد أن يكون تحرير سوريا عن يد أهل الحجاز ، كما انه غارض ان يتكلم فيصل «بممثل الحجاز» باسم جميع «الناطقين باللغة العربية وباسم سوريا» . «فان دمشق تبعد عن مكة بما لا يقل عن ألف وخمسمائة كيلومتر. فاية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي ، بين البدو وأهل الحضر ؟ وهل هناك غالبية من العنصر

٧٩. نص هذه الرسائل موجود في :

Comité Central Syrien, *La Syrie devant la Conférence*, op. cit., p. 16-19

٨٠. A.E., V. 6, p. 186-188 (28 déc. 1918)

٨١. يمكن مراجعة النص الكامل لخطاب غانم أمام المؤتمر (١٣ شباط ١٩١٩) في كراس

La Syrie devant la Conférence, op. cit., p. 3-5

العربي في سوريا من شأنها ان تعلل او تبرر مثل هذه الفكرة؟ ان ضم سوريا الى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الأرض التي أنبتت هذا الشعب وعلى تاريخه...»^{٨٢}.

هل حاول غانم قبل صدامه مع الأمير فيصل ان يوفق بين موقفه وموقف الأمير الهاشمي؟ في أحد الرسائل من غانم الى بيشون^{٨٣} يقول: «صاحب الفخامة: عند المرور الأول لفيصل في باريس تيسر لي أن أتناقش مطوّلًا مع هذا الأمير الشاب، وقد حملته على الاهتمام كثيرًا ببرنامج اللجنة المركزية الذي توسّعت في شرحه له، وهو البرنامج الذي يرتكز على وحدة سوريا واستقلالها وتنظيمها على الأساس الفدرالي. لقد نجحت في توجيه طموحه بأن يصبح هو نفسه رئيس الاتحاد الفدرالي، بدلاً من أن يعزل في منطقة دمشق حيث - في حال تسلّمه منصب الأمير أو السلطان - ينحبس بين أخيه في منطقة حلب والفرنسيين على الساحل ووالده الملك حسين في الحجاز. وبمافقته يكون قد أمّن خدمة لشعب شقيق بدل أن يكون مسؤولاً عن تجزئة ودمار البلاد السورية. لقد بدا لي ان هذه الفكرة راقت له (...) ولقد أطلعت السيد (غوت) على هذه المقابلة. وقد علّق الكولونيل بريمون «انني غيّرت تفكير الأمير».

(...) لكن بعد ذهابه الى لندن... عاد بأفكار وطروحات مغايرة، وهذا ما استشفيت من الحاشية المحيطة به. وهؤلاء يصرّحون: «انكلترا وعدتنا بالاستقلال الكامل دون أي تدخل خارجي ونحن نقف معها». من أبرز أعضاء الحاشية المحيطة بفيصل عوني عبدالمهدي، ويبدو ان غانم كان يكنّ له بغضاً أكيداً إذ يتهمه في أكثر من تقرير بأنه مرتبط بالدوائر الانجليزية^{٨٤}. في ٢٤ نيسان ١٩١٩ يرسل غانم رسالة^{٨٥} الى ريمون بوانكاريه يحثه فيها على التحرك في سوريا - عسكرياً واعلامياً - ويحدّر من تفتيت البلاد، ويشير الى عمليات الدفع من قبل الانجليز^{٨٦} وحتى ان الدعاية الفيصلية أخذت تستقطب سوريين في باريس والاميركيين. أما في رسالته^{٨٧} الى كليمنصو، رئيس مؤتمر الصلح، فيعارض غانم المطالب التي قدّمها فيصل ويفنّدها ويطرح على المؤتمر وجهة نظر أخرى: «فان مطالب الجاليات السورية اللبنانية هي ضد ما صرّح به الأمير كما يظهر من العرائض المقدّمة الى المؤتمر في ١٣ شباط الماضي ومن خلال تصريحات الوفد الرسمي اللبناني ان سوريا المستقلة ضمن حدودها الموحّدة، وضمن تنظيمها على أساس مقاطعات

٨٢. نقلاً عن ترجمة زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ١٠٤.

٨٣. A.E., V. 8, p. 102 (24 janv. 1919).

٨٤. A.E., V. 7, p. 204 (11 janv. 1919) et A.E., V. 9, p. 226-227 (14 fév. 1919).

٨٥. A.E., V. 12, p. 176.

٨٦. قال (برتيلى) أحد كبار موظفي الخارجية الفرنسية «من بملك القوة والمال يسيطر على الشرق».

٨٧. A.E., V. 13, p. 279-282 (14 juin 1919).

فدرالية وحكومة ديمقراطية ، تحت وصاية فرنسا ، هي من الشروط التي تحمل لبنان على الانضواء والمشاركة في الوحدة السورية .

ويبدو ان رسائل غانم لم تكن تلقى جواباً فيقدّم في ١٦ حزيران ١٩١٩ رسالة^{٨٨} الى بوانكارة يحتج فيها على عدم الإجابة على رسائله . وبعد أن يحدّد أسفه واحتجاجه على دعوة فيصل الى مؤتمر الصلح يضيف : قلت ان الصهيونية وتدويل فلسطين تحت المظلة الانجليزية ، والحجازية او العروبية ، كلها أقنعة كان يتحرّك عبرها عملاء انكلترا .

ب) الاحتجاج على الوفود اللبنانية

ذكرنا ان اللجنة المركزية السورية كانت تمثّل ، في مشروعها السياسي بالنسبة لمستقبل سوريا ، وجهة نظر الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة . وليس من الضروري التذكير بأهمية هذه القوى في توجيه السياسة الفرنسية . بيد أن موظفين كبار في وزارة الخارجية - وقوى أخرى من خارج الوزارة - كان لهم في هذه المرحلة ، وجهة نظر مغايرة لتلك التي يمثّلها شكري غانم - من هنا يمكننا الزعم بوجود سياسات فرنسية - بالنسبة لمستقبل لبنان - وليس سياسة فرنسية واحدة^{٨٩} . ومهما يكن من أمر فاللداعين لاستقلال لبنان الكبير عن الداخل السوري ، في وزارة الخارجية ، كانوا وراء تسهيل مهمة الوفود اللبنانية الى مؤتمر الصلح .

في ٢ شباط ١٩١٩ يقدّم شكري غانم رسالة^{٩٠} عتب الى وزارة الخارجية حول موقف الوفد اللبناني الأول ، ويطلب توضيحاً من المسؤولين عن المدلول السياسي لحيء هذا الوفد ، كما يطلب توضيح السياسة الفرنسية المتبعة له . وكذلك يرسل رسالة ثانية^{٩١} يعتب فيها أيضاً على السماح بمجيء الوفد اللبناني الى باريس وتركه يعرض مطالبه امام المؤتمر^{٩٢} . غير انه في رسالة اخرى يطلب من رئيس الدولة إعطاء أوسمة شرف لأعضاء الوفد اللبناني الأول وللشهداء اللبنانيين^{٩٣} .

أما بالنسبة للبطريرك الحويك فيقول : لا أفهم شيئاً من السياسة التي تتبناها في سوريا . حتى

٨٨. A.E., V. 13, p. 274-278.

٨٩. « يجب أن يكون لفرنسا سياسة محدّدة في سوريا » . هذا ما قاله مارك سايكس الى السفير الفرنسي في

روما أوائل تشرين الثاني ١٩١٨ - A.E., V. 4, p. 69.

٩٠. A.E., V. 9, p. 34-35 (2 fév. 1919).

٩١. A.E., V. 9, p. 188-189.

٩٢. كان داود عمون قد طرح مطالب مجلس الإدارة من خلال مذكرة قُدّمت الى مؤتمر الصلح .

٩٣. لا يمكن التعجّب من تغيير موقف غانم اذا علمنا ان داود عمون طرح في ختام مذكرته العلاقة بين

سوريا ولبنان على النحو التالي :

« ... فنظام يفصل بينها فصلاً تاماً يضربهما معاً . ومع ذلك فلبنان يأبى الاشتراك في الوحدة السورية - مع المحافظة على شخصيته الممتازة - إلا اذا كانت فرنسا هي الدولة المساعدة لكليةهما معاً... » .

اني أخاف ان أفهم هذه السياسة. نكتب ونحاور أصدقاء البطريرك (الحويك) ونرجو منه ان لا يحد من موقفه باستقلال لبنان ، ولكن عليه أن يوسع قضيته الى كل سوريا^{٩٤}.
اذا كان موقف غانم من الوفود اللبنانية الرسمية تساؤلياً أكثر منه هجومي ، فان موقفه من نشاط القوى اللبنانية الاستقلالية (المتتملة بالاتحاد اللبناني والرابطة اللبنانية في باريس) ينم عن قساوة لا تهادن. ففي تقرير الى وزير الخارجية بيشون رفعه غانم جاء فيه ما يلي :
« لقد نمي إلي أن ثمة تحركات معارضة للسياسة الفرنسية في سوريا ، وأجد من واجبي لفت نظركم إليها :

١. ثمة احتجاجات أرسلت الى سكرتارية مؤتمر الصلح او مباشرة الى مندوبي الدول الحليفة من عشرات اللبنانيين والسوريين ، المعروفين بعدائهم لفرنسا وحتى للوفد الرسمي الذي أرسلته حكومتهم^{٩٥}.
 ٢. ثمة مآدبة في طريق التحضير من قبل هؤلاء الأشخاص أنفسهم على شرف الأمير فيصل الذي تجمعهم به وحدة الموقف المعارض لفرنسا.
 ٣. لقد تمّ تنظيم لجنة لبنانية مؤلفة من هؤلاء أنفسهم ، وذلك بتاريخ وصول فيصل نفسه ، وربما تمّ ذلك بإيجاء منه.
- كل هذه الدسائس تهدف الى مجابهة السياسة الفرنسية في سوريا ، وتقويض نفوذها وإيجاد حالة من الاضطراب والتخريب في أفكار مندوبي القوى الكبرى.
- ان الحرية المتروكة لهذه الدسائس على الأراضي الفرنسية بالذات لا تتسجم مع الخط السياسي الذي تتبعه الدبلوماسية الفرنسية امام مؤتمر الصلح.
- كما ان هذه التحركات تؤدي الى همود في حمية عناصر اللجنة المركزية السورية المتعلقة بالتقاليد الفرنسية ، كما انها تخفف من صلابة المحبّدين.
- هذه السياسة تبدو أنها أميل للتساهل الإرادي ، علماً أنها تؤدي - من وجهة نظرنا - الى الضرر بالمصالح الفرنسية - السورية.
- ومن هنا نجد من واجبنا ، مضطرين ، ان ننوّه بهذا الخطر^{٩٦}.

ج) التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية

ان غزارة الرسائل التي نجدها لشكري غانم في ارشيف وزارة الخارجية ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، والمودة التي يتكلّم بها مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية وباقي كبار الموظفين ، هي من المؤشرات

٩٤. A.E., V. 15, p. 40-44 (18 août 1919).

٩٥. يقصد الوفد الأول الذي أرسله مجلس الإدارة.

٩٦. الرسالة مؤرخة في ١٨ شباط ١٩١٩.

التي تنم عن الأهمية البالغة لهذا الشخص - على الأقل بالنسبة للفرنسيين^{٩٧}. ويبدو أن الهم المحوري الذي كان يستحوذ على كل نشاطه يتمثل بأمرين :

- تحقيق الوحدة السورية.

- تحقيق الوصاية الفرنسية على كامل سوريا.

من أجل تحقيق ذلك استعمل غانم وحيثته كافة الأساليب :

- أسلوب المساعدات المالية لشراء المؤيدين ولنشر الدعاية الإعلامية: ففي مذكرة قدمها غانم الى وزير الخارجية في ١٠ تشرين الأول ١٩١٨^{٩٨} يطالب بمبلغ ٥٠٠ ألف فرنك لتنفيذ خطط إعلامية، واستقطاب مؤيدين لتحقيق الانتداب الفرنسي على سوريا مع تأمين وحدتها. ويقوم غانم بإلقاء المحاضرات في الأوساط الاقتصادية المهمة بسوريا محرّضاً إياها على التدخل بكل ثقلها المادي والمعنوي لإنجاح مشروعه - الذي هو مشروعه - فيشارك في مؤتمر مرسيليا حول سوريا ويلقي فيه محاضرة، ويشارك في إلقاء محاضرات عدة منها واحدة في ليون^{٩٩}.

- كما قام بأسلوب إغراق مؤتمر الصلح بالعرائض المؤيدة لمشروعه. «أرجو ان أتمكّن - يقول - من التأثير على مؤتمر الصلح بإرسال عدد كبير جداً من العرائض الممهوره في بعض الأحيان بتواقيع الأسماء نفسها»^{١٠٠}. وكان دائماً يشدد من عزيمة كليمنصو لمواجهة الضغط الانجليزي، ففي ١٢ كانون الأول ١٩١٨^{١٠١} يرسل الى كليمنصو برسالة يشكو فيها من تردّي الأوضاع في سوريا وضعف الفرنسيين فيها بالنسبة للنفوذ الانجليزي. بينما كان كليمنصو قد أكّد له حرص حكومته على تطوّر سوريا نحو حضارة هادئة، مع حتمية دفاعها عن الأمة السورية الى أقصى حدّ أمام الحلفاء^{١٠٢}. غير ان غانم يعود ويستحلف كليمنصو - باعتبار انه أمسك المسألة السورية بيده - ان يؤمّن لها حلاً ينسجم مع مصالح فرنسا، وهذا ما ينسجم مع مصالح سوريا بأكملها^{١٠٣}. غير ان تحرك غانم على مستوى المهاجرين السوريين واللبنانيين يستمر بالتصاعد^{١٠٤}، فيقدّم في ١٠ كانون الثاني، أي عشية انعقاد مؤتمر الصلح، الى وزير الخارجية الفرنسي برقيات

٩٧. من حقنا ان نتساءل هل ان أهميته نابعة من شخصيته المثقفة أم من كونه ممثلاً للقوى الاقتصادية الفاعلة في وزارة الخارجية، أم ان أهميته نابعة عن السببين معاً؟ على كل حال ان الوثائق المتعلقة بغانم تسمح بتحضير أطروحة دكتوراه عنه بكل سهولة.

٩٨. A.E., V. 2, p. 217.

٩٩. A.E., V. 7, p. 239.

١٠٠. A.E., V. 7, p. 221.

١٠١. A.E., V. 5, p. 242.

١٠٢. A.E., V. 5, p. 2.

١٠٣. A.E., V. 6, p. 158.

١٠٤. خاصة من خلال الجمعيات الملحقه به في نيويورك ومصر وباقي مناطق الاغتراب في أميركا.

المغتربين الذين يتمنّون تكليف وزير الخارجية (الفرنسي) الطلب من مؤتمر الصلح أن يوكل الى فرنسا أمر تنظيم سوريا بكاملها ضمن نظام فدرالي^{١٠٥}.

على صعيد آخر كان يتصل غانم ببعض مراكز التأثير العسكرية ؛ في رسالة منه الى (فرانشي ديسبري) يقول : «أذكر يا حضرة الجنرال كلمة رئيس أركان الجيش الفرنسي : سوريا بعد متر وستراسبورغ»^{١٠٦}.

ولكن مع التطورات التي عرفت المسألة السورية على نحو مغاير للمصالح الفرنسية قدّم غانم الى بيشون احتجاجاً على إرسال لجنة^{١٠٧} لاستفتاء شعوب المنطقة باعتبار انها تعقد الوضع وتحركه بدلاً من تهدئته^{١٠٨}.

ومنذ حزيران تميل رسائل غانم للتشاؤم فهو يحتجّ على عدم الجواب على رسائله من وزارة الخارجية ويطلب اذناً بفرصة بسبب الازهاق الذي يعانيه^{١٠٩}. كما يتأفّف من زميله في اللجنة المركزية جورج سمنه لأنه لا يقوم بواجبه في وزارة الخارجية. وينهي رسالته بالتأسّف لأنه أرهق صحته وأضاع وقته وبدل من الآلام والأحزان بدون طائل^{١١٠}.

II . حزب الاتحاد السوري Partl de l'Union Syrienne

الحزب الثاني الذي نشأ في هذه الفترة والذي كان يعمل للوحدة السورية هو حزب الاتحاد السوري. ويبدو أنه كان يتشكل من مجموعة من النخب الفكرية من طوائف متعدّدة ، والبرنامج الذي كان يسعى لتحقيقه هو وحدة سوريا على أساس اللامركزية والوصول الى الاستقلال التام.

أ) مؤسّسو الحزب :

أورد تقرير^{١١١} لجهاز الاستخبارات التابع للبحرية الفرنسية في المشرق المعلومات التالية . « هناك حزب سوري جديد يبرز الى الوجود ، على رأسه لجنة مؤلّفة من شخصيات غنية جداً ، ومن صحفيين سوريين في مصر . ومنهم :

ميشال بك لطف الله ، رئيس النادي السوري في القاهرة
ادوار كرم ، ملاك كبير في الاسكندرية

١٠٥ . A.E., V. 7, p. 183-189

١٠٦ . A.E., V. 7, p. 221 (13 janv. 1919)

١٠٧ . اللجنة التي سُمّيت فيما بعد لجنة كينغ - كراين .

١٠٨ . A.E., V. 12, p. 66

١٠٩ . A.E., V. 13, p. 274-278 (18 juin 1919)

١١٠ . A.E., V. 15, p. 40-44 (18 juillet 1919)

١١١ . A.E., V. 7, p. 199 (9 janv. 1919)

يعقوب صرّوف وفارس نمر ، أصحاب ومالكي « المقطم » ومجلة « المقتطف » ومن قدامى طلاب الجامعة الأميركية ببيروت

سلمى تقي الدين ، درزي

عجب الدين الخطيب ، مدير الصحيفة العربية « القبلة » التي تصدر في مكة

فؤاد الخطيب ، المندوب الدبلوماسي لمملكة الحجاز في القاهرة

الشيخ رشيد رضا ، صاحب ومدير مجلة « المنار »

عباس المصري .

أما تقرير^{١١٢} (مازالك) حول السوريين في مصر فقد جاء فيه :

« ... ثم هناك حزب الاتحاد السوري الذي تأسس سرّاً برئاسة ميشال بيك لطف الله ، شقيق الكولونيل لطف الله الذي أُبعد من طنجه في ايار ١٩١٨ ، وهو ذو اتجاهات قومية وعروبية (...) هذا الحزب يتألف من أعضاء كانوا ينتمون الى تجمّعات ثلاث :

٠ اللجنة السرية العربية التي كانت موضوع تقرير رفعناه للوزارة رقمه ١٨١ بتاريخ ١٥ حزيران ١٩١٨ .

٠ والاتحاد اللبناني .

٠ ونادي الوحدة السورية وهو تجمّع لا لون سياسي له ، تمكّن ان يجمع في القاهرة مسلمين ومسيحيين سوريين من طوائف عدة .

مديرا المقطم الدكتورين نمر وصروف ، ورئيس تحرير الاهرام داود بركات ، ومدير المكتب العربي (...) نعوم شقير ، رفيق بيك العظم ، الدكتور شهنذر ، الشيخ رشيد رضا والشيخ كامل القصاب ، والأربعة هم من الصحفيين المسلمين المعروفين ، وهم من واضعي نظام الحزب مع اسكندر بيك عمون ، الرئيس السابق للاتحاد اللبناني . هذا الحزب يريد القيام بدعاية ناشطة لأفكاره ، في سوريا من خلال توسط رجال يدخلون في حاشية الأمير فيصل ، وفي أوروبا من خلال بعض السوريين الدائرين في فلك الانجليز من هتلر هـ . زغيب الذي تبجّع بأنه حمل الفرنسيين أنفسهم على إلغاء اتفاقية سايكس - بيكو مع فسخ المجال حرّاً للتيار العربي في سوريا .

والحزب الجديد يتكل على دعم انجلترا ، وهي التي بشرت به بشكل شبه رسمي من خلال مراسلي الديلي ميل والتايمز في القاهرة ، كما قدّمت الدعم المالي له من أجل بث الدعاية لقيام سوريا الكبرى ولاحقاً قيام كونفدرالية دول عربية . ان العون الانجليزي هو بالتأكيد ما يهدّد نفوذ فرنسا في أوساط السوريين ، وتحرك هذا التجمّع سيصطدم بانكفاء المسيحيين غير المتأثرين بالنفوذ الانجليزي ، وذلك بسبب هيمنة المسلمين على قيادته .

في تقرير آخر^{١١٣} عن هذا الحزب نجد أسماء لم يوردها التقريران السابقان وأبرزها : خليل

١١٢ . A.E., V. 7, p. 160 (9 janv. 1919)

١١٣ . A.E., V. 7, p. 191 (10 janv. 1919)

خياط ، دكتور مشاقة ، أ. مختار الصلح ، خالد الحكيم ، ثابت ثابت ، عوض مفرّج ، جاد الله سوسة ، حنا كنعان ، عيسى طنوس . وتضيف احدى الوثائق^{١١٤} أسماء أخرى من مثل : حسن بك خالد ، وهبه أليسا ، باديا بك كريا ، أسعد مفرّج ، شبلي جمل^{١١٥} ، سليم سركيس ، نقولا حداد .

ب) برنامج حزب الاتحاد السوري في القاهرة :

تألف برنامج^{١١٦} الحزب من النقاط التالية :

١. تشكّل سوريا بمجموعها متحداً قومياً عربياً ، تمتد من طوروس في الشمال ، من الخابور والفرات في الشرق ، ومن بادية الشام ومدائن صالح في الجنوب ، ومن البحر الأحمر - خط العقبة - رفح والبحر المتوسط . في الغرب .
٢. تتمتع سوريا باستقلال تام ، مضمون من عصبة الأمم ، وهذه العصبة تضمن ايضاً دستورها وتحمي استقلالها .
٣. تكون عصبة الأمم مرجع حكومة البلاد في طلب الاختصاصيين في بعض المناصب الاستشارية الهامة ، وذلك تبعاً لما تراه هذه الحكومة من ضرورة .
٤. تتبع الحكومة السورية مبادئ الديمقراطية اللامركزية ، وترتكز قوانينها وأنظمتها على أساس مدني صرف ، باستثناء قوانين الأحوال الشخصية التي تبقى على حالها .
٥. يستمر العمل بالأنظمة والقوانين المعمول بها حالياً حتى موعد اجتماع الجمعية الوطنية العامة الممثلة للشعب ، اذ تقوم هي ، عندئذ ، بإعادة النظر بهذه القوانين او تستبدلها بأخرى ملائمة لمصلحة البلاد ولروحية النظام المدني الجديد .
٦. تقسم البلاد ، إدارياً ، الى ولايات مستقلة ذاتياً ، ولكنها مرتبطة مع بعضها لتأمين المصلحة العامة . في هذه التقسيمات تراعى عوامل التقاليد والجغرافية والخصائص المحلية (فلسطين ، جبل حوران ، تقاليد البدو والتصيرية في ولايات حلب ودمشق ودير الزور) وتقاليد لبنان في حدوده الطبيعية وامتيازاته القديمة .
٧. كل ولاية يكون لها مجلس تمثيلي خاص منتخب من قبل السكان على نحو يحفظ حقوق الأقليات . وتجري الانتخابات كل أربع سنوات . من مهمات هذا المجلس الاهتمام بشؤون الولاية وتنظيم شؤونها الداخلية بما يتلاءم مع مصلحتها شرط ان لا يتناقض ذلك مع القوانين العامة للبلاد .

١١٤ . A.E., V, 7, p. 167-169 .

١١٥ . ربما يكون شبلي شميل أيضاً .

١١٦ . A.E., V, 7, p. 167-169 .

٨. تشكّل الولايات ولبنان حكومة مركزية تكون عاصمتها دمشق صيفاً وبيروت شتاء. هذه الحكومة تكون مسؤولة امام الجمعية العامة للبلاد.
٩. يكون للبلاد مجلس تمثيلي عام يتألف من أعضاء منتخبين من قبل المجالس الإدارية في الولايات ، وذلك على أساس نسبة واحد لكل ثلاثة.
- هذا المجلس يجتمع مرة في السنة ، في مقر الحكومة للمناقشة في شؤون البلاد والاهتمام بمصالحها العامة ، واصدار القوانين الضرورية والملائمة.
١٠. كل ولاية تشكّل شرطة محلية لفرض الأمن في الداخل ، والحكومة تحضّر قانوناً خاصاً حول مسألة التجنيد العام.
١١. كل الوظائف الحكومية توكل الى الأكثر كفاءة من المواطنين ، وذلك ضمن حدود المادة الثانية من هذا البرنامج.
١٢. سيتمّ اعتماد برامج تربوية موحّدة لكل البلاد ، وتكون قاعدتها الروح الوطنية دون تفریق بين الطوائف والأديان.
١٣. كل ولاية تقتطع من مداخيلها الضرائبية الخاصة مصاريف حكومتها . أما بالنسبة للمداخيل الناجمة عن الجمارك ، والبرق والبريد ، وسكك الحديد ، والمناجم والزوارق ، فتجتمع من قبل الحكومة المركزية للبلاد ، الأمر الذي يسمح لها القيام بأعباء المصالح العامة .
١٤. عندما تتوصّل الأمة العربية الى تشكيل اتحاد كونفدرالي ، فان سوريا ستتنضم إليه بشرط ان لا يؤثر ذلك على وحدتها الوطنية الخاصة ولا على شكل حكومتها.

(ج) تحرك الحزب :

بعد أن أعلن الحزب عن برنامجه في اوائل كانون الثاني ١٩١٩^{١١٧} ، قدّم رئيسه ميشال لطف الله لائحة بأسماء اللجنة التنفيذية المركزية الى السلطات الفرنسية^{١١٨} ، كما قام لطف الله بإرسال برقية الى كليمنصو يذكر فيها مبادئ الحزب^{١١٩} ، ثم يرسل مذكرة الى كليمنصو ايضاً يطرح فيها تصوّره لسوريا الموحّدة والمستقلة^{١٢٠}.

ولما كانت السلطات الفرنسية قد اتخذت إجراءات مشدّدة بمنع الأشخاص او الوفود - الذين لا ترضى عنهم - من الذهاب الى باريس لعرض قضاياهم أمام مؤتمر الصلح فأننا نجد سؤالاً من شكري غانم يتقدّم به الى (جان غوت) في الخارجية الفرنسية يسأله عن إمكانية

١١٧. A.E., V. 7, p. 191-194.

١١٨. A.E., V. 8, p. 64 (23 janv. 1919).

١١٩. A.E., V. 8, p. 117 (25 janv. 1919).

١٢٠. A.E., V. 9, p. 10-12 (1 fév. 1919).

السماح للطف الله بالدخول الى باريس^{١٢١} ، وذلك استجابةً لالتماس قدّمه لطف الله نفسه - الموجود في مدريد - الى غانم ، يعرض فيه صعوة بجيئه الى باريس ويطلب منه التوسط له مع الحكومة الفرنسية للمجيء الى باريس وابلاغ مؤتمر الصلح أمانى حزبه^{١٢٢} .

III. جمعية سوريا الجديدة الوطنية Nouvelle Ligue Nationale Syrienne

إذا كان مفهومًا ان تقوم جمعيات وأحزاب مدعومة من فرنسا او انكلترا ، وتطرح برامج حول مستقبل المنطقة تنسجم مع مصالح هاتين الدولتين الكبيرتين ، فمن الملفت للباحث أن تقوم جمعيات ، في هذه الفترة (١٩١٩ - ١٩٢٠) تدعو لوحدة سوريا تحت الوصاية الأميركية . علمًا أن أميركا لم تكن بعد قد أصبحت دولة كبرى تسعى لايحاد مناطق نفوذ خارج القارة الأميركية .

أ) مبادئ الجمعية :

جاء في النص الأساسي لمبادئ هذه الجمعية^{١٢٣} :

« بناء على كون دول الأحلاف أعلنت مرارًا وبكلام لا يقبل الالتباس اتخاذها أساسًا للصلح ولتقرير نظام الأمم المبادئ التي صرّح بها الرئيس ولسن باسم حكومة الولايات المتحدة والتي تقضي بتحرير الشعوب الصغيرة المستعبدة وتدرئها في الارتقاء الذاتي الى ان تتمكن من ان تحكم نفسها بنفسها دون تدخل أجنبي او معارضة خارجية .

وبناء على كون شعبنا السوري الذي حافظ على جنسيته وقوميته ولغته وعاداته محافظة تامة مدة أربعة قرون قضاها تحت نير التركي الظالم هو احدى تلك الأمم التي تحرّرت وبالتالي نالت حق تقرير مستقبلها .

وبناء على كون الولايات المتحدة الأميركية في كل تاريخ علاقتها مع الدول والأمم الأجنبية وبفضل دستورها ومبادئ أهلها وبشهادة معاملتها لكوبا وغيرها لا تقبل ابداً على عمل دولي لتتفع بل لتتفع وتخدم ولتنجلي عن البلاد متى استطاع أهل البلاد إدارة شؤونهم التامة .

وبناء على كون الولايات المتحدة محرزة ثقة كل الدول يؤمنونها على مصالحهم ولا يشكون بعودها وليست مقيدة بمعاهدات دولية تغلّ يديها عن العمل .

وبناء على كون الولايات المتحدة محبوبة من الشعب السوري ومستعدة لمساعدته .

بناء على كل ذلك ورغبة في وضع خطة تكفل نجاح بلادنا وتعود على أبنائها بالخير والسلام قرّرنا وضع المبادئ الآتية والعمل لتحقيقها :

١٢١ . A.E., V. 12, p. 49 (15 avril 1919)

١٢٢ . A.E., V. 12, p. 50

١٢٣ . A.E., V. 9, p. 205

١. عدم إرجاع الحكم التركي الجائر الى سوريا اسماً او فعلاً.
 ٢. جعل سوريا برمتها من جبال طوروس الى صحراء سيناء ومن بحر الروم الى الصحراء والفرات ، بلاداً حرة مستقلة دون تمييز بين الطوائف والشعوب ، مؤلفة من مقاطعات لكل منها هيئة حكم إدارية توافق أحوالها.
 ٣. وضع البلاد تحت وصاية وتدبير الولايات المتحدة الى ان يتمكن السوريون من الحكم الذاتي التام.
- الدكتور جورج خير الله ، رئيس
الدكتور فليب حتي ، كاتب أسرار عام

١٢ شباط ١٩١٩

ب) تحرك التيار السوري المؤيد للوصاية الأميركية :

يبدو أن نشاط جمعية سوريا الجديدة الوطنية لم يكن معزولاً عن جملة تحركات حصلت في أماكن الاغتراب اللبناني . فثمة تقريران^{١٢٤} من مصر بشيران الى وجود تيار يقوده نمر باشا (صاحب المقطم) ، المتأثر مع غيره بآراء هوارد بلس ، يطالب بالوصاية الأميركية على مجمل سوريا ويعتبر أن الوجود الفرنسي يقسم سوريا الى ثلاث مناطق : لبنان ، المنطقة الشرفية ، وفلسطين. وهناك برقية من نمر باشا الى مؤتمر الصلح يدعو فيها لوحدة سوريا تحت الوصاية الأميركية^{١٢٥}.

حتى ان أميركا الجنوبية شهدت تحركاً واسعاً بين المغتربين يدعو للوحدة السورية مع الوصاية الأميركية. ومن دعاة المؤتمر الذي أطلق هذه الدعوة : داود مجاعص من لا باز ، وهو الذي حضر المؤتمر ، والسيد بالش رئيس الرابطة السورية في سنتياغو ، والبرازيل أرسل (سوزا) والأرجنتين الدكتور (خليل) سعاده ، وألبرو ابو خاطر ، وبوليفيا مجاعص^{١٢٦}.

ثانياً : بعض التيارات ذات التوجّه اللبناني

لقد ركّز الباحثون في التاريخ اللبناني ، عادةً ، على دور الوفود اللبنانية وكونها الممثل للتيارات الشعبية المسيحية بشكل خاص. ولكن من خلال وثائق وزارة الخارجية ، يبدو ان هناك

١٢٤. A.E., V. 7, p.10, p. 104-105 et p. 108 - والتقريران بتاريخ ٢٨ شباط وأول اذار

١٩١٩.

١٢٥. A.E., V. 10, p. 159-160

١٢٦. A.E., V. 12, p. 148 (24 avril 1919)

جمعيات وحركات كان لها وزنها على مستوى المثقفين وعلى مستوى القاعدة الشعبية المسيحية . وقد حاولت هذه الجمعيات والحركات ان تواجه التيار الداعي لضم لبنان الى وحدة سورية ، مراهنه في صراعها على مجمل عوامل داخلية لبنانية وعلى متغيرات تتصل بالصراع الانجليزي - الفرنسي في المنطقة ، وبنوع خاص عملت على التأثير في القرار الفرنسي - على مستوى وزارة الخارجية ومواقع النفوذ الأخرى - ويبدو أن مسار الأحداث ، لاحقاً ، كان الى جانبها .

ما هي أهم هذه الأحزاب والحركات ؟

١. حزب الاتحاد اللبناني

لقد كان حزب الاتحاد اللبناني من الجمعيات اللبنانية التي لعبت الدور الأساسي في طرح المسألة اللبنانية بأفق استقلالي قبيل الحرب العالمية الأولى ، وابانها وبعدها . وبالرغم من الدراسات الكثيرة التي وُضعت حول هذا الحزب ، ومنها أطروحات جامعية ، فالجمال لا يزال واسعاً لمزيد من البحث والتنقيب . وسنحاول إلقاء بعض الأضواء الجديدة على نشاط الحزب ، بين عامي ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، وذلك انطلاقاً من وثائق ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

أ) حول السياسة العامة للحزب

بعد أن تمّ تقاسم النفوذ في السلطنة العثمانية بين الدول المتحالفة (بريطانيا ، فرنسا ، روسيا وإيطاليا) ، وذلك عبر مراسلات عديدة تبودلت خلال الأعوام ١٩١٤ - ١٩١٦ ، كانت سوريا ولبنان من المناطق التي أعطيت لفرنسا . وفي ضوء ذلك شدد الفرنسيون من اهتمامهم بالقوى السياسية والطائفية والفكرية الفاعلة على الصعيد اللبناني خاصة والسوري بشكل عام .

في ٧ تموز ١٩١٨ أرسل التحري الفرنسي في القاهرة تقريراً مفصلاً عن المهرجان الذي عقده حزب الاتحاد اللبناني في القاهرة ، وتكلّم فيه أوغست باشا أديب ، وعباس أفندي المصري ، ويوسف السودا ، ثم انطون الجميل سكرتير الاتحاد^{١٢٧} .

وفي ٥ أيلول ١٩١٨ أرسل الضابط الفرنسي الكبير كولوندر (Coulondre) ، عن البرنامج السياسي للاتحاد اللبناني ، تقريراً يبرز فيه ان هذا الحزب يطالب بالاستقلال التام للبنان تحت حماية الدول الكبرى ، بما فيها المانيا والنمسا^{١٢٨} .

ويرسل قنصل فرنسا في الاسكندرية بونزون (Bonzon) بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩١٩ تقريراً يذكر فيه بالدسائس المرفقة في خصوصتها من قبل حزب الاتحاد ، وسياسته الاستقلالية وارتباطاته المتنوعة مع الحزب الشريفي . ويورد القنصل معلومات وصلته حديثاً عن تسميته ثلاثة ،

١٢٧ . A.E., V. 1, p. 182

١٢٨ . A.E., V. 1, p. 252-256

من أكبر أعضاء الاتحاد نفوذاً، مستشارين للأمير فيصل وهم : أدب باشا ، رئيس الاتحاد اللبناني ، شقير باشا ، واسكندر عمون... ويستدرك القنصل ان داود عمون هو على خلاف مع شقيقه ويقود سياسة مناقضة له ، وان اسكندر سيختاره الأمير فيصل مندوباً عنه في مؤتمر الصلح بباريس^{١٢٩}. واسكندر عمون ، الذي سيصبح فيما بعد وزيراً للعدلية في الحكومة الفيصلية الأولى ، تبرزه التقارير الفرنسية المختلفة كأحد أبرز أخصام السياسة الفرنسية الخطرين في هذه المرحلة^{١٣٠}. وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل قسم الاستخبارات في البحرية الفرنسية العاملة في المشرق تقريراً عن تصاعد نفوذ حزب الاتحاد اللبناني في مختلف المناطق اللبنانية ، وانتشار الداعين لبرنامج^{١٣١}.

ويقدم لي فيفر - بونتالي (Lefèvre-Pontalis) وزير فرنسا المفوض في مصر الى بيشون (Pichon) وزير الخارجية تقريراً عن التيارات السياسية في أوساط «الشوام»^{١٣٢} الموجودين في مصر ، وتاريخ هذا التقرير هو في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ . جاء في التقرير^{١٣٣} : « يوجد حالياً في مصر ثلاث جمعيات سورية ، ولكن باتجاهات مختلفة ، وهي تقوم بنشاطاتها في القاهرة والاسكندرية بشكل رئيسي . احداها مؤيدة لفرنسا وتدعى اللجنة اللبنانية - السورية ... وتيار حزب الاتحاد اللبناني الذي يصفه بأنه غير محب لفرنسا (فرانكو فوب) وانه ذو اتجاهات قومية . ويتم السلطات الانجليزية بأنها وفرت الحرية الكاملة لنشاط هذا التيار منذ ما يقارب العام ، غير عابثة بانعكاس ذلك على مصالحها ، بالنسبة لتقوية التيار القومي المصري على نحو مماثل . ويقول ان جريدة « الأمة » الناطقة الرسمية باسم الاتحاد اللبناني ، وهو يضم مجموعة من العاملين في الإدارة المصرية ، تهاجم باستمرار اطروحة التدخل الفرنسي في لبنان وتعمد السياسة الانجليزية في الشرق ضمن خلفية الانتفاع المالي . ولا يبدو ممكناً بأي حال ، أن يلعب هذا التجمع الدور الفعال في تسوية المسألة اللبنانية ، خاصة بعد أن قرّر مجلس الإدارة إرسال وفد الى فرنسا . وتأثيره ، بالتالي ، محدود خارج مصر بالرغم من الجهود التي يبذلها حتى الآن ».

وفي السياق نفسه يقدم الكومندان سارو (Sarrou) تقريراً آخر حول السوريين واتجاهاتهم في مصر (١٣ كانون الثاني ١٩١٩) ، فيشير الى ان المطران دريان يتزعم الاتجاه المؤيد لفرنسا ، واما الاتجاه المعارض لها فيتألف من الاتحاد اللبناني ، المدعوم من قبل الانجليز ، وقد حوّل عمله الى السرية^{١٣٤}.

١٢٩ . A.E., V. 7, p. 55

١٣٠ . A.E., V. 7, p. 34 et V. 14, p. 20

١٣١ . A.E., V. 7, p. 199

١٣٢ . هذه هي الصفة التي كانت تُطلق على المهاجرين من سوريا ولبنان الى مصر.

١٣٣ . A.E., V. 7, p. 159-162

١٣٤ . A.E., V. 9, p. 54

وفي التاريخ نفسه (١٣ كانون الثاني ١٩١٩) ترسل الدوائر الدبلوماسية الفرنسية في مصر ببعض المعلومات عن حزب الاتحاد اللبناني ، وما جاء فيها^{١٣٥} :

« لقد سمحت السلطات الانجليزية المحلية للجنة المركزية لحزب الاتحاد اللبناني في القاهرة ان ترسل الى أوروبا - بناء على طلبها - وفدًا يطرح أمام حكومات الحلفاء مطالب « الاتحاد » المتعلقة بمستقبل لبنان . ولكن المآزق الذي يواجهه الحزب هو تأمين المال الكافي لسفر مندوبه الى أوروبا » .

وفي تقرير آخر^{١٣٦} عرض لطلب لجنة الاتحاد اللبناني من السلطات الانجليزية السماح لها بإرسال وفد من أعضائها الى لبنان . غير ان أي جواب من قبل الانجليز لم يتم . وهذه اللجنة ، بدورها ، تعدّ مذكرة بمطالبها : الاستقلال التام الناجز للبنان ضمن حدوده الطبيعية مع حماية الدول الكبرى مجتمعة . هذه المطالب سيقدمها الاتحاد قريبًا ، الى الدول الخليفة والى مؤتمر الصلح ، وذلك باسم جميع اللبنانيين ، وجميع الشهداء الذين ماتوا من الجوع والمرض ، شهداء الظلم والطغيان التركي أبان الحرب .

ومن بين المسؤولين عن هذا الحزب في الاسكندرية يعرض التقرير الأسماء التالية :

يوسف السودا ، رئيس ، مهنته محام في الاسكندرية
توفيق طنوس ، سكرتير (يقال بأنه استقال) ، وهو صاحب ومدير جريدة « الأمة »
سمعان سابا ، أمين الصندوق ، وهو تاجر تبغ
الدكتور نجيب فرح ، الدكتور خليل صافي ، سليم زند ، مراد السودا (محام بالاسكندرية) ،
اسكندر نعمه (تاجر) ، يوسف قشمة (تاجر تبغ) ، سليم العظم (الترجمان السابق لسفارة ايران) ، عباس المرصفي^{١٣٧} محرر في جريدة « ذي ايحييتيان غازيت » (The Egyptian Gazette) ومراسل جريدة الاهرام في الاسكندرية ، كل هؤلاء أعضاء .
أما اللجنة الاستشارية فهي مؤلفة من اسكندر الحاج بطرس ، توفيق اسكندر ونصرالله عساف .

وبينا نجد تقريرًا من (بونتاليس) القنصل الفرنسي في القاهرة ، يعتبر فيه رئيس الاتحاد اللبناني أديب باشا معارضًا النفوذ الفرنسي ومؤيدًا للنفوذ الانجليزي^{١٣٨} ، نجد تقريرًا آخر من محادثات البحرية يصف حزب الاتحاد اللبناني ، ويوسف السودا أحد زعمائه ، بالاستقلال في الآراء والمواقف^{١٣٩} .

١٣٥ . A.E., V. 7, p. 144

١٣٦ . A.E., V. 7, p. 40

١٣٧ . هو نفسه عباس المصري .

١٣٨ . A.E., V. 10, p. 54

١٣٩ . A.E., V. 7, p. 27-32

ب) تحرك الحزب مع فروعه :

لم يقتصر نشاط الاتحاد اللبناني على القطر المصري وإنما تعدّاه الى مختلف بلدان الاغتراب ، وبخاصة في الوطن الأم . فهذه برقية من فنزويلا الى مؤتمر الصلح موقّعة بامضاء سليمان بو صادر تطالب باستقلال لبنان التام مع إعادته الى حدوده الطبيعية^{١٤٠} . وبالمعنى نفسه والى المرجع نفسه ، ثمة برقية أخرى من فرع الاتحاد في بوينس ايرس^{١٤١} . أما المذكرة البالغة الأهمية والتي يمكن اعتبارها « خطاباً سياسياً » يعكس المرتكزات الفكرية التي قام عليها « حزب الاتحاد » ، فهي المذكرة التي أرسلها أوغست أديب رئيس الاتحاد وانطوان الجميل السكرتير العام ، وقد أرسلت من مصر بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٩ . وسنوردها بحرفيتها لأهميتها الاستثنائية :

« حضرة الاخوان الأفاضل والمواطنين الكرام رئيس وأعضاء الجمعية اللبنانية في باريس .
بمزيد السرور والابتهاج تلقينا كتابكم المؤرخ في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ الحامل إلينا بشري اجتماع اللبنانيين في باريس وعقدتهم العزيم على المطالبة باستقلال لبنان استقلالاً تاماً . وقد أشرم في كتابكم المذكور الى برقية سبق لكم إرسالها إلينا بهذا الخصوص ولكن تلك البرقية لم تصل الى الآن . وما أسفنا لعدم وصولها إلا لأنه ترتّب على ذلك تأخرنا عليكم بالرد عن غير قصد منا .
نحن نهنتكم ايها الاخوان بنهضتكم الوطنية ونهتّى بلختكم التي وضع المواطنون نقتهم بها للدفاع عن حقوق الوطن العزيز ونرجو لكم كل نجاح وفلاح في خدمة قضية لبنان التي كثر المخاضمون فيها . نحن قننا هذه النهضة منذ مدة وبدلنا كل مجهودنا في سبيل تعزيزها وتأييدها لأننا لم نشأ أن نترك الفرصة السائغة تمر دون أن نقوم بالواجب المقدس على كل لبناني حر نحو وطنه . فحالما سمعت الأحوال أعلننا برنامجنا السياسي قبل كل جمعية وجاهرنا بطلب استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمان الدول او عصبة الأمم التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الشعوب الصغيرة بعد إنالتها حقوقها . واذا كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الاستقلال والاعتراف من السيادة .
أليس ذلك أخرى باللبنانيين الذين ما برحوا متمتعين على كثر الدهور باستقلالهم الإداري او التام فيطلبوا ذلك الاستقلال الآن - بعد تقلص السيادة التركية - كاملاً خالصاً من كل نقص حفظاً لتقاليدهم وصيانة لقوميتهم . هذه كانت مطالبنا من الدول نصيرة الحق وعاضدة الأمم الصغيرة معتقدين انه لا يجوز للوطني الصادق أن يطلب لبلاده غير الحرية والاستقلال ورفعها الى مصاف البلدان الراقية لا ابقاءها تحت الوصاية والإشراف الغريب . وقد تصدّى لنا كثيرون في سبيلنا وأقاموا بوجهنا العقبات لغايات في النفس واختلقوا علينا الأراجيف حتى ان بعض الكتاب عندكم رمانا علناً بالخيانة والمروق عن الوطنية . واذا كان من يطلب الاستقلال لبلاده يعدّ خائناً فبأي نعت يُنعت من يطلب لها الاستعباد وان كان يستره بألفاظ منمّقة . حاول الخصوم بنوع خاص تسويد صحيفتنا في عين فرنسا نحاولين إظهار تلك الأمة الشريفة بغير مظهرها الحقيقي هي

١٤٠ . A.E., V. 125, p. 14

١٤١ . A.E., V. 7, p. 216

التي طالما مدّت يدها لكل شعب نهض ليستقل وساعدت في الماضي على تأييد استقلالنا ، لم يرض هؤلاء الغلاة دليلاً على حبنا لفرنسا إلاّ تضحياتنا باستقلالنا وتقاليدينا وقوميتنا وطالما قلنا لهم : نحن نحب فرنسا أكثر مما تحبونها ولكننا نحب وطننا أكثر منها وهي لا تريدنا إلاّ كذلك . على ان هذه الوشابات جازت لسوء الحظ على بعض طلاب الاستعمار فوقفوا بوجهنا موقف المعاكس مخالفين في ذلك تقاليد بلادهم الحرة . على اننا لم نتزعزع عن مبدأنا وواصلنا ولا نزال مواصلين السعي لبثه وحمل اللبنانيين على اعتناقه والدول على إقراره .

ولكن ما لنا اليوم وإعادة تذكارات الماضي فالوقت وقت عمل وتطلّع الى المستقبل بيد اننا نقول لكم اننا أثناء جهادنا كنا دائماً نتطلّع بالفكر الى مواطنينا النازلين في باريس لما نعرفه في الكثيرين منهم من صدق الوطنية والغيرة القومية وكنا واثقين ان تلك القوى المستكنة ستندفع الى العمل بعزم وهمّة عندما يُتاح لها ذلك فتنهض لإسماع صوتها عالياً مسكناً لكل صوت يطلب غير مطلبنا . فلم يخيب ظننا بكم يا سلالة اللبنانيين الأماجد الذين طالما سفكوا دماءهم صوتاً لحريتهم في جباههم المنبئة . حققتم الآمال المعقودة عليكم فبارك الله فيكم وأخذ بيدكم في عملكم الشريف . انه كان يعزّ علينا أن تكون الآن باريس ملتقى وفود الشعوب والأمم وكل تلك الوفود تطلب لبلادهم الحرية من غير قيد وتنشد لأقوامها الاستقلال المطلق ولا يكون للبنان من يطلب له إلاّ الاستعباد والتجريد من شخصيته المستقلة . ولكن لا لن يدون التاريخ هذا العار على اللبنانيين في هذه السنة العظيمة في تاريخ الإنسانية ، فانه لم يحرم من أبنائه من يسمع صوته في نشيد الحرية العام ومن يضع حجرة في بناء الاستقلال الضخم .
أما نحن فحال وصول كتابكم إلينا نقلنا بشره الى سائر فروع الاتحاد اللبناني في القطر المصري وأرسلنا إليكم تلغرافاً هذا نصه :

«Comité Libanais, 13 rue Chabrol, Paris. D'accord sur programme. Donnons mandat agir notre nom. Cablâmes Société^{١٤٢} Amérique vous donner mandat. Lettre suit.»

وبالفعل أرسلنا في الوقت نفسه تلغرافات الى جمعياتنا في البرازيل والارجنتين وكندا التي كانت طلبت منا ان نمثلها فأخبرناها بتأليف جمعيتكم على قاعدة استقلال لبنان التام بمحدوده الطبيعية وطلبنا منها أن تنوبكم عنا تلغرافياً كما نوبناكم عنا وعسى أن تكونوا الآن قد استلتم الردود اللازمة لمباشرة العمل باسم اخوانكم ايضاً .

نحن قائمون بالمساعي اللازمة للسفر الى لبنان والحصول على تفويض من الشعب فاذا تيسّر لنا ذلك سنسرع الى إفادتكم كما انه اذا تيسّر لأحدنا السفر الى باريس فانه سينضم إليكم . هذا ورجاؤنا ان تواصلونا بأخباركم وتفضّلوا بقبول تحياتنا مشفوعة بالدعاء لكم بالنجاح التام .
السكرتير العام : انطوان الجميل
رئيس الاتحاد اللبناني : أوغست أديب^{١٤٣}

١٤٢ . ربما يقصد Cablogramme أي برقية .

١٤٣ . A.E., V. 9, p. 123-125

ج) تحرك الاتحاد باتجاه مؤتمر الصلح :

على أثر انتصار الحلفاء ، بادر حزب الاتحاد اللبناني بإرسال برقية التهنية الثاني نصها :
« الاتحاد اللبناني يحیی انتصار الحلفاء في سوريا ويؤكد الاستقلال التام للبنان بحدوده الطبيعية
بمحابة القوى الكبرى » .

أديب - رئيس الاتحاد^{١٤٤}
١٣ تشرين الأول ١٩١٨

وفي ٥ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل الاتحاد مذكرة^{١٤٥} مطولة الى كليمنصو رئيس مؤتمر الصلح .
ولأن هذه المذكرة تعكس موقفاً متشدداً في استقلاليته من جهة ، ولأن ثمة تعمد ، في مختلف
المراجع الدراسية لتاريخ لبنان في هذه الفترة بتجاهل هذا الموقف ، وجدنا من اللازم عرض كامل
هذه المذكرة^{١٤٦} .

رسالة موجّهة الى السيد ج . كليمنصو رئيس مجلس الوزراء - باريس
« سيدي الرئيس ،

بعد أن تحمّل لبنان ، طيلة أربع سنوات ، آلاماً يعجز القلم عن وصفها ، وفقد قرابة نصف
سكانه ، بفعل المجاعة التي نفّذت بتنظيم دقيق ، وتأثير الأوبئة ، تحرّر أخيراً من السيطرة
العثمانية ، على يد جيوش الحلفاء المظفّرة ، ثم أعيدت حكومته على ما كانت عليه قبل الحرب ،
وفق النظام الأساسي (١٨٦١ - ١٨٦٤) الذي وقّعت عليه الدول الكبرى . وبما لا شك فيه ، ان
هذا النظام ، الذي كان في الأساس مؤقتاً ، لأنه وليد التبعية التي ربطت لبنان بالامبراطورية
العثمانية ، سيعدّل عند إقرار الصلح . وتطبيقاً للمبدأ الذي أعلنه الحلفاء ، والذي يدعو الشعوب
التي تحرّرت من النير العثماني الى تقرير مصيرها على ضوءه ، يقول اللبنانيون كلمتهم بصدد شكل
الحكم الذي يتمنون إقامته في بلادهم .

و« الاتحاد اللبناني » الذي تأسّس عام ١٩٠٩ للدود عن مصالح لبنان ، والذي ينتسب إليه
الكثيرون في مصر وأميركا ولبنان ، قد رفع الى الدول الحليفة الكبرى ، خلال كانون الثاني
١٩١٨ ، مذكرة حول أمان اللبنانيين الذين يمثلهم ، ومن الثابت ان برنامج ، الذي توجّزه صيغة
« استقلال لبنان في حدوده الطبيعية بضمانة الدول الكبرى » ، لم يحظَ بعد بموافقة الشعب اللبناني ،
ومن الضروري تأمين شرطين لهذا الشعب ، ليستطيع قول كلمته في الموضوع ، أما الأول ، فهو أن
يتمكّن المغتربون اللبنانيون من الحصول على كل ما يسهّل لهم الاتصال ببلدهم ، والعودة إليه منذ

١٤٤ . A.E., V. 2, p. 267

١٤٥ . A.E., V. 7, p. 87-89

١٤٦ . استعنت بترجمة للدكتور جورج كرم ، نُشر في مجلة حوليات ، ١٩٨١ ، الجامعة اليسوعية ، ص
١٣١ - ١٣٢ .

الساعة ، وذلك ليحاوروا مواطنيهم ويرشدوهم بأرائهم وتجاربهم ، وليدلوا بأصواتهم في عملية الاقتراع الشعبي . ولا يكون كلامنا بلا طائل اذا ما ذكرنا هنا ان عدد المغتربين اللبنانيين يقدر بـ ٣,٠٠٠,٠٠٠ . فهم اذن أكثر عدداً من اللبنانيين المقيمين ، وان معظمهم في سن الشباب ، وان ما كانوا يرسلونه من دراهم ، كان يؤمن حاجات ذويهم . وأما الشرط الثاني فهو ان يتمكن الشعب اللبناني من الاقتراع بحرية بعيداً عن أي ضغط أو إكراه . وقد بلغنا ان أشخاصاً يقومون بدعاية سياسية ، قد أخذوا يستغلون فقر الشعب اللبناني وتضعضه النفسي ، الناجمين عن الحزن الرهيبة التي مرّ بها وذلك لانتزاع تواقيعه على المبادئ التي يروجون لها ، بعد تطويقه بمختلف الأساليب غير المشروعة ، بدافع من حاسهم غير المتحفّظ . اننا نحتج بأصوات مرتفعة على هذه الممارسات .

ومن جهة ثانية ، فقد وافق مجلس إدارة لبنان على قرار يتعلّق بمستقبل لبنان السياسي . ان النظام الأساسي (١٨٦١ - ١٨٦٤) الذي نصّ على إنشاء هذا المجلس ، قد حدّد مهمته في المادة الثانية كما يلي :

«توزيع التكاليف والتدقيق في واردات الجبل ومصارفاته ، وتبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف» . وعليه ، فهو لا يملك أيّة سلطة تخرج عن نطاق صلاحياته التي حدّدت بوضوح ، فضلاً عن ان الشعب اللبناني لم يعطه أي تفويض شرعي يخوله حق تقرير مصير لبنان . ولما كان من الواجب تجديد ولاية ثلث أعضاء المجلس كل سنتين ، وبما ان أعضاءه الحاليين قد انتخبوا قبل الحرب ، فان ولاية ثلثي أعضائه هي في حكم المنتهية ، ولا سيّما ان عملية الانتخاب اللازمة لبقائهم في مراكزهم لم تحصل .

اننا نطلب من حكومات الحلفاء التي نكنّ لها الاحترام ، ان تؤمّن للمغتربين اللبنانيين سبل الاتصال الحرّ بوطنهم ، ليعودوا إليه ساعة يشاؤون ، وان تعتبر القرار الذي أصدره مجلس الإدارة معبراً عن أمانى أعضائه الشخصية ، وبالتالي لا يقيد الشعب اللبناني بشيء ، وان تعتبر المواثيق التي حصلت في هذه الظروف باطلة وملغاة ، وغير معبرة عن إرادة اللبنانيين الحرّة ، وأن تؤمّن لاستفتاء الشعب اللبناني جميع الضمانات اللازمة لاستقلاليتّه ، فيحصل بإشراف مندوبين عن الدول العظمى ، ولا يستبعد أن تعترض سبيل القيام باستفتاء عام في البلاد صعوبات كبرى . ويمكننا التأكيد ان قيام جمعية تأسيسية يتراوح عدد أعضائها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ عضو ، وينتخبون بالاقتراع الصحيح والمراقب ، ثم دعوتها الى تقرير مصير لبنان ، هو وحده يؤدّي الى اتخاذ قرار عن إرادة الشعب .

تلك هي الأمانى التي أخذنا على عاتقنا رفعها بملء حرّيتنا الى الدول العظمى والحليفة . وأملنا وطيد بأنّها ستعير مستقبل هذا الشعب الصغير اهتمامها ، لما قاساه من آلام ، ولتعلّقه الثابت بالقضية الكبرى التي حملت الأمم الحليفة السلاح من أجلها ، ألا وهي قضية الحق والحضارة .

ولنا الشرف في أن نرفع إليكم ربطاً ترجمة لاحتجاجنا الذي وجهناه الى مجلس إدارة لبنان .
وتفضلوا ، سيدي الرئيس ، بتقبل أسمى عبارات تقديرنا .

رئيس الاتحاد اللبناني
سودا

وبمؤازرة هذه المذكرة أرفقت دراسة تفنّد المرتكزات التي شكّلت مضمون قرار مجلس الإدارة .

ففي الشكل ثمة طعن بقانونية تمثيل المجلس للشعب اللبناني على اعتبار ان مدته قد انتهت وكذلك عدم حريته في التصرف من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب وجود لبنانيين كثر في الخارج لم يتمثلوا بالوفد الذي أرسله المجلس الى مؤتمر الصلح .

وتذكّر الدراسة بديمقراطية الإمارة اللبنانية (كانتقال الإمارة من المعنيين الى الشهابيين وسقوط بشير الثاني ...) وتطالب بتمثل هذه الظاهرة من قبل مجلس الإدارة .

أما في الموضوع ، فتضيف الدراسة ، ان مجلس الإدارة اقتصر طلبه على الاستقلال الإداري دون الاستقلال التام ، الأمر الذي أدّى الى طلب السيادة الأجنبية بل الى ترك الباب مفتوحاً لإدخال لبنان في دائرة الاتحاد السوري وجعله ولاية سورية مهما اختلفت الأشكال .

وبعد الموافقة على الطلبين الأول والثالث ، من قرار مجلس الإدارة بلغت النظر الى ما في القرار من النقص والاهمال :

١ . طلبتم في البند الثاني من القرار الاستقلال الإداري ، بالشكل المعروف بحسب مبدأ «اللامركزية» فاقترعتم على قولكم «تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بواسطة رجال من أهله» وهو استقلال وظائف لا استقلال بلاد قد يكون حفظ لبنان منه حظ سائر الولايات السورية .

وطلبتم في البند الرابع معونة دولة أجنبية «للإدارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف وتقديم البلاد ورقيها وإزالة أسباب التفرق والخلاف وتطبيق الأعمال على محور العدالة والحرية والمساواة وضمان الدولة المشار إليها للاستقلال المذكور منعاً لكل مساس به» .

معنى ذلك ان الوظائف الإدارية والقضائية تُسند الى أهل لبنان . وكل ما سوى ذلك يكون للدولة المساعدة او الحامية : فلها نظارات المعارف والمالية والأشغال العمومية والأديان والعدلية والخارجية والعسكرية ، وكان الأليق بنا وبكم أن تذكّر هذه الأمور صريحاً لا أن يُشار إليها من طرف خفي قد يفوت فهمه الأكثرين .

٢ . أهمل أمر الحاكم ولم ترد الإشارة إليه بكلمة فلم نفهم ما هو رأيكم فيه : من يكون الحاكم في لبنان ؟

٣ . أغفلت أيضاً مسألة الحكومة أو الوزارة . وهي كما لا يُخفى أساس كل عمل في البلاد

المستقلة : هل يكون للبنان حكومة مؤلفة من وكلاء كما في البلدان المتمدّنة . فوكالة للداخلية مثلاً ووكالة للعدلية ووكالة للمالية الخ ، أم لا يكون ؟

٤. أيتدئ القضاء وينتهي في لبنان أم يكون له محكمة تميز خارجية عنه ميطرة عليه ؟ انكم في ما طلبتموه صريحاً في البندين الثاني والرابع وفي ما أهمل طلبه قد قطعتم أمل لبنان بالاستقلال الصحيح وجعلتموه بحيث يسهل إدغامه في سوريا فيكون ولاية من ولاياتها ... هذا ما رأينا لفت نظركم إليه من حيث شكل القرار وموضوعه خدمة للمصلحة العامة . ولما كان هذا القرار لم يتصل بنا إلا بعد ان وضعتموه موضع التنفيذ بايفاد وفد يعرض الطلبات التي تضمنها مؤتمر الصلح ، فلم يكن أمامنا في حين نبسط لكم ما تقدّم إلا أن نرفع في الوقت نفسه مذكرة الى رؤساء الحكومات المتحالفة نحتج فيها على طلب تضيق استقلالنا . ونبسط آماني الشعب اللبناني كاملة وهي «التمتع بالاستقلال التام في حدود البلاد الطبيعية بضمها الدول العظمى» .

هذا ونحن على يقين من أنكم تحلون هذه الملاحظات محلها قياماً بالواجب المفروض على كل لبناني صادق لبلاده المنكودة الحظ ولأبنائها المقيمين والمهاجرين أبناء اليوم وخصوصاً أبناء الغد^{١٤٧}...

بعد هذه المذكرة والدراسة المقدّمة الى أعضاء مؤتمر الصلح ، قدّم حزب الاتحاد اللبناني الى كليمنصو مذكرة أخرى تطالب بإنصاف اللبنانيين والتعويض عليهم من خسائر الحرب ، وتحمل الأتراك دفع التكاليف^{١٤٨}.

على مستوى آخر لم يقتصر تحرك الاتحاد اللبناني على المذكرات النظرية وإنما تعداه الى التحرك الشعبي في مختلف المناطق اللبنانية . وعندما جاءت لجنة كينغ - كراين لاستفتاء شعوب المنطقة بالنسبة الى مستقبلهم ، تمكن الاتحاد من تقديم ٣٦ عريضة تبنت برنامجه . وسوف يلعب زعماء الاتحاد الدور البارز في تطوّر السياسة اللبنانية أبان فترة الانتداب وفي فترة الاستقلال .

٢. جمعية النهضة اللبنانية ودورها في مؤتمر الصلح

كانت جمعية النهضة اللبنانية قد أنشئت عام ١٩١١ (أواخر شهر آب) على أثر حفلة تكريمية كبرى أقامها نعيم مكرزل^{١٤٩} في نيويورك وحضرها العديد من الوجهاء والأدباء والتجار اللبنانيين . ومن الأهداف التي حدّتها عند نشأتها :

١٤٧. هذه المذكرة - الدراسة موجودة في A.E., V. 7, p. 92-94 . وكذلك يراجع ، يوسف السودا ، استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية ، لا اسم للطبعة ، لا تاريخ ، ص ١٣١ - ١٣٥ .
١٤٨. A.E., V. 10, p. 36-38 (5 fév. 1919).
١٤٩. وُلد في ٢ آب سنة ١٨٦٤ بقرية الفريجه . تعلّم تحت السنديانة ومن ثم في مدرسة الحكمة . غادر الوطن

- المحافظة على امتيازات لبنان
- فتح مرفأ له.
- ترقية شؤون العمرانية.

وقد حاولت هذه الجمعية ان تتحرك بالتنسيق مع باقي الجمعيات اللبنانية طارحة القضية اللبنانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى. ما يهنا الآن تسليط بعض الأضواء على نشاط هذه الجمعية ورئيسها نعيم مكرزل في مؤتمر الصلح ١٩١٩ - ١٩٢٠.

أ) ظروف مجيء نعيم مكرزل الى باريس

كانت السياسة الفرنسية بالنسبة لمستقبل المنطقة (سوريا ولبنان وفلسطين) تفتقر للوضوح، كما يئنا. وكان هناك حاجة من قبل الفرنسيين لقوى إعلامية وسياسية ناشطة تساعد في صراعهم ضد المدّ الإنجليزي - الشرقي المناهض لهم على امتداد المنطقة.

من هنا فأننا نميل الى الترجيح بأن مجيء نعيم مكرزل الى باريس (١٩١٩)، يعود الى سببين:

- إرادته الصلبة بالدفاع عن استقلال لبنان وتوسيع حدوده في ظل الحماية الفرنسية.
- حاجة الفرنسيين الى شخصية إعلامية (صاحب أكبر جريدة مصرية) وسياسية (رئيس جمعية النهضة اللبنانية). هذه الشخصية لها تأثيرها ونفوذها في مختلف الأوساط السياسية والدينية والإعلامية في لبنان وفي بلاد الاغتراب.

ولقد كانت المشاورات مستمرة بين مكرزل والفرنسيين ابان الحرب، وكذلك ازدادت قبيل انتهائها. في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ يرسل القنصل الفرنسي في نيويورك (ليبرت) تقريراً^{١٥٠} الى وزارة الخارجية الفرنسية عن اجتماع هام عقده مع مغتربين لبنانيين وسوريين أبرزهم نعيم مكرزل مدير جريدة الهدى والدكتور ايوب ثابت وأمين الريحاني. وفي شباط يرسل ليبرت ٣ تقارير على التوالي، يذكر في الأولى^{١٥١} ان نعيم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية هو شخصية هامة ويجب رعايتها عند وصولها الى باريس، وفي التقرير الثاني يشدد القنصل الفرنسي على ان مكرزل صديق

الى مصر حيث مارس التعليم لدى الآباء اليسوعيين في القاهرة، ثم لم يلبث ان عاد الى لبنان، وبعد سنتين هاجر الى نيويورك مروراً بباريس. بعد أن مارس التجارة والتعليم انطلق في مهنة الصحافة فأنشأ صحيفة صغيرة دعاها «العصر» عام ١٨٩٤، ثم أنشأ جريدة «الهدى» عام ١٨٩٨، وقد أصبحت تصدر يومياً من عام ١٩٠٢، وكانت الرابط الهام بين الوطن والمهاجرين. اشترك مكرزل في المؤتمر العربي بباريس (١٩١٣) كما لعب دوراً هاماً خلال الحرب العالمية الأولى فساهم بإرسال التبرعات الى اللبنانيين، ودافع عن القضية اللبنانية بمواجهة الظلم العثماني. كان برنامج جمعياته يتصف بالطابع الليبرالي. (يمكن مراجعة هذا البرنامج في مجلة المنار، ج ٨، المجلد ١٧، ص ٦١٨ - ٦٢٣).

١٥٠. A.E., V. 3, p. 244-258.

١٥١. A.E., V. 9, p. 262.

حمم لفرنسا وانه آت الى باريس على ظهر الباخرة فرنسا^{١٥٢}. وفي الثالث يحاول التخفيف من مسألة الخلاف بين مكرزل وبين أيوب ثابت مشيراً الى ان الاثنين يؤيدان وضع سوريا تحت الوصاية الفرنسية^{١٥٣}.

ب) البرنامج المقدم من جمعية النهضة اللبنانية الى المؤتمر

على امتداد عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ قدم مكرزل الى مختلف الأوساط السياسية والدينية والاعلامية في باريس وفي عدة بلدان أوروبية برنامج جمعية النهضة اللبنانية بالنسبة لمستقبل لبنان، وحسبنا التوقف عند وثيقتين تتشابهان في خطوطها العريضة.

— الوثيقة الأولى مؤرخة في ١٠ اذار ١٩١٩^{١٥٤}.

«ان جمعية النهضة اللبنانية^{١٥٥} هي جمعية وطنية سياسية واصلاحية، هدفها الدفاع عن مصالح لبنان ونجاحه وإعادةه الى حدوده التاريخية والطبيعية، وتأمين حكومة دستورية مستقلة له تحت وصاية فرنسا وحدها، وكذلك تحقيق تنميته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وايضاً تأمين التضامن والوحدة الوطنية. وان جمعيتنا ترى ان من الواجب ايكال السلطة الى حاكم فرنسي يقيم في لبنان ويعاونه مستشارون وقائد للجيش كلهم فرنسيون، خدمتهم للبنان تستمر حتى يصبح بمسئطاع الشعب اللبناني ان يحكم نفسه بنفسه.

أما بالنسبة للمجلس الوطني الذي تناط به امور التشريع وادارة البلاد، فيجب ان يقتصر على اللبنانيين وحدهم، وتشكيله يتم بالانتخاب وليس بوسائل اخرى، بما فيه حكام المناطق وقضاة المحاكم.

العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للبلاد

الجيش اللبناني لا يقوم بالحرب إلا على التراب الوطني اللبناني. وذوي الأصل اللبناني هم وحدهم الذين يحق لهم الانخراط في السلك العسكري.

جميع الموظفين في الوظائف العامة يجب ان يكونوا من المواطنين اللبنانيين.

علم لبنان يجب ان يكون علم فرنسا مع وجود الارزة في الجزء الابيض منه.»

— أما الوثيقة الثانية فهي مؤرخة في ١٤ ايار ١٩١٩، وهي بعنوان «مطالب جمعية النهضة اللبنانية»^{١٥٦}.

١٥٢. A.E., V. 10, p. 55 (25 fév. 1919).

١٥٣. A.E., V. 10, p. 9 (27 fév. 1919).

١٥٤. A.E., V. 10, p. 208 (10 mars 1919).

١٥٥. التسمية الفرنسية للجمعية: «La Ligue Libanaise».

١٥٦. A.E., V. 12, p. 288-289; V. 14, p. 15-16 et V. 125, p. 45-46.

« انها جمعية تأسست في نيويورك عام ١٩١٩ ، ولها اليوم فروع في كل بلدان الاغتراب ، وهي تمثل غالبية المهاجرين اللبنانيين (وبعد ان تورد نصاً مشابهاً للمذكرة السابقة تضيف) ان تاريخ الشعب اللبناني يشهد ، حتى دون العودة الى الفترة الفينيقية ، بأنه خاض مجاهبات دامية ، متفاوتة في حدتها ، وذلك من اجل الحفاظ على استقلاله . وحدوده انكفأت او تمددت تبعاً للاحداث والظروف . وهذا الجبل الفخور بنفسه ، الذي شكّل على امتداد العصور ملجأ لكل الطوائف المضطهدة في الشرق ، حوله تحالف الاتراك والامان ، بعد الغاء استقلاله ، ارضاً خراباً يرفرف عليها الرعب ، فارضين عليه نظاماً من الارهاب والتنكيل يجمع الناس ويتركهم طعماً للأمراض والأوبئة بشكل منهجي ومنظم (...).

وتصل المذكرة الى القول :

ان جمعية النهضة اللبنانية مستندة على مبادئ الحق والعدالة والحرية التي رفعها الحلفاء ، تتقدّم بالمطالب التالية :

- تشكيل حكومة لبنانية تمثيلية ومستقلة بمساعدة فرنسا وحدها .
- إعادة لبنان الى حدوده الطبيعية والتاريخية حسب الخريطة الموضوعية من قيادة الحملة الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠ - ١٨٦١ .
- استحداث الأنظمة الوطنية التي تستجيب لحاجات البلاد .
- استحداث قانون لأوقاف الطوائف المختلفة الموجودة في لبنان والتي هي بيد رجال الدين بحيث تخضع هذه الأوقاف للضرائب وتبقى مُدارة من رجال الدين ، على ان تنفق فوائض مردودها على التعليم الرسمي وعلى أعمال الخير بما يتفق والهدف الأصلي من قبل الذين أوقفوها .

صاحب الهدى ورئيس جمعية النهضة اللبنانية
نعوم مكرزل

ج) التحركات التي قام بها مكرزل لإنجاح برنامجه

ان الأهداف التي وضعها مكرزل نصب عينيه لم تكن كلها سهلة المنال في إطار الصراعات التي كانت محتدمة على صعيد السياسة الفرنسية وعلى صعيد العلاقات مع الانكليز ومع فيصل ، وكذلك بالنسبة لتنوع التيارات ضمن الطوائف اللبنانية .

وبالرغم من اننا ، في منهجيتنا لتحليل أحداث التاريخ ، أميل الى ايلاء الأهمية لمجموع العوامل المعقدة والمتشعبة التي تكمن وراء حدث معين ، إلا أننا ، في ذات الآن ، لا ننقل من تأثير معين قد يلعبه بعض الأفراد . وانطلاقاً من ذلك نؤكد على أهمية الدور الذي لعبه مكرزل ، مع رجالات قلائل آخرين ، في طرح المسألة اللبنانية في مؤتمر الصلح .

١. اجتماعاته مع المسؤولين الفرنسيين:

استمر وجود مكرزل في باريس عدة أشهر قابل أثناءها أهم الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية ، وتداول معها جوانب المسألة اللبنانية .

ففي ٢٣ نيسان ١٩١٩ قابل المفوض السامي الفرنسي جورج بيكو ، وقد أكد المسيو بيكو له - حسب تقرير أرسله الى جريدة الهدى - « ان مبادئنا مطابقة لمبادئه تماماً وان هذه المبادئ التي تبشر بها النهضة اللبنانية أصدق وأصح المبادئ اللبنانية الوطنية . واثباتاً لحديثه معي أرسل في اليوم التالي صديقه الكاتب لويس ماسينيون لزيارتي في نزل الكونتيسة ليوكد لي بالنيابة عنه ارتياحه الى مبادئ النهضة اللبنانية . انا لست ذاهباً الى لبنان . ولن أعود الى الولايات المتحدة قبل ان يتم لنا النجاح أم الاخذال . لا تنسوا ان هنالك جمعيات وجرائد مشرقة بمال فيجب على اللبنانيين الأضلاء نبذها من بينهم . وهي التي يبيع أصحابها ضمائرهم وتجرّب بيع استقلال لبنان. » وفي تقرير آخر أرسله في ٢٢ ايار ١٩١٩ يقول : « دعيتي اليوم وزارة الخارجية الفرنسية وأخبرتني بأن بروغرام النهضة اللبنانية الذي كان في الوزارة منذ أسابيع قد قُبل بكل مواده (...) سيكون استقلالنا تاماً ولن يكون لنا سوى علائق اقتصادية فقط مع جاراتنا من الولايات السورية ... » .

وفي ٢٧ ايار ١٩١٩ قابل مكرزل الماريشال جوفر وتحدثا طويلاً وأبدى الماريشال اهتمامه بمسألة لبنان وسوريا ووافق على بروغرام النهضة كل الموافقة .

وتقرير أول حزيران من نفس السنة يشير الى تمكّن مكرزل من مقابلة الجنرال فوش في مكتبه الخاص وعطف هذا القائد العظيم على المسألة اللبنانية .

وفي ٢٢ حزيران ١٩١٩ قابل المسيو بوانكارة رئيس الجمهورية الفرنسية وقدم له الراية اللبنانية الحربية التي اقترحت شكلها النهضة اللبنانية . وقد طلب منه الرئيس الفرنسي ان يحمل اللبنانيين ما معناه : « قل لهم ان فرنسا لا يمكن ان تتخلّى عن مساعدة لبنان الذي تحبّه . وهي التي خلصته وسوف تحلّصه وتحرّره وتنبّله استقلاله وتساعدته عملاً برغائب ومطالب أبناء لبنان في بروغرام النهضة اللبنانية . »

وفي ٢٦ آب ، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً (عام ١٩١٩) يكون مكرزل في صحنه البطريرك الحويك اثناء اجتماعه مع المسيو بيشون وزير الخارجية^{١٥٧} .

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ يجتمع نعيم مع بيشون ويتداولان في ما وصلت إليه المسألة اللبنانية^{١٥٨} .

١٥٧ . تاريخ جريدة الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا ١٨٩٨ - ١٩٦٨ . لا اسم للمؤلف ، مطبعة الهدى ، ١٩٦٨ ، ص ٤١ - ٤٥ .

١٥٨ . A.E., V. 125, p. 43 (8 nov. 1919) .

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ عاد مكرزل الى نيويورك فاستقبل من قبل المهاجرين بحماس . وبعد وصوله تلقى البرقية التالية من وزير الخارجية الفرنسي ^{١٥٩} :

« المسيو نعوم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية .

سيدي الرئيس

لي الشرف أن أعلمك بوصول الأوراق والسجلات التي تكرّمت بإرسالها إلي في كتابك المؤرّخ في ٨ تشرين الثاني وقد اطّلت على مضمونها بأشدّ الاهتمام .

انك تعلم حق العلم شعور المحبة القوية التي تخالّج ضمير الأمة الافرنسية نحو مواطنيك الذين أبانوا لها في أثناء الحرب بالبراهين الكثيرة مبلغ تعلّقهم بها . فكن على يقين من أن أماني النهضة اللبنانية تمكّنت تمامًا من قلب فرنسا . وأرجو منك ان تكون لدى النهضة ترّجان امتنان فرنسا وتشكراتها وان تؤكّد لها ان حكومة الجمهورية تثابر دائمًا على الدفاع عن حقوق اللبنانيين ومطالبهم العادلة الحقّة . وانني يا سيدي الرئيس أحسب نفسي سعيدًا باغتنامي هذه الفرصة لأفصح لك تكرارًا عن عواطف امتنان امتي وحكومتي للحماية الشريفة التي ما فتئت تظهرها سواء في أميركا وفي فرنسا من أجل غايتكم وغايتنا وكنت أودّ لو قبلت منا البرهان الحسي على اعترافنا بجميلك ومع ذلك لا يسعني إلا الامتداح من العواطف التي أملت عليك ما قرّره بشأن الوسام الذي كانت حكومة الجمهورية تعد نفسها سعيدة بمنحك اياه . تكّرّم يا سيدي الرئيس بقبول اعتباري الفائق . (ستيفن بيشون)

٢. أساليب العمل التي اتبعها :

لقد استعمل مكرزل عدة أنواع من الأساليب للوصول الى ما كان يعتبره صالِحًا لخدمة المسألة اللبنانية .

— استعمل أسلوب الهدايا الشخصية : فعندما زار المارشال جوفر أميركا قبيل انتهاء الحرب ، ليشكر باسم فرنسا الشعب الأميركي على المساعدات المقدّمة منها لفرنسا ، وأثناء حفلة استقبال أقامها المارشال في مبنى المكتبة الوطنية ، في نيويورك ، لاستقبال وفود الجاليات الفرنسية وممثلي المنظمات السياسية والخيرية التي تربطها بفرنسا صلات الود والصدّاقة ، مثل النهضة اللبنانية نعوم مكرزل وقُدّم للمارشال صندوقًا من الفضة وفيه ألف دولار ذهبيًا . كما قدّمت له النهضة قلماً ذهبيًا مرصّعًا بالماس . وقد تقبّل المارشال الهدايا بامتنان وأكّد على عمق الصداقة مع الشعب اللبناني .

وعندما زار مكرزل ، في ٢٢ ايار ١٩١٩ ، المارشال جوفر ، قدّم له من جديد ، باسم النهضة ، كريباجًا من الفضة الخالصة مصنوعًا في لبنان مع مبلغ من المال لإعانة أيتام الفرنسيين

١٥٩ . تاريخ جريدة الهدى ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

الذين يهتم بمساعدتهم . وكذلك قدّمت الهدايا الى فوش . وإلى الكاردينال مرسيه البلجيكي (البطل الوطني) قدّم مركزل هدية مالية لتُصرف على أيتام البلجيك فكان لها وقعها الكبير في نفسه^{١٦٠} .

– واستعمل أسلوب التعبئة الدينية ، فلقد اتصل بمختلف رجالات الدين الفرنسيين وغير الفرنسيين وركّز على القصادة الرسولية في باريس ، وكان للكاردينال الفرنسي ديبوي الدور الكبير في دعم المسألة اللبنانية . أما عن نفوذه لدى الاكليروس اللبناني من مختلف الطوائف فتشهد عليه جملة وثائق في الخارجية الفرنسية ، أبرزها تلك التي تطلب فيها وزارة الخارجية الفرنسية منه التدخل لدى البطريرك الماروني علّه يضغط على شقيقه الموجود في باريس ، والذي كان من دعاة التيار الاستقلالي عن فرنسا ، بهدف التخفيف من تحركاته^{١٦١} .

– أما على الصعيد الإعلامي فقد برع مركزل وأجاد . فبموازرة حملاته الإعلامية المستمرة في جريدة الهدى اتّبع أسلوب البرقيات الكثيفة باتجاه المسؤولين الفرنسيين . فابان وجوده في باريس كان يضغط باستمرار على مؤيديه لإرسال البرقيات ، والعرائض . ففي ١٧ نيسان كتب الى الهدى يقول : « أبرقوا الى اللبنانيين في كل مدينة واجمعوا أصواتهم وأرسلوها إلي » . وقد لبّت النهضة اللبنانية الطلب وأرسلت لصاحب الهدى عرائض المهاجرين قدّمها الى المراجع الرسمية . فهذه برقية من مكسيكو تؤكد على مطالبة آلاف اللبنانيين بالاستقلال الذاتي والحدود الطبيعية والحماية الفرنسية وتأييد نعيم مركزل في مؤتمر الصلح^{١٦٢} .

وهذه رسالة أخرى من فتزويلا تطلب ببرنامج النهضة اللبنانية^{١٦٣} .

وقد كان من شأن التحرك الواسع لمؤيدي جمعية النهضة اللبنانية ان أرسل القنصل الفرنسي في واشنطن جيسراند (Jusserand) رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٢٠ يبرز فيها قوة التيار الداعي للبنان الكبير والحماية الفرنسية في أوساط الجاليات اللبنانية في أميركا . ويقدر هذا التقرير مؤيدي مركزل بنصف مليون انسان^{١٦٤} .

لقد كان نعيم مركزل شخصية تتمتع بميزات عديدة أهّلته أن يلعب دورًا بارزًا في مرحلة هامة من تاريخ لبنان المعاصر . ولئن كانت شخصيات كيوسف السودا ونحير الله وخير الله وانطون الجميل وعباس المصري وغيرهم تبدو لنا أكثر نضاعة وأعمق استقلالاً وأشدّ صلابة في وجه الأجنبي ، أيّا كان هذا الأجنبي ، إلا ان الحس العملي في المجال السياسي والتحريك الدؤوب ، عند ابن الفريكة ، يبقى مجال تأمل وتحليل .

١٦٠ . المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٤٢ .

١٦١ . A.E., V. 13, p. 112 .

١٦٢ . A.E., V. 11, p. 185 (2 avril 1919) .

١٦٣ . A.E., V. 125, p. 11 .

١٦٤ . A.E., V. 125, p. 163 (10 avril 1920) .

٣. الرابطة اللبنانية في باريس Le Comité Libanais de Paris

بينما كان حزب الاتحاد اللبناني في مصر وفي بلدان الاغتراب يتحرّك بفعالية ، منذ ١٩٠٩ ، طارحاً المسألة اللبنانية ومطالباً بجملة إصلاحات يرى ضرورة إدخالها على نظام المتصرفية ، وعلى اثر انطلاق جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك عام ١٩١١ ، لبى بعض المقيمين في باريس من اللبنانيين دعوة موجهة إليهم من خير الله خير الله^{١٦٥} وذلك في أول حزيران ١٩١٢ .

في هذا الاجتماع انتخب المجتمعون شكري غانم كرئيس وخير الله خير الله ككاتب. أسرار لجمعية جديدة تمّ إنشاؤها وتحمل اسم «اللجنة اللبنانية في باريس» «Le Comité Libanais de Paris» وقد قدّم خير الله خير الله ، في هذا الاجتماع مذكرة عن الوضع في لبنان واستخلص بعض النتائج . ويبدو ان قيادة «اللجنة» انطلقت من «المذكرة» التي تمّت مناقشتها في الاجتماع ، الى وضع مذكرة شاملة حول المسألة اللبنانية ، قدمتها الى ممثلي مختلف الدول الأوروبية^{١٦٦}. ويستنتج من مضمون المذكرة :

- ان خير الله مطلع بعمق على جزئيات الأوضاع في المتصرفية .
- انه يسعى لتوسيع حدود لبنان .
- انه يحاول تحقيق برنامج فيه الكثير من الملامح الليبرالية .

في عام ١٩١٣ جاء خير الله الى لبنان ، بعد ان عرّج على مصر واتصل بالقيادات اللبنانية هناك . وبادر بانشاء عدة فروع للجنة اللبنانية في بعض المناطق اللبنانية وفتح حواراً عميقاً مع القيادات الإسلامية في بيروت . كما عاد بعرائض شعبية^{١٦٧} طالبت بتوسيع لبنان الى حدوده

١٦٥ . من مواليد قرية جران ، بمنطقة البترون (٢٧ كانون الثاني ١٨٨٢) . تلقى دروسه الأولى في مدرسة القرية وبعدها انتقل الى مدرسة النصر في كفيفان ، لمدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي . ومن ثم التحق بمدرسة الآباء اللعازاريين في عيتلورا عام ١٨٩٥ ، واختير ليُعدّ كاهناً . في عام ١٩٠١ أرسله البطريرك الحويك الى بلجيكا لمتابعة دروسه الفلسفية واللاهوتية ، ولكنه . بعد سنوات ثلاث ، ترك بلجيكا وعاد الى لبنان ورفضاً الانضواء في سلك الكهنوت . في لبنان مارس التعليم في عدة مدارس ، وقام بترجمة بعض الكتب من العربية والفرنسية ، وعمل كترجمان لدى المتصرف مظفر باشا . ولكنه ما لبث ان استقال وانصرف للكتابة في الصحف والمجلات . عام ١٩١١ سافر الى باريس ، ومارس الكتابة في عدة مجلات وصحف كانت تهتم بالعالم الإسلامي وخاصة جريدة (Le Temps) . كما قبل كعضو في الجمعية الآسيوية . يُعتبر خير الله ، دون مبالغة ، أبرز الوجوه الفكرية التي طرحت القضية اللبنانية باستقلالية وعمق ، وهو يُعتبر مهندس فكرة التعايش بين «المسألة اللبنانية» في بعدها الاستقلالي والديمقراطي ، و«القضية العربية» بما هي قضية تحرّر من الهيمنة الخارجية والتخلّف الداخلي .

١٦٦ . K. T. KHAIRALLAH, *Les régions arabes libérées*, Éd. Ernest Leroux, 1919, p. 65 .

ونصّ هذه المذكرة نُشر بالعربية في جريدة البرق ، السنة الرابعة ، العددين ١٨٩ و ١٩٠ (١٩١٢) ص

٣٠٣ - ٣١٣ .

١٦٧ . قيل ان هذه العرائض قدّمت باسم ٣٠٠ ألف لبناني ووقّع عليها مئة وثلاثة عشر شيخ صلح و١٧

مديرية - K. T. KHAIRALLAH, *op. cit.*, p. 66-67 .

الطبيعية والتاريخية وقدمها الى وزارة الخارجية الفرنسية. وباستثناء بعض المحاضرات^{١٦٨} والمقالات، لم تقم اللجنة اللبنانية، وزعيمها خير الله، بالكثير من النشاطات. ولكن منذ مطلع عام ١٩١٩ جذدت اللجنة اللبنانية نشاطها وبدأت تحركها.

(أ) أبرز أعضائها:

يورد تقرير^{١٦٩} مؤرخ في ٦ شباط ١٩١٩ لائحة بأعضاء اللجنة اللبنانية في باريس مع عناوينهم واصفاً اياهم بأنهم «معارضون للتحرك الفرنسي في سوريا»: عباس بجاني، سيزار باسيم، حبيب زغبى، هـ. هيكل، الياس منسى، انطوان زوين، فارس حنا، الياس عاد، سعد نجيم، خير الله خير الله، جوزف حويك^{١٧٠} قزي، ميكال ابو حمد، فرح فرح، هيكل، المونسنيور فارس، نسيب نجيم، جوزف فرح. ويبدو ان رئيس اللجنة هو عباس بجاني وسكرتيرها العام هـ. هيكل. أما خير الله خير الله فهو الموجّه الفكري للجنة.

(ب) برنامج اللجنة وتحركاتها:

على أثر اجتماعها في ٥ شباط ١٩١٩ قدّمت اللجنة الى وزارة الخارجية الفرنسية المذكورة التالية^{١٧١}:

«باريس ٨ شباط ١٩١٩

السيد وزير الخارجية ستيفان بيشون - الكي دورسه

ان اللبنانيين الموجودين في باريس، والجمعين في جمعية عامة بتاريخ ٥ شباط ١٩١٩، قد كوّنوا لجنة هدفها تحقيق استقلال لبنان في حدوده الطبيعية والتاريخية وهذه اللجنة تتمتع وحدها بصفة التمثيل اللبنانيين الموجودين في باريس امام المراجع المختصة.

آملين أن تأخذوا بعين الاعتبار تصريحنا، نرجو منكم، يا سعادة الوزير، ان تتقبلوا أسمى عواطفنا الممتازة.

الرئيس: عباس بجاني.

السكرتير: هـ. هيكل

١٦٨. أبرزها تلك المحاضرة التي ألقاها في الندوة العلمية بباريس حول «المسألة اللبنانية» وقد طُبعت في كتاب مستقل.

١٦٩. A.E., V. 9, p. 128.

١٧٠. ربما يكون هو نفسه النحات يوسف الحويك.

١٧١. A.E., V. 9, p. 148.

وفي ٩ شباط ١٩١٩ اجتمعت اللجنة وقرّرت ما يلي :

١. ايصال برنامجها الى القوى الكبرى ، تبعاً لقرارها المتخذ في ٥ كانون الثاني .
٢. الوقوف ضد وفد داود عمون .
٣. الطلب من المؤتمر الاستماع الى اللجنة .
٤. تكليف خيرالله بطرح وجهة نظر اللجنة امام مؤتمر الصلح^{١٧٢} .

وانطلاقاً من ذلك وجّهت اللجنة الى مؤتمر الصلح المذكورة التالي نصّها^{١٧٣} :

«باريس ١٤ شباط ١٩١٩ ،

حاضرة السكرتير العام

ان اللجنة اللبنانية تتوجّه الى عدالة وتجرد مؤتمر الصلح ليكون لها حق تقديم وجهة نظرها المطالبة بالاستقلال بالنسبة للمسألة اللبنانية .

فلقد استمع المؤتمر الى الأمير فيصل مندوب الحجاز الذي استدرج الكلام عن لبنان في سياق عرضه للقضية العربية وبنوع خاص للقضية السورية .

كما استمع المؤتمر لشكري غانم . رئيس اللجنة المركزية السورية ، والذي يحمل الجنسية الفرنسية ويمثل وجهة النظر الفرنسية .

وسمع المؤتمر ايضاً للسيد بلس مدير الجامعة الأميركية في بيروت ، وهو شاهد حيادي نقدت قيمته الأخلاقية العالية .

وسيزعم المؤتمر ان يستمع للوفد المرسل من قبل مجلس الإدارة اللبناني ، وهو الذي يمثل ايضاً وجهة النظر الفرنسية .

أليس من الإنصاف ان يفسح المجال اللبناني ، أمام المؤتمر لعرض وجهة النظر الوطنية في المسألة اللبنانية؟^{١٧٤} . وتقبّلوا يا حضرة السكرتير العام أسامي معاني التعبير عن عواطفنا الممتازة .

الرئيس : عباس بجاني

السكرتير : هـ . هيكل

هذا التحرك المطالب بالاستقلال للبنان ، والرافض للوفود المؤيدة للهيمنة الفرنسية أزعج الدوائر الفرنسية المعنية بوضع المنطقة .

ففي ٤ شباط ١٩١٩ قدّمت ملاحظات للسيد (غوت) جاء فيها^{١٧٥} :

«لقد طلبت مني - بإحالتك إلي رسالة شكري غانم - أن أكتب للأمن العام وإلى دائرة

١٧٢ . K. KHAIRALLAH, *op. cit.*, p. 72 .

١٧٣ . A.E., V. 9, p. 229 .

١٧٤ . A.E., V. 9, p. 187 .

البوليس لفرض مراقبة علانية على هؤلاء السوريين المنشقين. وأجد من واجبي لفت انتباهكم الى أن الفرصة أصبحت مناسبة لتزويد الإدارة بالأسماء والعناوين. ويمكننا كذلك أن نطلب بسرعة ايصال كل الرسائل المرسلة الى هؤلاء السوريين لفحصها لديكم. هذه قضية تُعتبر مستجابة. يبقى ايضاً أن نترقب للمستقبل منذ الآن، ما ماهية الإجراءات التي يجب علينا اتخاذها ضد هؤلاء الأشخاص الذين، برأيي، قد أسرفوا في استغلال كرم ضيافتنا.

قال لي الدكتور سمنه، منذ قليل، ان خير سبيل للقضاء على تحركهم، يكون بإرسالهم الى سوريا، حيث يلاقون، كما يقول سكرتير اللجنة المركزية السورية، رفضاً معنوياً من قبل مواطنيهم. ولا أخال ان السيد بيكو يمكن أن يهنأ على هذه الهدية التي نرسلها إليه.

من جهة أخرى أجدني بحاجة لتذكيركم انه ستصل إلينا قريباً، الرسالة التقليدية من إدارة البوليس بموضوع خير الله حيث ان بطاقة إقامته قد رُفضت. هل يجب أن نؤكد على القضاء على جثومة الفساد هذه. القضية تبدو لي انه من الواجب، منذ الآن، أخذ الحيلة لأنه من الجوهري تحديد المدى الذي يمكن أن نصل إليه لفهم هذا السوري، ان صبرنا له حدود. ومن البديهي أن يعلم انه اذا كان في بريطانيا واتخذ موقفاً سياسياً معارضاً لمصالحها ولقضيئيتها في الخارج، فانه يطرد خارجاً دون تردد، ولكننا لسنا هنا في إنجلترا».

باريس في ٤ شباط ١٩١٩ السيد ويت^{١٧٥} (Wiet)

وفي سياق حملة المضايقة لقادة الحركة الاستقلالية اللبنانية أرسل وزير الخارجية الى وزير الداخلية (إدارة الأمن العام) الرسالة التالية :

» ٧ شباط ١٩١٩^{١٧٦}.

« لقد نمي الى أجهزتنا انه قامت حديثاً في باريس لجنة من قبل بعض السوريين واللبنانيين. وانجاءات هذه اللجنة مدانة من جانب أكتيرة مواطنيهم، وأعضاؤها يسعون للدعاء بحق التدخل الرسمي في تسوية المسائل المتعلقة بلبنان، علماً أن لبنان أرسل وفدًا خاصاً اعتمد، لهذا الهدف، من قبل الحكومة الفرنسية.

هذه اللجنة التي يرأسها خير الله خير الله^{١٧٧}، والتي كانت موضوع اتصالات سابقة من قبل وزارتنا، تقوم حالياً بجملة معادية ليس فقط لمصالح بلادنا العامة في سوريا، ولكن أيضاً معادية لمصالح السكان اللبنانيين والسوريين. ولقد ثبتت هذه اللجنة مقرها عند عباس بجاني، ١٣ شارع شابرول، واتخذت عنواناً تلغرافياً مناسباً، وهو العنوان « اللبناني ».

ان أجهزتنا لها مصلحة أن تكون مطلعة على كافة الاتصالات التي يقوم بها أعضاء هذه

١٧٥. الاسم غير واضح تماماً.

١٧٦. A.E., V. 9, p. 132.

١٧٧. ربما يقصد الرئاسة الفكرية والمعنوية.

اللجنة ، وذلك للاستخبار على دسائسها الحالية . ويبدو اننا مجبرون على الطلب منكم إطلاعنا بسرعة على المعلومات اللازمة بما يتعلق بالاتصالات الموجهة الى أحد أعضاء اللجنة اما من فرنسا أو من الخارج .
يجب إطلاعنا على كل ذلك في أقرب فرصة لتحليلها من قبل الجهات المختصة (...) ويتم ذكر أسماء اللجنة الواجب مراقبتهم .

٤. حركة ربيع ١٩١٩ :

كان التيار المسيحي المتشدد في دعوته لاستقلال لبنان عن كل وحدة مع الداخل السوري يزداد تحوّفه من تصاعد نفوذ القوى الداعية للوحدة السورية في دوائر السياسة الفرنسية ، كما كان يتخوّف هذا التيار من إمكانية الاتفاق بين فيصل والفرنسيين على حساب برنامجهم . خاصة وان فيصل عاد من مؤتمر الصلح ، في أواخر نيسان ١٩١٩ ، الى دمشق وألقى فور عودته خطاباً^{١٧٨} أعلن فيه إذعان الحلفاء لمطالبه باستقلال سوريا الطبيعية ووحدةها .
انطلاقاً من ذلك قامت حركة شعبية في مختلف المناطق المسيحية ، تجسّدت في مجموعة من العرائض والمظاهرات والبرقيات ، وكلها تؤكد على استقلال لبنان ، وتوسيع حدوده وبعضها يطالب بالوصاية الفرنسية .
« في ٢٣/٣/١٩١٩ حاكم لبنان ، أفاد مدير جليل ان أهالي المديرية اجتمعوا وطلبوا استقلال لبنان التام مع إعادة السلوخ من أراضيهم وعدم اندماجه بسواه ويلتمسوا رفع نداهم للمراجع العالية .

قامقام كسروان ، عزيز^{١٧٩}

وفي نفس التاريخ هناك برقية من بلدية جبيل بنفس المعنى^{١٨٠}
« ٢٥ اذار ١٩١٩ ، حاكم لبنان ، الساعة صفر عندي أعيان ووجهاء القضاء وجمهور الأهالي وطلبوا إلي بكل إلحاح وحماس أن أرفع لناديكم طلبهم استقلال لبنان التام واعطائه حدوده الطبيعية القديمة ويلتمسون شمول طلبهم هذا بالتفاتكم ورفعته الى المرجع الأعلى رجاء إجابته طلبهم .

قامقام قضاء جزين ، ميشال^{١٨١}

١٧٨ . الخطاب أُلقي في ٥ ايار ١٩١٩ .

١٧٩ . A.E., V. 13, p. 149

١٨٠ . A.E., V. 13, p. 147

١٨١ . A.E., V. 13, p. 151

« ٢٥ مارس ١٩١٩ ، حاكم لبنان

جمهورية غفيرة أوفر عددًا من الذين تجمعوا أول أمس أقام مظاهرات عظيمة طالبًا استقلال لبنان الكبير غير مندمج بسواه .

عن قائمقام البترون ، ابراهيم ابو سمرا غانم^{١٨٢}

الساعة الحادية عشر من هذا الصباح احتشد جمهور غفير من أكثر أنحاء القضاء امام مركز الحكومة ومعهم قطعة قماش مصوّر عليها رسم الأرزة وأخذوا ينادون بطلب استقلال لبنان رافضين اندماجه بسواه وإعادة الأراضي المسلوخة عنها ولم ينفكوا عن الضجيج من أمام المركز إلا بعد أن وعدتهم برفع مطالبهم لمعاليتهم .

قائمقام البترون كسروان^{١٨٣}

« ١٩١٩/٣/٣١ ، حاكم لبنان ،

ترد إلينا الإفادات المتواصلة من المدراء ان الأهالي تجمعوا بمراكز النواحي ونادوا بطلب استقلال لبنان التام وإعادة أراضيهم المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويؤيدون قرار مجلس الإدارة الكبير الصادر مؤخرًا بهذا الشأن وطلبوا بإلحاح رفع نداءهم لمعاليتهم .

قائمقام البترون كسروان^{١٨٤}

« ٢٥ مارس ١٩١٩

قوميسيرية فرنسا العليا ،

جمهورية الشمال يكرّر طلبه تأييد استقلال لبنان التام وإعادة حدوده المصنوية وانفراذه عن سواه بمساعدته دولتكم الفخيمة لا تنفك عن هذا الطلب مها كلّفنا .

قوميسيون بلدية اهدن

أصالة ونيابة رئيس ، رشيد معوض^{١٨٥}

« ٢٩ اذار ١٩١٩ بعدا حاكم لبنان .

اليوم اجتمع جماهير الأهالي من عموم القرى ونادوا باستقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية التاريخية والجغرافية استقلالاً تاماً ديمقراطياً جمهورياً ولا يقبلون بحدوده الموضوعه سنة الستين .

١٨٢ . A.E., V. 13, p. 143-144

١٨٣ . A.E., V. 13, p. 143-144

١٨٤ . A.E., V. 13, p. 156

١٨٥ . A.E., V. 13, p. 146

وألّفوا لجنة نابت عنهم لمراجعة دول الحلفاء لتأييد استقلالهم المذكور ولم ينصرفوا حتى استوثقوا بتقديمنا هذه العريضة لسعادتكم.

عن وكيل قائمقام الكورة ، يوسف زخريا^{١٨٦}

«سعادة المعتمد الفرنسي المسيو بيكو.

تأبى الأمة الافرنسية النبيلة التي تمثلونها والعدالة ضحية منة شعب هرقت لأجلها دماء أجداده واستشهدت مائتي ألف نفس لتسكها بها وهي استقلال جبلنا بامتيازاته وبحدوده الطبيعية المشهورة تحت رعاية الدولة الافرنسية منفصلاً عن سوريا. لا ننفك عن المطالبة بحقوقنا الساطعة وإذا تعمّدت السياسة ضررنا وتضحيتنا أعدّوا لنا طرق المهاجرة.

أهالي قرية سرعل - أهالي قرية كفرصناب - أهالي قرية عين طورين - أهالي قرية طورزا - عربة قزحيا - قرية بان - قرية أيطو - علوان خليل حصر - اسطفان روكز - يوحنا الخوري - داود الياس - طنوس روحانا - وكيل شيخ قرية سرعل الخوري جبرائيل ملكوتي^{١٨٧}»

«١٩١٩/٥/١٧ بعدا حاكم لبنان.

نثبت عرايضا السابقة بإعادة نطاق لبنان لحدوده القديمة على استقلاله الإداري والسياسي والاقتصادي تحت ضمان دولة فرنسا الفعّيمة.

عن عموم أهالي دير القمر - مجلس بلديتها^{١٨٨}»

«١٩١٩/٥/٢٠»

رفع لنا عريضة من أهالي القضاء على اختلاف المذاهب والطوائف يطلبون فيها ان نبليغكم تمنياتهم بشأن مصير بلادهم وهي تنحصر في طلب استقلال لبنان الكبير استقلالاً تاماً وإعادته الى حدوده الأصلية الطبيعية المنصوصة.

قائمقام زحلة ميخائيل^{١٨٩}»

«عريضة من سكان بعدا الى مجلس إدارة جبل لبنان الموقّر ٢٠ ايار ١٩١٩ تطالب باستقلال

١٨٦ . A.E., V. 13, p. 138

١٨٧ . A.E., V. 13, p. 145

١٨٨ . A.E., V. 13, p. 135

١٨٩ . A.E., V. 13, p. 133

لبنان استقلالاً تاماً بمساعدة الدولة الافرنسية الفخيمة وان تُعاد إليه الأجزاء التي فُصلت عنه وان لا يكون له علاقة سياسية وإدارية بسواه .

الامضاءات^{١٩١}

١٩١٩/٥/٢١»

بعيدا - لجانِب حاكمية لبنان .

نسترحم طلب تأييد استقلال لبنان التام بمحدوده المصنوبة منه وانفراده عن سواه بمساعدة دولة فرنسا الفخيمة ونرجو رفع طلبنا هذا لجانِب المؤتمر العالمي في باريس .
بلدية جبيل - أصالة ونيابة^{١٩١}

٢١ ايار ١٩١٩

بعيدا رئاسة مجلس إدارة لبنان

نطلب باستقلال لبنان الكبير بحكومة ديمقراطية على الوجه الذي قرره المجلس استقلالاً تاماً عن الحكومات المجاورة ، شكّلنا لجنة مؤقتة ، الشعب المتني باشر انتخاب وكلائه بالجمعية الوطنية لتحقيق هذه الأمنية ، خابر بقية الأقضية بذلك .

سلم ابي ياغي - حنا راشد - ملحم حنا - مخايل بشير يوسف - الياس مشرق - فؤاد عقل - أسعد طويبا - طنوس فريحة - منصور ناكوزي - سعيد بلبل - عبدالله بلبل - ابراهيم خليل الرياشي - أسعد زحلان باخوس - توفيق فرسان - يوسف ابي حمد - طانيوس عقل - خليل رستم بدور - حنا نوهر - حبيب زغزغي - انطوان عبدالله - رشيد الحاج - منصور غانم - قيصر باخوس - بولس بو جوده - نعم هارون - رشيد أسعد صعب - فؤاد ابي ناصر^{١٩٢} .

٢ حزيران ١٩١٩ حكومة لبنان

أفاد مديرو غوسطا وجرّد جبيل والمنيطرة وجبيل العليا والسفلى وجرّد كسروان ان الأهالي تألّفوا جمهرة غفيرة يطلبون استقلال لبنان مع إعادة أراضيهم المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويرجون رفع ندادهم للمراجع الايجابية . عن قائمقام كسروان بطرس^{١٩٣} .

١٩٠ . A.E., V. 13, p. 160

١٩١ . A.E., V. 13, p. 130

١٩٢ . A.E., V. 13, p. 161

١٩٣ . A.E., V. 13, p. 157

بالإضافة الى هذه العرائض والتقارير هناك العديد من البرقيات : منها واحدة من بشري^{١٩٤} ،
وأخرى من برمانا^{١٩٥} ، وثالثة من عمشيت^{١٩٦} ، ورابعة من البترو^{١٩٧} ، وخامسة من بيت
الدين^{١٩٨} ، وسادسة من طرابلس^{١٩٩} ، وسابعة من الدوق (البترون)^{٢٠٠} .

-
- A.E., V. 13, p. 136 ١٩٤
 - A.E., V. 13, p. 131 ١٩٥
 - A.E., V. 13, p. 132 ١٩٦
 - A.E., V. 13, p. 159 ١٩٧
 - A.E., V. 13, p. 134 ١٩٨
 - A.E., V. 13, p. 153 ١٩٩
 - A.E., V. 13, p. 155 ٢٠٠

مواقف بعض النُّخب الإسلامية
١٩١٨ — ١٩٤٣
من رفض الدّولة اللبنانية الى التعايش الميثاقى* :

* صدر في مجلة الواقع ، العدد ٥ — ٦ ، ت ١٩٨٣ .

هذا البحث هو جزء من بحث مطول يتناول مواقف مختلف النخب الطائفية اللبنانية من مسألة الدولة اللبنانية في مرحلة ما بعد ١٩١٨.

وهذا الباحث هو الإنطلاق من استجلاء المواقف التاريخية لمجمل الكتل الاجتماعية المشكلة للمجتمع اللبناني ، بروح علمية وموضوعية ، والخروج من تحليل هذه المواقف بقوانين تاريخية — إذا أمكن — تسمح بالانتقال — تالياً — إلى طرح تصوّر مستقبلي لما يمكن أن يشكل نظاماً سياسياً لبنانياً ينسجم مع حركة التقدم ، ويرسي القضية اللبنانية على أسس السلام والحرية والديمقراطية الحقيقية.

• • •

كانت أغلبية النخب الإسلامية بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ تقف إلى جانب الحكومة الفيصلية في الشام. فرياض الصلح كان من بين الذين بايعوا فيصل ملكاً على سوريا. ومختار يهم وعلي سلام وعمر الداعوق كانوا من مؤيدي الدعوة الشريفة^(١). وفي رسالة^(٢) أرسلها Picot بتاريخ ١٥ ت ١٩١٨ إشارة إلى مظاهرات تحمل علم فيصل قامت في بيروت واجتماع عام عقد عند أحد زعماء المسلمين. وفي تقرير إلى وزارة البحرية مرسل بتاريخ ٢٦ ت^٢ حول الوضع في طرابلس إشارة إلى أن قسماً كبيراً من المدينة يؤيد الانضمام إلى فيصل^(٣). وفي ٢٩ / ١٢ / ١٩١٨ يذكر جهاز الاستخبارات البحرية أن «مسلمي بيروت هم على أهبة الثورة ويطالبون بسيطرة السلطة الشريفة^(٤)» ، وكذلك تظاهر مسلمو طرابلس وصيدا مطالبين العرب بالقبضة وبالنهوض للاستقلال^(٥). ومن ناحية أخرى وقع وجهاء بيروت السنة ومتاوله من الجنوب عرائض تطالب بتنظيم سوريا على أساس الكانتونات ذات الشكل الديمقراطي في إطار سوريا الفدرالية^(٦).

-
١. وثائق وزارة الخارجية الفرنسية : Levant - E. Syrie - Liban, V9, p. 1 (ونشير إلى هذه الوثائق من الآن فصاعداً بالمصطلح A.E.)
 ٢. المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ١٢٦ .
 ٣. المرجع نفسه ، ج ٥ ، ص ٤١ .
 ٤. المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٧٣ .
 ٥. المرجع نفسه ، ج ٦ ، ص ١٨٣ .
 ٦. المرجع نفسه ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠ ج ١٢ ، ص ٢٨٠ ج ٩ ، ص ١٦٦ .

وقد جاء في جريدة الحقيقة التي كانت تعكس وجهة النظر الإسلامية « نريد الإستقلال ووحدة سوريا . لبنان كان عثمانياً وحرره فيصل كما حرر سوريا كلها فلا مناص من بقائه ضمن سوريا »^(٧) . ويعتبر راشد طيارة ، في نفس الجريدة ، أن المسألة اللبنانية داؤنا الحاضر والمسألة الصهيونية داؤنا المقبل ، معتبراً أن الوحدة السورية هي الحل^(٨) .

وذكرت جريدة لسان الحال أن من بين الوفود التي بايعت فيصل عبد الحسين الصادق عن جبل عامل ، إبراهيم أفندي الخطيب عن جنوب لبنان ، الشيخ عبد القادر المغربي عن طرابلس ، رضا بك الصلح عن بيروت ، رياض بك الصلح عن صيدا ، الأمير أسعد الأيوبي عن مسلي لبنان^(٩) .

ويؤكد بيكو ليشون ، في ١٩ أيار ١٩١٩ ، أن المسلمين ينقسمون إلى فريقين : من جهة ، الأكثرية العظمى تؤمن بضرورة إبقاء سوريا موحدة ومستقلة تحت رعاية فيصل . ومن جهة أخرى ، ثمة فريق آخر يؤمن بوحدة سوريا الكبرى على أساس الكاثنونات المرتبطة اقتصادياً وسياسياً بالوصاية الفرنسية^(١٠) .

أما الشيعة فلم يعلنوا بعد موقفاً ، إنما كامل بيك الأسعد رئيس حزب الأكثرية الشيعية يميل للحكم الفيصلي^(١١) . ويورد تقرير إنكليزي^(١٢) أن ثمة مظاهر تمرد شيعية ضد فرنسا ، ففي حزيران ١٩٢٠ قام ٥٠٠ متوالي تقريباً ، يقودهم عبد اللطيف بيك ، بهجوم على الفرنسيين وقرى دير مباس والقلعة والخربة ، وقتل في الهجوم ٦٦ مسيحياً .

وفي الشوف ، رغم الضغط الممارس من قبل الأمير أمين إرسلان ومن مصطفى بيك حادة على الدروز ، فإن هؤلاء يقفون موقفاً حليماً باستثناء بعض قرى الباروك (شارون وبتاتر...) حيث يظهر بعض السكان ميولاً شريفية^(١٣) .

ولا نرى من الضروري التوقف طويلاً عند المؤتمر السوري وما قام به من نشاط في دمشق بين عامي ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، وحسبنا عرض أسماء اللبنانيين الذين شاركوا في أعماله ، ومنهم : رشيد رضا (الذي ترأس المؤتمر) ، عثمان سلطان وسعيد طليع (عن طرابلس) ، عبد الله مالك (عن راشيا) ، يوسف نمور (عن البقاع) ، توفيق مفرج (عن الكورة) ، جورج حروفش والأمير أمين إرسلان ورشيد نفاع وإبراهيم الخطيب وعلي تلحوق (عن جبل لبنان) ، وعبد

٧. جريدة «الحقيقة» ، ع ١١٢٦ ، س ١١ ، تموز ١٩١٩ .

٨. جريدة «الحقيقة» ، ع ١١٢٨ .

٩. جريدة «لسان الحال» ، ع ٧٧٩٩ ، ١٣ أيار ١٩١٩ .

١٠. A. E. ج ١١ ، ص ١٥٧ .

١١. المرجع نفسه ، ج ١٣ ، ص ١٦٨ .

١٢. وثائق وزارة الخارجية البريطانية : Public Record Office, F.O. 371/5036 .

(وسنشير إلى هذه الوثائق من الآن فصاعداً بالمصطلح (F.O.)).

١٣. A. E. ج ١٥ ، ص ٨٧ .

الفتاح شريف (عن طرابلس)، وتوفيق اليسار وصبحي الطويل (عن عكار)، ورياض الصلح وتوفيق الجواهري (عن صيدا)، وعفيف الصلح (عن صور)، ومراد غلمية (عن مرجعيون)، والحاج خليل عبدالله ومحمد بيك سهيل ومصطفى الأسعد (عن جبل عامل)، ووديع أبو رزق (عن زحلة)^(١٤).

وفي جريدة البلاغ مقالات لشخصيات إسلامية، على امتداد أوائل العشرينات، تصرّ على المطالبة بالوحدة السورية^(١٥)، معتبرين أنفسهم مظلومين في لبنان الكبير. وعام ١٩٢٢ يوقع أهالي طرابلس والملاحقات عرائض يطلبون فيها إلحاقهم بالداخلية لأنهم لم يروا فائدة من إلحاقهم بلبنان^(١٦). وبسبب ربط كلمة لبناني بالمسيحيين استبدلت بطاقات هوية مسلمي بيروت بكلمة بيروت^(١٧). وحتى حاكم لبنان الإداري حسين الأحذب، عام ١٩٢١، تعرض للانتقاد لأنه أغفل ذكر لبنان الكبير في المأدبة التي أقامها لغورو^(١٨). وتؤكد جريدة العهد الجديد^(١٩)، أن مسلماً واحداً لا يمكن ولن يمكن أن يرضى بما يسمونه لبنان الكبير وأن مسلماً واحداً لا يرضى ولن يرضى عن وحدة بلاده بديلاً، إنه سوري ويسعى إلى وحدة سورية وهو استقلالي ويسعى بمختلف الطرق المشروعة لاستقلال سورية.

ومن برنامج تاج الدين الحسيني عام ١٩٢٥، وهو من زعماء سورية، استرداد الأقضية الأربعة وهي البقاع وبعبك وحاصبيا وراشيا^(٢٠). والدكتور شهنندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر يطالبون بضم الأقضية الأربعة للوحدة السورية، في نفس الفترة^(٢١)، وكذلك كان موقف الدماماد^(٢٢).

وعندما طرحت اللجنة النيابية المكلفة بوضع الدستور أسئلة على القيادات الاجتماعية، عام ١٩٢٦، اجتمع وجهاء المسلمين (أحمد عباس، أحمد نامي، بدر دمشقية، جميل الحسامي... عبدالله يهم، عمر الداعوق، الحاج عبد القادر قباني، خير الدين الأحذب، وغيرهم...) في نادي جمعية المقاصد الخيرية للبحث في الأسئلة الموجهة بشأن الدستور اللبناني، وتم الاتفاق بالإجماع على رفض الإجابة على هذه الأسئلة لأن الأمة الإسلامية لا تقرّ

١٤. F.O. 371/5040

١٥. من مقال محمد باشا الخزومي، «البلاغ»، ع ١٩٦٤، ٢ تموز ١٩٢١، ومقال محمد كامل شعيب العاملي: «لا حياة إلا بالوحدة السورية»، «البلاغ»، ع ٢٠٦٩، ٣ كانون الأول ١٩٢١.

١٦. جريدة «المهاجر» ع ٤، ٢٨ كانون الأول ١٩٢٢.

١٧. جريدة «لسان الحال»، ع ٨٤٧١، ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١.

١٨. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٦٠، ٢٠ نيسان ١٩٢١.

١٩. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٥٠، ٢٣ كانون الأول ١٩٢٥.

٢٠. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ٣، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٤، ص ٣٩٣.

٢١. المرسع نفسه: ص ٥١٥.

٢٢. A. E. ج ١٩٨، ص ١٢١، F.O. 371/11505

لبنان الكبير^(٢٣). وكذلك علماء طرابلس وصيدا وتجارها وعدة نقابات فيها يقاطعون الدستور ويدعون للوحدة السورية^(٢٤). وفي ١٩ شباط يصرح عمر الدعواق مؤكداً موقف الطائفة الإسلامية في بيروت برفض الدستور وبالالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية^(٢٥). وفي جلسة ١٩ أيار ١٩٢٦ النيابية، عند طرح المادة الأولى من الدستور على بساط البحث، وهي المتعلقة بحدود لبنان، قدم عمر الدعواق نائب بيروت الاحتجاج التالي: لما كنا من ممثلي البلاد التي ألحقت بلبنان الصغير بدون استفتاء أهلها نحتج على المادة الأولى من القانون الأساسي ونطلب فصل البلاد التي ألحقت بلبنان الصغير أي القديم، وجعلها حكومة مستقلة إدارياً واقتصادياً وسياسياً على أن يكون لها اتحاد مع لبنان الصغير والبلاد السورية: نائب الجنوب: خالد شهاب، نائب طرابلس: خير الدين عذرة، نائب البقاع: صبحي حيدر، نائب بيروت: عمر الدعواق، نائب بيروت: عمر يهم^(٢٦). وفي عام ١٩٢٧ تابع حزب الاستقلال العربي تحركه، ومن بين أعضائه اللبنانيين البارزين: شكيب وعادل أرسلان، رياض الصلح، ورشيد رضا، وبرنامجه قيام أمبراطورية عربية ضخمة على سوريا أن ترتبط بها. وهذا الحزب ذو عداء دائم لفرنسا ويريد أن يقلص لبنان إلى حدود المتصرفية^(٢٧).

وفي تشرين الأول ١٩٢٧ عقد مؤتمر قومي في دمشق طالب بالوحدة السورية وشارك فيه عن بيروت عبد الرحمن يهم وعبد الله اليافي، وعن طرابلس عبد الحميد كرامي، الدكتور عارف البيسار، عارف الرفاعي^(٢٨). وفي حزيران ١٩٢٨ عقد مؤتمر حضرته أغلب القيادات الإسلامية:

- من صيدا وجبل عامل: محمود زنتوت، الحاج اسماعيل خليل، الشيخ أحمد رضا، أحمد عارف الزين، محمد علي الحوماني، يوسف أبو ظهر، توفيق الجوهري، سامي زنتوت، بديع الزين، سعيد عسيران.
- من بيروت: عمر يهم (عمر الدعواق تخلف بسبب المرض)، عبد الرحمن يهم، الحاج بشير جبر، عبد الله اليافي، صلاح يهم، محمد خرما، أنيس نجا، أحمد الدعواق، عزت قريطم.

-
٢٣. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٥٩، ٦ كانون الثاني ١٩٢٦.
 ٢٤. المرجع نفسه، ع ١٦٣ - ١٦٦، ١٢ - ١٦ كانون الثاني ١٩٢٦.
 ٢٥. المرجع نفسه، ع ١٩١، ١٩ شباط ١٩٢٦.
 ٢٦. المرجع نفسه، ع ٢٣٥، ٢١ أيار ١٩٢٦، وأنور الخطيب، المجموعة الدستورية، القسم الثاني - دستور لبنان، ١٩٧٠، لا اسم للمطبعة، ص ١١ و ١٢.
 ٢٧. A. E. ج ٢١٤، ص ١٨.
 ٢٨. أمين سعيد، المرجع السابق، ص ٥٣١.

- من طرابلس : عبد الحميد كرامي ، عبد اللطيف بيسار ، سعدي المنلا ، مصطفى الهندي ، حسن رعد ، صبحي الملك ، عارف حسن الرفاعي .
 - من عكار : عثمان باشا المحمد ، عبد الفتاح الشريف ، حسني عطية .
 - من بعلبك : صبحي حيدر ، نجيب حيدر ، أديب الرفاعي ، لطفي حيدر ، عباس باغي ، أديب قانصو ، حمد حسين شومان .
 - من وادي التيم : قواد الشهابي وغيره .
 - من البقاع والمعلقة : إبراهيم القيم ، الدكتور أمين قزعون ، قاسم الهياي (٢٩) .
- ومن القرارات التي اتخذها المؤتمر :
١. يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد الوطني ويطلب إلى الجمعية التأسيسية تحقيق وحدة البلاد السورية العامة بضم جبل الدروز والبلاد المسماة بلاد العلويين والبلاد التي ضمت إلى لبنان القديم ١٩٢٠ إلى سوريا وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على أن سوريا المؤلفة من البلاد المذكورة هي دولة واحدة لا تتجزأ مستقلة ذات سيادة .
 ٢. إرسال نحية إلى الجمعية التأسيسية السورية وتأييد الكتلة الوطنية ... وشكر الوفد السوري في أوروبا .
 ٣. يبلغ هذا القرار إلى صاحب الدولة رئيس الجمعية التأسيسية وبواسطته إلى فخامة المفوض السامي وإلى وزارة خارجية فرنسا وإلى جمعية الأمم (٣٠) .
- وبموازاة هذه القرارات من القيادات الإسلامية ، قدمت عرائض من البقاع وراشيا تطلب الوحدة السورية ورفعت للمجلس التأسيسي السوري (٣١) .
- وفي عام ١٩٣١ ، على أثر زيارة فيصل ملك العراق لفرنسا ، شاعت إشاعة باتحاد القطرين العراق وسوريا . وقد لقيت الدعاية لاتحاد القطرين في هذه الفترة تأييداً كبيراً فوضعت دمشق وحلب وحمص وحماة وبيروت وطرابلس وجبله وصيدا وصور وجبل عامل مضابط بوحدة القطرين (٣٢) . كما قامت مظاهرات في طرابلس تهتف بالوحدة السورية والعربية (٣٣) . الأمر الذي أدى إلى اعتقال الكثيرين فقام وفد من عبد الحميد كرامي ، البيسار ، وعارف الحسن لمقابلة المندوب الفرنسي . وقال الحسن إذا كنتم تريدون توقيف كل من ينادي بالوحدة السورية لوجب توقيف أعضاء الوفد (٣٤) .

٢٩. جريدة «العهد الجديد» ، ع ٥٠١ ، ٢٦ حزيران ١٩٢٨ .

٣٠. المرجع نفسه .

٣١. المرجع نفسه ، ع ٥٣٨ ، ١٨ آب ١٩٢٨ .

٣٢. أمين سعيد ، المرجع السابق ، ص ٥٧٨ .

٣٣. جريدة «العهد الجديد» ، ع ١١٤٩ ، ٢٦ نيسان ١٩٣١ .

٣٤. المرجع نفسه ، ع ١١٥٥ ، ٣ أيار ١٩٣١ .

وفي ٢٣ ت ١٩٣٤ قدم وجهاء بيروت عريضة إلى وزير الخارجية الفرنسية (مسيو لافال)، من أهم ما جاء فيها^(٣٥) :

«نحن الموقعين على هذه العريضة من الطائفة الإسلامية في بيروت والسواحل السورية اللبنانية نرى من واجبنا عرض الأمور الآتية :

لقد شعر المسلمون غداة الاحتلال بأن حكومة الانتداب نفرت إلى معاملة المسلمين في منطقة لبنان والأراضي الملحقة بها قهراً معاملة لا تنطوي على شيء من مبادئ العدل والمساواة (كذا) فأوجبت علينا الغرم والخلافات الغنم فمع كوننا ندفع المائة خمسة وستون من إيرادات هذه الدولة نرى خلافنا ينعم بالمأموريات العالية وعوضاً عن ذلك فالسلطة المحتلة بسطت سلطانها على محاكمنا الشرعية وتسلطت على أوقافنا في حين أن في لبنان طوائف عديدة تتمتع بحريتها الكاملة واستقلالها الديني والطائفي التام لا أثر لتدخل أية سلطة زمنية في شؤونها الخاصة ... (ثم تخرج العريضة على وضع المحاكم الشرعية وتطرح قضية الحج إلى أن تشير) هذه حالة المسلمين منذ خمسة عشر عاماً في عهد السلطة المنتدبة بسطناها قبل اليوم ولفتنا في مواقف شتى إلى عواقبها الوخيمة وقد رسخ في الأذهان أن الطائفة الإسلامية سائرة إلى الإضمحلال بتأثير الضربات المتوالية التي تنزل عليها من السلطة القائمة. وأن لا حياة لها في هذه البلاد.

وتطلب العريضة أخيراً «انتداب لجنة محايدة للتحقيق في جميع الأمور التي سردناها آنفاً وتفضلوا بقبول فائق احترامنا».

ومن بين الذين مضوا العريضة سليم علي سلام، عبد الحميد كرامي، محمد عمر يهم، أمين أرسلان، حلیم قدورة، و١٣٠ توقيعاً بينهم ملاكون وصيادلة ومحامون وأطباء ومقاولون و٦١ تاجراً.

وثمة رسائل عدّة لاحقة أرسلها أبو علي سلام إلى بول بونكور تشرح مطالب المسلمين وتشدد على الوحدة.

وفي عام ١٩٣٦، بعد التغييرات التي طرأت على السياسة الأوروبية (بروز المدّ الفاشي والنازي)، وانطلاقاً من عوامل داخل سوريا ولبنان من جهة وداخل فرنسا من جهة أخرى (خاصة وصول الاشتراكيين إلى السلطة) بدأت المشاورات لوضع معاهدة بين سورية وفرنسا أولاً وفرنسا ولبنان ثانياً.

منذ حزيران ١٩٣٦ بدأت التحركات في الأوساط الإسلامية تتخذ طابعاً تصاعدياً. ففي ١٤ حزيران يرسل رئيس مؤتمر الساحل سليم سلام برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يؤكد فيها أن «المناطق السورية التي ضمت إلى لبنان برغم معارضة سكانها يطالبون، من خلال مؤتمر

٣٥. A. E. ج ٥٠٧، ص ٧٤.

عقدوه ، بالوحدة السورية الشاملة»^(٣٦) . أما رياض الصلح ، في ٢٩ حزيران ، فيطلق تهديداً بالانضمام إلى سوريا ، عبر وحدة فدرالية ، إذا استمر الفرنسيون بدعم المسيحيين^(٣٧) .

وفي ٥ تموز اجتمع مندوبون من صيدا ، وطرابلس ، وصور ، ومرجعيون ، والنبطية ، وبنت جبيل وباقي مناطق جبل عامل ، وأدانوا سياسة التجزئة . وذكروا بمضابطهم ومظاهراتهم ضد التجزئة . « وبمناسبة المحادثات الجارية في باريس بين الوفد السوري والسلطات الفرنسية ، يقرر المجتمعون — مدفوعين بعامل القومية العربية ، وبعامل المصالح الاقتصادية والاجتماعية — المطالبة من فرنسا ، أم الحريات ، ومن حكومة التكتل الشعبي تحقيق المطالب التالية :

- ١ . تحقيق مطالبهم بالوحدة والاستقلال القومي ورفض كل موقف معاكس لذلك .
- ٢ . إذا كان الوفد الفرنسي على شك من ذلك ليقيم باستفتاء جزئي .
- ٣ . تكليف الوفد السوري بالدفاع عن قضيتنا وبمتابعة ذلك . ثم تلي التوقعات ... »^(٣٨) .

وعلى أثر هذا المؤتمر حصلت أحداث دموية في صيدا ، فقد تم احتلال مخافر الدرك ورفع العلم السوري ، وكان المطلب الأساسي : تحقيق الوحدة مع سوريا^(٣٩) . وحصل إضراب عام ابتداءً في ١٢ تموز واستمر لاحقاً ، واتهم رياض الصلح بأنه يشرف على هذا التحرك بالتنسيق مع شكري القوتلي^(٤٠) . وفي النبطية أعلن الإضراب حداً على أرواح شهداء الوحدة مع سوريا الذين سقطوا في صيدا وبنت جبيل ، وذلك أثناء احتفال فرنسا بعيد سقوط الباستيل ١٤ تموز ، وأرسلت برقية وقّعها جورج رحال ، سعيد جابر ، محمد علي رضا ، حيدر بدر الدين ، محمد فقيه ، بهاء الدين بو خدود ، علي زين ، بشير جابر^(٤١) . وبنت جبيل هي الأخرى أضربت تأييداً للوحدة السورية وأرسلت برقية موقعة من محمد سليم بزي ، نجيب حسن عبدالله ، علي حسن بري ، الحاج علي بيضون^(٤٢) . أما جب جنين فقد وقع برقيتها سليم غندور ، محمد حسين حيمور ، بركات رأفت ، صالح صالح ، محمد مراد^(٤٣) . ومن قادة التحرك في صيدا تذكّر البرقيات : أحمد اسماعيل القط ، توفيق جوهرى ، صلاح الدين بزي ، صلاح الدين قدورة ، عارف زين ، كامل قاسم ، رامز أبو ظهر ، شريف أنصاري ، محمد مجذوب ، مصطفى بساط ، محمود سنيرة ، محمد رضا قط ، محمد علي علايلي^(٤٤) .

٣٦ . المرجع نفسه ، ج ٥٠١ ، ص ٦٩ .

٣٧ . F.O. 371/35176

٣٨ . A. E. ، ج ٥٠١ ، ص ٨٥ - ٨٧ .

٣٩ . من تقرير Meyrier ، وكيل المفوض السامي دي مارتل ، A. E. ، ج ٥٠١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٤٠ . المرجع نفسه ، ص ١٠٩ .

٤١ . المرجع نفسه ، ص ١٢٦ .

٤٢ . المرجع نفسه ، ص ١٢٩ .

٤٣ . المرجع نفسه ، ص ٢٩ .

٤٤ . المرجع نفسه ، ص ٢٩ .

وبعد أن تجددت الاضطرابات في صيدا في ٢١ تموز^(٤٥)، مع الإصرار على تحقيق الوحدة السورية، طرحت الدوائر السياسية في وزارة الخارجية الفرنسية تساؤلاً حول الموقف الفعلي للشبيعة وطلبت من موظفي المفوضية الفرنسية في بيروت توضيح هذه النقطة. فأرسل Meyrier بتاريخ ٢١ آب ١٩٣٦ تقريراً جاء فيه^(٤٦):

هناك ١٥٥ ألف شيعي في لبنان، والتجمعات الأساسية لهم هي في بعلبك والهرمل (والجنوب)، مع وجود أقلية صغيرة في المدن. ودعاة الوحدة السورية والعربية أقلية بين الشيعة. الوجهاء المحليون، من إقطاعيين وأعيان، يسرون وراء رجال الدين، وأغلبية الفلاحين الشيعة يسرون غريزياً وقلبياً وراء زعمائهم الروحيين والزمنيين. للشيعة ٤ نواب في البرلمان اللبناني، كلهم طالبوا في ٧ تموز بالعودة إلى دستور ١٩٢٦. وقد أكدوا، من جهة أخرى، على تمسكهم بسلامة لبنان ضمن حدوده الحالية. والزعيم الديني الأساسي للطائفة السيد مغنية، من لبنان الجنوبي، أكد للرئيس إده — بعد اجتماعها — أنه مع استقلال لبنان ضمن حدوده المعروفة. ويختم التقرير بقوله إن ٩٨٪ من شيعة لبنان هم مع لبنان الكبير الحر المستقل، وتحت الحماية الفرنسية.

بعد صيدا انتقل ثقل التحرك إلى طرابلس، فأخذت بعض اللجان تهيئاً للتظاهر والاضراب، وقام وفد من: عبد الحميد كرامي وأمين المقدّم بمطالبة السلطات الفرنسية بالانضمام إلى سوريا (١٥ تموز ١٩٣٦)^(٤٧).

وفي ١٧ تموز قدمت لسلطات الإنتداب مذكرة هامة من القيادات الطرابلسية (حسين عويضة، دكتور بيسار، عبد الحميد كرامي، رفعت شنبور، تحسين ثمين، سعدي المنلا، حسني ذوق، محمد علي ضناوي، كميل خلّاط)، وقد طالبت هذه المذكرة بالوحدة مع سوريا، وبالاستقلال، وبرفع الغبن الذي حصل لطرابلس منذ ١٩٢٠^(٤٨). وعندما زار إميل إده سراي طرابلس في أواسط أيلول استقبل أمام السراي بهتافات (تحيا سوريا، تحيا الوحدة السورية)، ورفعت الأعلام السورية على المآذن، وقامت تظاهرات في مختلف أنحاء المدينة، إلا أنها قُعت ووقع العديد من الجرحى^(٤٩). وكانت قبل ذلك قد حصلت انتفاضات في سبر الضنية وبعض مناطق عكار^(٥٠). وفي تقرير رفعته المفوضية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يمكن استخلاص النقاط التالية عن موقف سنة لبنان:

٤٥. المرجع نفسه، ص ١٣٤.
٤٦. المرجع نفسه، ص ١٨٢ - ١٨٣.
٤٧. المرجع نفسه، ص ١٠٩.
٤٨. المرجع نفسه، ص ١١٢ - ١١٥.
٤٩. المرجع نفسه، ص ٢٤٢، وجريدة «بيروت»، ع ٤٤ و ٤٥.
٥٠. A.E.، ج ٥٠١، ص ١٣٦.

- عفيف الصلح أرسلته الكتلة الوطنية في سوريا لتحريك الشعب اللبناني تأييداً للوحدة السورية.

- رياض الصلح يتمنى توسيع التحرك نحو شمال إفريقيا.

- في بيروت، المفتي وسليم سلام يتزعمان التحرك.

- طرابلس السنية تقف مع الوحدة السورية^(٥١).

وإذا كانت مفاوضات الوفد السوري مع الفرنسيين جارية في باريس (وكان رياض الصلح عضواً في الوفد)، وبينما كان يطالب هذا الوفد بإعادة النظر بالحدود اللبنانية وإعادة المناطق التي ضمت إلى لبنان بحيث لا يستطيع الجبل أن يصمد إزاء الإحتلال السوري^(٥٢)، عقد من جديد مؤتمر في صيدا. وقد طالبت، فيه، صيدا بإعادة النظر بحدود لبنان والانضمام إلى سوريا. وعائلة آل الصلح بدا وكأنها تلعب الدور المحوري في تنظيم الاضطرابات داخل هذه المدينة. وكاظم الصلح نفذ ميدانياً ما كان يوعد إليه رياض الصلح من باريس. وإذ يبادر عبد الحميد كرامي بالانضمام لمؤتمر صيدا، فقد بدا أن سكان جبل عامل لم ينضموا إلى التحرك. أما النائبان الشيعة في جبل عامل فقد انتخبا ضد إرادة آل الصلح، بينما كان عادل عسيران يقف مع آل الصلح. أما سنة بيروت فقد اجتمع مندوبون عنهم في صوفر تأييداً للوحدة السورية^(٥٣).

وفي ٢٥ أيلول ١٩٣٦، استقبل رياض الصلح العائد من باريس من قبل جماهير تتراوح بين ٤ و٥ آلاف على مرفأ بيروت، وقامت تظاهرات ابتهاج في البسطة، ورفعت أعلام سورية بكثافة، مع أعلام فرنسية قليلة جداً، مع بعض الأعلام اللبنانية النادرة. وقد خطب رياض في المتظاهرين، وكذلك خطب فخري البارودي^(٥٤).

وبعد عودة دي مارتل إلى لبنان، من باريس، في تشرين الأول تألفت لجنة لبنانية لمفاوضته من أجل وضع معاهدة بين لبنان وفرنسا، وقد دامت المفاوضة شهراً كاملاً^(٥٥). والأعضاء المسلمون في لجنة التفاوض كانوا: خالد شهاب، محمد عبود عبد الرزاق، حكمت جنبلاط، نجيب عسيران^(٥٦).

ما هو موقف النخب الإسلامية التي احتجت على مبدأ تشكيل الوفد، وعلى مبدأ ومضمون المعاهدة؟

٥١. المرجع نفسه، ص ١٣٧ - ١٤٤ (والترقرير مؤرخ بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٣٦).

٥٢. المرجع نفسه، ج ٥١٦، ص ٦٩.

٥٣. المرجع نفسه، ج ٥٠١، ص ٢٤٠.

٥٤. المرجع نفسه، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

٥٥. تمّ التوقيع في قاعة السراية الصغيرة يوم الجمعة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦.

٥٦. الأعضاء المسيحيون كانوا: إميل إده، بشارة الخوري، أيوب ثابت، بترطاد، وهام ليليكيان، أما الوفد الفرنسي فكان مؤلفاً من المفوض السامي دي مارتل، والمساعد له في المفوضية: ميريه، أوستوروخ، لافون، كيفر.

عندما طلب رئيس الجمهورية ، ورئيس الوفد اللبناني المفاوض ، إميل إده ، من مفتي الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد إبداء رأيه في المعاهدة ، قدم المفتي إلى الرئيس مذكرة جاء فيها (٥٧) :

« بعد أن اجتمعت بوجهاء المسلمين في أنحاء لبنان جميعاً وتحدثت إليهم وأخذت آراءهم بدا لي أن رغبة المسلمين في لبنان تتلخص في ما يلي :

أولاً : الاستقلال التام .

ثانياً : السيادة القومية .

ثالثاً : الوحدة السورية بطريق الاستفتاء .

وبتاريخ ٢٤ ت ١٩٣٦ عقد ما يزيد عن ٢٥ شخصية إسلامية مؤتمراً في منزل عمر يهم (من أبرزهم سليم سلام ، عمر يهم ، رياض الصلح ، عبد الحميد كرامي ، الشيخ عارف الزين ، الشيخ أحمد رضا ، الأمير أمين أرسلان ...) . وقد صدر عن هذا المؤتمر مقررات عدة أبرزها (٥٨) :

١. إن المسلمين هم من جملة طلاب السيادة القومية من أبناء هذه البلاد ، مرتكزة على وحدة شاملة لأجزاء سوريا أولاً وللأقطار العربية ثانياً ، وهم يتخذون من هذه المبادئ دستوراً أعلى لهم يعملون في سبيل تحقيقه بكل الوسائل المشروعة .
٢. لما كان فريق من أبناء الوطن لا يرون تحقيق الوحدة السورية اليوم فإن المسلمين حباً منهم في إيجاد روح الإلفة (...) لا يرون بأساً في وضع الصلة بين الجمهورية اللبنانية والجمهورية السورية على أساس الاتحاد بأوسع ما يمكن من أشكاله .
٣. أن تتضمن المعاهدة فصلاً ينص على اللامركزية بحيث تضمن المساواة بين الطوائف في الحقوق والواجبات .

٥٧. بعض الخطب والمذكرات لصاحب الساحة المفتر الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد ، مطبعة الكشف ، لا تاريخ ، ٤ .

٥٨. وجدت في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية نصاً مغايراً بعض الشيء للنص الذي نشرته الصحف في ذلك الوقت ، فقد ورد في وثيقة الكي دورسه ما يلي :

١. المسلمون الذين يؤلفون أكثرية اللبنانيين لم يتوانوا عن الطلب من سلطات الإنتداب أو عصبة الأمم الانضمام إلى سوريا سياسياً واقتصادياً .

٢. الوحدة مع سوريا هي مقدمة لوحدة عربية شاملة .

٣. هناك تمايز بين طوائف البلاد مما يعزز الحقد ، من هنا يطالب المسلمون باللامركزية الإدارية والمساواة بين الطوائف .

٤. الاحتجاج على كيفية تأليف الوفد اللبناني لعقد المعاهدة مع فرنسا ، كونه أبعد مؤيدي الوحدة السورية .

٥. تألفت لجنة برئاسة أبو علي سلام .

٤. الاحتجاج على الوفد الذي تألف للمفاوضة باسم لبنان باعتباره ألقى طلاب الوحدة^(٥٩).
بموازاة تقديم هذه المذكرات قامت مظاهرات في طرابلس طالبت بالوحدة السورية (١)
ت^(٦٠) وأعلن فيها الإضراب العام^(٦١). ولم يتوقف إلا بعد تدخل رجال الكتلة الوطنية
السورية (جميل مردم بك، سعد الله الجابري، ورياض الصلح)^(٦٢).
أما في بيروت فقد بادر رياض الصلح إلى تنظيم قبضيات المدينة، وتمت الدعوة إلى مظاهرة
من مسجد البسطة ضد المعاهدة — وكان ذلك إبان شهر رمضان — ومن ترعّموا المظاهرة
رياض الصلح، فؤاد قاسم من محرري جريدة بيروت، وأنيس النصولي شقيق رئيس التحرير.
وقد تسلّحوا بالعصي والحجار والسكاكين، ومن هتافاتهم: «فلتسقط الوحدة اللبنانية ولتنحيا
الوحدة السورية، الوحدة أو الدم». وعند وصول التظاهرة إلى الأحياء المسيحية، أخذ
المتظاهرون يكسرون الواجعات وينهبون المحلات ويقلّبون عجلات الترامواي والسيارات^(٦٣).
بعدها أصغر وجهاء بيروت بياناً مشتركاً يشجبون فيه أعمال العنف ويطالبون بالهدوء^(٦٤). وكان
لدى مارتل الدور الكبير في إقناع المسيحيين والمسلمين على إمضاء بيان التهدئة. وقد وقع عن
المسلمين رياض الصلح، علي سلام، عمر يهم. وعن المسيحيين وقع حبيب طراد، جورج
ثابت، بشارة الخوري، وهنري فرعون^(٦٥). أما في صيدا وبنت جبيل فقد جرت معارك
وهوجمت مراكز الحكومة^(٦٦).
وفي إطار هذا الجو المضطرب نشأت منظمتان سياسيتان هما الكتائب اللبنانية التي طرحت
مسألة الاحتفاظ بحدود الدولة اللبنانية كأساس لعملها^(٦٧)، ومن جهة أخرى نشأ حزب
النجادة الذي وضع مسألة الانتماء العربي للبنان القاعدة الأولى لعمله.
إن الانقسام الطائفي الذي تبلور في المواقف الأساسية المتعلقة بمصير البلاد، والذي وضع
أيضاً في الإضرابات التي اتخذت طابعاً دموياً، حملت الرئيس لإميل إده على التشاور مع
المفوضية الفرنسية للتوصل إلى الصيغة الفضلى التي من شأنها أن تخفف من معارضة مسلحي لبنان
للدولة اللبنانية، فاستقر الرأي على أن توكل رئاسة الوزراء إلى مسلم^(٦٨). ولما كان خير الدين

٥٩. جريدة «النهار»، ع ٩٤٧، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦.

٦٠. A.E.، ج ٥٠٢، ص ٢٢.

٦١. جريدة «بيروت»، ع ٦٦، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦، F.O. 371/20848.

٦٢. جريدة «النهار»، ع ٩٧٢، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٦.

٦٣. A.E.، ج ٥٠٢، ص ٨٢ - ٨٤.

٦٤. المرجع نفسه.

٦٥. المرجع نفسه، ص ٧٥ - ٧٦.

٦٦. محاضر مجلس النواب (١٩٣٧ - ١٩٣٨)، ص ٢٦ - ٢٧.

٦٧. المرجع نفسه، ص ٢٩.

٦٨. A.E.، ج ٥٠١، ص ٢٦٦.

الأحذب هو المعارض الوحيد للمعاهدة الفرنسية — اللبنانية في البرلمان^(٦٩) ، وانطلاقاً من مناقشات مطوّلة كان قد أجراها معه فيريه ، حيث استشف فيها ألاماً من الأحذب ضد هاشم الأناسي والكتلة الوطنية السورية التي ضمت — في رأيه — بالمناطق الإسلامية في لبنان مقابل إقرار المعاهدة. كما نقل عنه ما حریفته :

“...Ainsi , a ajouté avec quelques amertume M. Khair Eddine Ahab, les musulmans du Liban sont pour les syriens seulement une monnaie d'échange”.

لذلك^(٧٠) كلف الأحذب بتأليف وزارة جديدة ، فتشكلت منه ومن ميشال زكور وحبيب أبو شهلا وأحمد الحسيني^(٧١) . وبالرغم من استقبال تجار ووجهاء طرابلس هذا الحدث بالترحيب الحار^(٧٢) ، فقد أصدت الجبهة الشعبية في طرابلس بياناً أكدت فيه ، مجدداً ، على حق الشعب في تقرير المصير ، ورفض التجزئة ، والانضمام إلى سوريا ورفض الحكم اللبناني ، وانطلاقاً من الأحداث الدموية الأخيرة طالبت الجبهة بإعطاء طرابلس حكماً ذاتياً^(٧٣) . إلا أن العديد من وجهاء طرابلس ، بمن فيهم عبد الحميد كرامي ، أكدوا أنهم سيضعون من الآن فصاعداً ، المصلحة اللبنانية فوق كل مصلحة^(٧٤) . بيد أن بركات أرسلت لاحقاً طالبت بضم طرابلس إلى سوريا . ومن بين الذين مضوا عليها :

عبد الحميد كرامي ، الدكتور اليسار ، راشد سلطان ، محمد خالد ، حسني ذوق ، محمد مصطفى ، سعدي منلا ، تحسين ثمين ، محمد علي ضناوي ، شوقي دندشي كباره^(٧٥) ... بالرغم من ذلك ، فقد اعتبر الأحذب ، أن البلاد دخلت — مع وصوله إلى رئاسة الوزارة — عهداً جديداً هو عهد المساواة في الحقوق والواجبات وعصر الإنصاف للجميع ، وكل ذلك ينبثق من روح المعاهدة اللبنانية — الفرنسية^(٧٦) . وعليه فقد شدد الأحذب على رفض ضم طرابلس إلى سوريا وأكد على ضرورة وحدة لبنان^(٧٧) ، كما أرسل — مع الرئيس إميل إده ، رسالة مشتركة إلى ليون بلوم — رئيس الوزراء الفرنسي ، تحتج على المطامع السورية في طرابلس وعكار^(٧٨) .

٦٩. محاضر مجلس النواب (١٩٣٦ - ١٩٣٧) ، ص ٢٢٨ .

٧٠. A.E. ، ج ٥٠١ ، ص ٨١ - ٨٢ .

٧١. المرجع نفسه ، ج ٥٠٢ ، ص ١٢٥ .

٧٢. المرجع نفسه ، ص ١٧٥ و ١٧٧ .

٧٣. المرجع نفسه ، ص ١١٨ - ١١٩ .

٧٤. المرجع نفسه ، ص ١٨١ (وكان ذلك في شباط ١٩٣٧) .

٧٥. المرجع نفسه ، ج ٥٠٣ ، و ٥٠٤ ، بتاريخ ١١ حزيران ١٩٣٧ .

٧٦. جريدة «بيروت» ، ع ١١١ ، ٦ شباط ١٩٣٧ . F.O. 371/20848 .

٧٧. A.E. ، ج ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ص ٢٦ - ٢٧ (١١ حزيران ١٩٣٧) .

٧٨. المرجع نفسه ، ج ٥٠٢ ، ص ١٧٧ .

يمكن اعتبار نهاية العام ١٩٣٦ وبداية العام ١٩٣٧ نقطة تحوّل هامة في موقف الأيديولوجية الإسلامية الغالبة من لبنان الكبير كدولة وكوطن. فبعد هذا التاريخ خفت الدعوات الرافضة للانضمام إلى الدولة اللبنانية واتجهت إتجاهاً جديداً.

فبعد أن تعرض مذكرة من المجلس الإسلامي (يرأسه سليم علي سلام) إلى وزير الخارجية الفرنسية وضع المسلمين الذين ألحقوا قسراً بلبنان، مشيرة إلى أنهم يعانون من اللامساواة في المعاملة، وأن فرنسا الليبرالية هي مع التوازن الطائفي في لبنان، تؤكد المذكرة إلى أن المعاهدة أرست قاعدة ٦٥٦ مكرر، وأن النصوص تؤكد نظرياً وعملياً مبدأ المساواة.

وفي ضوء ذلك تأمل المذكرة «استفادة البقاع وعكار وجبل عامل (وهي مناطق محرومة) من خيارات الدولة. وفي ضوء تحقيق المساواة، فالمسلمون يعتبرون أن بالإمكان التكيف مع النظام السياسي الجديد»^(٧٩).

إذن يبدو من الواضح أنه بدلاً من الاستمرار في رفع شعار الوحدة مع سوريا أصبح المطلب الإسلامي السائد: التنسيق مع الأشقاء العرب من ضمن الكيان اللبناني. ولكن هل لنا أن نتوقف بإيجاز عند العوامل الدافعة والأسباب التي أدّت بغالبية المسلمين إلى اتخاذ الموقف الذي عرضنا (١٩١٨ — ١٩٣٧).

تكاد الأسباب التي أثرت في الموقف الإسلامي تختصر بالنقاط التالية :

أولاً : السبب الديني

بالرغم من وجود نخب إسلامية متنورة وضعت فكرة الولاء للوطن في مرتبة أولى من الولاء الطائفي، بيد أن فئات غير قليلة من المفكرين ومن عامة المسلمين ظلت تعتبر الشريعة الإسلامية هي القاعدة التي يجب أن تنظم الدولة والمجتمع على أساسها.

فهذا رشيد رضا يعتبر أن «المسلمين لا يعتقدون بحق ولا واجب إلا إذا كان مبنياً في شريعتهم ومأخوذاً من أصول دينهم. فإذا فصل بين الدين والدولة كان جميع ما تكلفهم به الدولة من الحقوق والواجبات غير واجب الاتباع في اعتقادهم فإذا أخذوا به في العلانية لا يأخذون به في السر»^(٨٠). ورابطة «الجماعة الوطنية» — في اعتقاده — هي نتاج الأجانب من فرنسيين وإنجليز تبوّها لبنا لوما وسعوا من حلّ رابطة المسلمين الدينية وصرفهم عن تشريعهم وسلطانه^(٨١).

٧٩. إن هذه المذكرة المرفوعة بتاريخ ٢ حزيران ١٩٣٧ تعتبر من الوثائق البالغة الأهمية لجهة التحول السياسي في موقف الأيديولوجية الإسلامية من المسألة اللبنانية (A.B.E، ج ٥٠٣، ص ١١ — ١٦).

٨٠. مجلة «المنار»، س ٢، ١٨٩٩، ص ٣٥٩.

٨١. المرجع نفسه، ج ٢٦، ١٩٢٦، ص ٦٩٩ — ٧٠٦.

ومن جهة أخرى فقد اعتبرت نسبة كبيرة من الرأي العام الإسلامي أن مشروع لبنان الكبير هو مشروع مسيحي. فهذه جريدة الحقيقة الإسلامية^(٨٢) تتساءل: إذا كان اللبنانيون يريدون إقليماً مسيحياً، لماذا ضم مقاطعات معظم سكانها غير مسيحيين، لماذا إخضاع المسلمين لهذه الدولة المسيحية؟ وتعتبر الجريدة أن المسألة اللبنانية سببها الأول والوحيد: الدين^(٨٣). وخطباء الجمعة، في المساجد، كانوا يدعون لاسم السلطان حسين. الأمر الذي أوجد إشكالات مع سلطات الانتداب الفرنسي^(٨٤). ومن ضمن الإحساس الديني بالتفوق تتساءل جريدة البلاغ^(٨٥) الإسلامية: «والغريب في هذا الأمر أن مسلمي بيروت الذين هم أرقى مسلمي سوريا دون شك... كانوا كالكرة في يد من هم أقل رقياً وعلماً ومدينة».

ثانياً: السبب الاقتصادي

لقد لعب العامل الاقتصادي دوراً هاماً في وقوف الأكثرية الإسلامية ضد لبنان الكبير، وحسبنا الإشارة إلى النواحي التالية:

أ. قضية الضرائب: لقد كانت الشكوى المستمرة للنخب الطائفية الإسلامية في المناطق التي ضمت إلى لبنان الصغير تدور حول تفاوت الضرائب: منها الضريبة العشرية على تلك المناطق، ورسم الـ ١٥ ألف على أثمان العقارات المبيعة، وهي ضرائب لم تكن موجودة في أراضي المتصرفية^(٨٦). مع العلم أن بعض القيادات السنية كانت تذكر المسؤولين أن من جملة الدعايات التي أغري بها أبناء الملحقات للانضمام للبنان الكبير كانت المساواة في دفع الضرائب^(٨٧).

إن الصحف التي تعكس مواقف التيارات الإسلامية فيها إشارات مستمرة إلى قضية الضرائب على امتداد العشرينات والثلاثينات. فجريدة الحقيقة تطالب بالمساواة في دفع

٨٢. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٨٩، ٦ تشرين الثاني ١٩١٩.

٨٣. المرجع نفسه، ع ١١٤٣، ٢٩ تموز ١٩١٩.

٨٤. المرجع نفسه، ١٨ و ١٩ آب ١٩١٩.

٨٥. جريدة «البلاغ»، ١٩ آب ١٩٢٠.

٨٦. راجع كلمة خير الدين الأحذب، محاضر مجلس النواب (١٩٣٤ - ١٩٣٥) ص ١٩٨ - ١٩٩،

وكلمة خالد شهاب في جلسة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣١ (محاضر مجلس النواب، ١٩٣١ - ١٩٣٢، ص ٦٩)؛

ومحاضر مجلس النواب ١٩٢٧، ص ١٧ - ١٨.

٨٧. راجع كلمة خالد شهاب، محاضر مجلس النواب (١٩٣١ - ١٩٣٢)، ص ٧٠.

الضرائب مشيرة إلى أن الملحقات ليست مستعمرة للبنان^(٨٨). وجريدة الحوادث تورد تقريراً عن أهالي عكار الذين يشعرون أنهم إنما ألحقوا بـلبنان لأجل تأدية الضرائب^(٨٩).

وجريدة العهد الجديد تؤكد أن لبنان الصغير معروف بضعف موارده حتى يكاد يصح فيه القول أن لا مكلف فيه، ولم يبق أحد منا يشك من أن لبنان الكبير إنما خلق لنفع الصغير وأبنائه^(٩٠). وتورد الصحيفة، نقلاً عن رئاسة الوزراء، أرقام ما تدفعه المحافظات من الضرائب سنوياً، فيبدو أن البلاد الملحقة بـلبنان كانت تدفع ما مجموعه ١٠١٥٩,٣٩٦ ليرة بينما محافظات لبنان القديم كانت تدفع ٢٦٢,٦٨٢ ليرة^(٩١).

وجريدة بيروت تفسر الرغبة بالوحدة مع سوريا من أهالي صيدا قسم من جبل عامل بعدة أسباب في طلبتها:

١. الحرب من الإجحاف في توزيع الحقوق الطائفية... ندفع مئة ألف ليرة ذهباً ولكننا لا نستفيد بأكثر من سبعة آلاف...

٢. الوحدة تغني عن جمهوريتي (السورية واللبنانية) وبالتالي تقلّ التكاليف وبالتالي الضرائب^(٩٢).

ب. قضية الغبن من الوظائف: بالرغم من أن جريدة لسان الحال^(٩٣) قد أشارت إلى وجود مساواة في عدد الموظفين المسلمين (٢٧٣) والمسيحيين (٢٧٤)، إلا أن الاحتجاجات الإسلامية على الغبن في وظائف الدولة كانت مطروحة باستمرار.

فمحمد باشا الخزومي يعتبر أن المسلمين مظلومون في لبنان وهم يعاملون بعدم المساواة^(٩٤). وتؤكد البلاغ^(٩٥) أن المسلمين هم الأكثرية ولا يوجد سبب وجيه لإبعادهم عن الوظائف، لأنهم الأكثر تضرراً بهم منذ العهد التركي. وترى «الحقيقة» أن الإفرنسيين يساعدون الموارنة أكثر من غيرهم ويغيرون الموظفين المسلمين بموظفين مسيحيين وذلك باسم التعصب^(٩٦). كما يقوم

٨٨. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٤١، ٢٤ آذار ١٩٢١.

٨٩. «الحوادث»، ع ٩٣٦، ١٥ أيار ١٩٢٥.

٩٠. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٠٧، ٢١ آب ١٩٢٥.

٩١. المرجع نفسه، ع ٣١٠، ٦ أيلول ١٩٢٧.

٩٢. جريدة «بيروت»، ع ٦، ١ آب ١٩٣٦.

٩٣. جريدة «لسان الحال»، ع ٨٣٩٩، ١٣ آب ١٩٢١.

٩٤. جريدة «البلاغ»، ع ١٩٥٩، ٢٥ حزيران ١٩٢١.

٩٥. المرجع نفسه، ع ١٩٦٧، ٦ تموز ١٩٢١.

٩٦. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٤٠، ٢٣ آذار ١٩٢١؛ وجريدة «العهد الجديد»، ع ١٥٧، ٣ كانون

الثاني ١٩٢٦.

دعاة لبنان الكبير في رأي «العهد الجديد» بفرض تفوق فريق على الآخر وإذلال العنصر الإسلامي من كل الوجوه^(٩٧) ، الأمر الذي يؤدي إلى الشكوى من وضعية المسلمين عامة في لبنان الكبير ومن سحق غير المسلمين في سائر مجالس الحكومة^(٩٨) . وتشتكي العهد الجديد قائلة : لنا حقوق مهضومة في كل فروع الإدارة ، فوظفونا قلائل وهم في أدنى الوظائف ولغتنا تكاد تضيع في زوايا المعاملات^(٩٩) .

إن الغبن الذي لحق بالمسلمين على صعيد وظائف الدولة ، في فترة الإنتداب ، ربما ارتبط بإحجام أكثرية المسلمين عن كل ما من شأنه الدلالة عن موافقتهم على قيام الكيان السياسي اللبناني^(١٠٠) ، وبعد عام ١٩٣٦ بدا أن هناك تغييراً في الموقف الإسلامي إزاء قضية الوظائف .

ج. الحومان من المكاسب والمشاريع : كانت قضية المساواة ورفع الغبن والحرمان وتحقيق المشاريع في المناطق الإسلامية من المطالب المحورية بالنسبة للنخب الإسلامية . فعند بحث الدستور اللبناني عام ١٩٢٦ ، وخاصة المادة «٧» التي تنص على المساواة بين اللبنانيين ، يطلب بعض نواب المناطق الإسلامية تحديد القول «إن المساواة بين المناطق» . ويعلق محمد الرزاق «نائب عكار» أن عدم المساواة هو الذي حمل خمسة من الزملاء «النواب» أن يطلبوا الانفصال^(١٠١) . وتحت عنوان : «المساواة أمر مفقود في لبنان» ، نددت جريدة «العهد الجديد» بالغبن اللاحق ببعض الجماعات في الوظائف وفي الترقيات والإعانات المالية التي توزعها الحكومة على المؤسسات الخيرية والمعاهد الخاصة^(١٠٢) . وفي هذا المجال نشير إلى الإحتجاج الذي قلمته جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية في ١٤ آب ١٩٣٤ حول الحيف اللاحق من جراء توزيع المنح المدرسية^(١٠٣) . وفي العام ١٩٣٦ احتجت جريدة بيروت على نيل $\frac{1}{7}$ فقط من المساعدات المدرسية للمسلمين بينما من الواجب أن ينالوا النصف^(١٠٤) . وتحت عنوان «الأرقام تتكلم» تشير الجريدة نفسها إلى أن «الطوائف المسيحية تنال ٨٢٪ من مخصصات مديرية العدلية»^(١٠٥) .

د. تروابط المصالح مع الداخل السوري : لقد تضررت البورجوازية الإسلامية في المدن بشكل بارز من عملية التجزئة التي حصلت ، واعتبرت أن تجارة الساحل ستبور إذا ضايقها

٩٧. جريدة «العهد الجديد»، ع ١١٦ ، ١٠ أيلول ١٩٢٥ .

٩٨. المرجع نفسه، ع ١٠٨ ، ٢٣ آب ١٩٢٥ .

٩٩. المرجع نفسه، ع ٥٨ ، ٣١ أيار ١٩٢٥ .

١٠٠. جريدة «بيروت»، ع ٦٠ ، ١٩ تشرين الأول ١٩٣٦ .

١٠١. أنور الخطيب، مراحل الدستور اللبناني، ص ٩ - ١٠ .

١٠٢. جريدة «العهد الجديد»، ع ١١٨٨ ، ٣٠ تموز ١٩٣١ .

١٠٣. محاضر مجلس النواب (١٩٣٤ - ١٩٣٥) ، ص ١٨ .

١٠٤. جريدة «بيروت»، ع ١ ، ٢٧ تموز ١٩٣٦ .

١٠٥. المرجع نفسه، ع ٥٨ ، ١٦ تشرين الأول ١٩٣٦ .

الداخل. والحل، في رأيها، أن الوحدة هي أكبر عامل على صيانة اقتصاديات البلاد. في الساحل التجارة وفي الداخل الزراعة التي لا غنى عنها^(١٠٦). ولا غنى للآثنين عن بعضها البعض^(١٠٧). وأفضل معبر عن موقف البورجوازية الإسلامية كان عمر الداعوق الذي قال^(١٠٨): «بيروت كانت قبل الحرب العالمية مركزاً تجارياً له مكانته وكان يرتاده جميع تجار البلدان الداخلية والأقطار العربية والشرقية كالعراق وفلسطين والعجم والأناضول وسواها، أما الآن فقد تضعضع مركز بيروت التجاري بسبب هذا الانفصال السياسي وما لحق ذلك من عراقيل قضت على العلاقات التجارية مع تلك الأقطار، وليس في إمكان بيروت أن تستعيد مركزها التجاري إلا إذا ارتبطت بالأقطار المذكورة بإنشاء خطوط سكك حديد». ورد سبب جلور الأزمات الاقتصادية التي عرفت مدناً الساحل إلى التغييرات الجغرافية التي حصلت في المنطقة^(١٠٩). وفي مجال تعداد أسباب الرغبة في الوحدة مع سوريا يورد بعض أهالي صيدا، عام ١٩٣٦، جملة أمور منها: إن الوحدة تؤدي إلى السيطرة على التشريع الجمركي في كل ناحية، وبالتالي حماية المنتج الوطني، وانتظار التحسن في الأحوال التجارية، وانتظار أن تصبح صيدا أسكلة الشام. وهم يعلقون على هذا آمالاً جساماً ليعوضوا ما خسروه في كساد الزراعة^(١١٠).

بالإضافة إلى هذه الجوانب الاقتصادية التي استعرضنا ثمة جوانب أخرى لم نتطرق إليها وساهمت في وقوف تيار إسلامي واسع مع الوحدة السورية وضد لبنان الكبير. وحسبنا أن تشير إلى سيطرة سلطات الإنتداب على الأوقاف^(١١١)، وتغلغل الرساميل والسلع الغربية إلى المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تراجع المهن المحلية بالإضافة إلى قضايا النقد وغيرها^(١١٢).

-
١٠٦. جريدة «البلاغ»، ع ١٩٦٥، ٤ تموز ١٩٢١.
 ١٠٧. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٠٠، ٢٢ أيار ١٩١٩.
 ١٠٨. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٠٣٠، ١٧ تشرين الأول ١٩٣٠.
 ١٠٩. جريدة «البلاغ»، ع ٢١٠٨، ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٢.
 ١١٠. جريدة «بيروت»، ع ٦، ١ آب ١٩٣٦.
 ١١١. جريدة «العهد الجديد»، ع ٢٨٠، ٢٣ تموز ١٩٢٧، وع ٣٧٣، ١٠ كانون الأول ١٩٢٧.
 ١١٢. يمكن مراجعة جاك كولان حول الحركة النقابية في لبنان؛ ويدر الدين السباعي، أعضاء على الرساميل الأجنبية في سورية؛ وسعيد حمادة، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان.

ثالثاً: السبب السياسي

ثمة عوامل سياسية متشعبة حدثت بأغلبية التيار الإسلامي أن يقف بحذر إزاء الكيان اللبناني الجديد وستوقف عند اثنين من أهمها:

أ. المطالبة بالاستقلال ورفض التجزئة: منذ مطلع الإنداب ونسبة غير قليلة من الشخصيات والقوى الإسلامية تشدد على مطلب الاستقلال. وفي هذا الصدد يقول رياض الصلح: «أكون أول المتقدمين وأول المدافعين عن لبنان وكيانه على شرط واحد وهو الاستقلال التام الناجز. وها يدي ويدكم في سبيل الاستقلال التام. أما انفصال واستعباد فلا وألف لا، لا أقبله أبداً»^(١١٣). وفي خطاب ألقاه في صيدا، يقول: «إنني أعمل معكم كجندي في سبيل لبنان على أن نجتمعوا أمركم على طلب الاستقلال الحقيقي»^(١١٤). وتعكس جريدة «العهد الجديد» الموقف من التجزئة: إن إنشاء لبنان الكبير كان بالنسبة للمسلمين بؤادر سياسة التجزئة... وقد ساء المسلمين أن تهمل رغباتهم وأن يقرّر مصيرهم بصورة «كيفية» دون استشارتهم... إذن إنشاء لبنان الكبير مبني على هضم حق أساسي لا تصفو القلوب ولا ترتاح إلا إذا أعيد هذا الحق لأصحابه^(١١٥). ولو فرضنا وحافظنا على الوضع الحاضر بمحدوده التي ينص عليها الدستور اللبناني نصف سكان الجمهورية اللبنانية غير راضٍ عن وطنه، يخفق في صدره حب هذا الوطن ويعلم أولاده كراهيته، ويقول لهم إنهم غرباء فيه وان وطنهم الحقيقي يمتد إلى أبعد من لبنان ويمتاز هذه الحدود إلى ما وراءها حيث يرفرف علم جميل له قدسيته وجماله وتاريخه وجهاده^(١١٦) (العلم السوري).

ب. التخوف من الخطرين الأوروبي والصهيوني: كان هناك تصوّر في الأوساط الإسلامية أن استقلال لبنان عن سوريا والاستغناء عن مواردها يوقعه فريسة في يد الأوروبي^(١١٧). ويصرح الأحذب الذي سيصبح رئيساً لوزراء لبنان عام ١٩٣٧: نعتقد أنه

١١٣. جريدة «العهد الجديد»، ع ٤٤٢، ٢٨ آذار ١٩٢٨.

١١٤. المرجع نفسه، ع ٤٨٥، ٢٩ أيار ١٩٢٨.

١١٥. المرجع نفسه، ع ٣٨٣، ٢٤ كانون الأول ١٩٢٧.

١١٦. جريدة «بيروت»، ع ٢، ٢٨ تموز ١٩٣٦.

١١٧. جريدة «الحقيقة»، ع ١١١٤، ١٤ حزيران ١٩١٩.

ليس بإمكان الجماعات المختلفة في لبنان التنازل عن عروبته لتدين بها البقعة الصغيرة من الأرض التي لا تكاد تكفي لغذاء أهلها ، والتي ليس بمقدورها أن تكون إلا دولة إقليمية صغيرة معرضة في كل حين لتزاعات السياسة الأوروبية ، من هنا تحقيق الوحدة يشعر بالعزة القومية . وبالاتحاد يصبح لهذه المنطقة شأن في مواجهة السيطرة الأوروبية^(١١٩) . ومن جهة أخرى فالإتحاد ضروري لمواجهة الخطر الصهيوني الذي يهدد المسلمين والمسيحيين^(١٢٠) على السواء .

• • •

١١٨ . جريدة «العهد الجديد» ، ع ٩٢٥ ، ٢١ أيار ١٩٣٠ .

١١٩ . جريدة «بيروت» ، ع ٦ ، ١ آب ١٩٣٦ .

١٢٠ . جريدة «الحقيقة» ، ع ١١٣٨ ، ٢٣ تموز ١٩١٩ .

الإتجاه الميثاقى التعايشى (١٩٣٧ — ١٩٤٣)

بعد مشروع المعاهدة الفرنسية... اللبنانية ، عام ١٩٣٦ ، حدث تطور هام في موقف النخب الإسلامية من الكيان اللبناني وعلاقته بسورية ، علماً أن بذور هذا الموقف كانت موجودة قبل هذا التاريخ. فبالإضافة إلى محمد الجسر الذي دافع عن الخصوصية اللبنانية وعبد الحليم الحجار والحزب الجنبلاطى وغيرهم الكثير ، وقد تعاونوا جميعاً مع الانتداب ، نلاحظ بروز أصوات إسلامية من مثل عادل^(١٢١) وكاظم الصلح وغيرهما تدعو للتفاهم مع المسيحيين على قاعدة استقلال لبنان عن الفرنسيين والتخلي عن مطلب الوحدة مع سوريا. وفي نظر الدكتور ألبرت حوراني^(١٢٢) أنه كان هناك سببان لاندماج المسلمين في الكيان السياسى اللبناني :

الأول : تأثير مدينة بيروت النامي . وهي التي جذبت إليها ، بعد أن أصبحت عاصمة لبنان ، عدداً كبيراً من عائلات الجبل ، الأمر الذي أوجد روابط صداقة وعلاقى مصلحية بين البورجوازية الجبلية والبورجوازية المدنية .

الثاني : إدراك القوميين العروبيين أن السبيل الوحيد للتخلص من الانتداب الفرنسى كان القبول ببعض التنازلات لقاء تنازلات مسيحية مقابلة . ومهما يكن من أمر فإن المرتكزات الأساسية التي تمحورت حولها بشكل عام إيديولوجيا النخب الإسلامية ، في الفترة التي تمهنا ، يمكن اختصارها بالنقاط التالية :

أ) القضية العربية تتطلب رضى المسيحيين وعدم المعاداة بين الطوائف

لقد تفهم بعض النخب الإسلامية أن ثمة جدلية بين الموقف السياسى المصطبغ بالصيغة الإسلامية وبين استمرار الخوف عند الفئات المسيحية الأمر الذي كان يعزز استجارة هذه الفئات بالقوى الخارجية وبخاصة فرنسا .

وكان رياض الصلح الأكثر وضوحاً وفهماً بالنسبة لهذه القضية . فقد صرح عام ١٩٣١ أن المسلمين لا يقصدون عداً لطائفة من شقيقاتهم في لبنان أو لحكومة لبنان نفسها ولا لغاية سياسية ، إنما هم رواد مصلحة عامة لا أكثر ولا أقل^(١٢٣) . وقبل ذلك في عام ١٩٢٨ نقل عنه

١٢١ . ل. الدراج . حزب الاستقلال الجمهورى . سار الطليعة . ١٩٧٠

١٢٢ . ل. حوراني . دوى ١٩٤٣ . ج ١ . ص ٦٨ (شفاً من بايدر . Politics in Lebanon نيويورك . ١٩٦٦ . ص ٢٧) .

١٢٣ . حريدة «العهد الجديد» . ع ١٢٧٤ . ٢٢ كانون الثانى ١٩٣١ .

قوله : « إنني آثر أن أعيش في كوخ داخل وطن لبناني مستقل من أن أعيش مستعمرًا في إمبراطورية عربية »^(١٢٤). وبعد ذلك بـ ١٦ سنة صرّح في دمشق قائلاً : إنني أفضل اتفاق المسيحيين والمسلمين على إمبراطوريات عظيمة ليست مستقلة^(١٢٥). وفي جو التقارب الذي حصل بين البطريرك الماروني وقيادات الكتلة الوطنية في دمشق في منتصف الثلاثينات برز رأي صلحي آخر (كاظم الصلح) يدعو لتخطي الانقسام التقليدي (لبناني تعني مسيحي ، والوحدة وسوريا تعني مسلم) بحيث يتم اللقاء المسيحي - الإسلامي في إطار المواطنة اللبنانية ، ومن ضمن الانتماء العربي الشامل الذي يعلو على الرواسب الطائفية^(١٢٦). كما أن جريدة بيروت لصاحبها محي الدين النصولي كانت منبراً للمواقف الهادفة للتقارب بين الطوائف. فهذا مقال لعماد علي يهيم يعتبر أن « المسلم والمسيحي كانا تحت رحمة الظروف والظلم اللذين لم تأخذ الدولة بناصر المسلم إلا لمواجهة مساعدة الدول الأوروبية للمسيحيين. المسلمون أصبحوا يعون خطر بقاء الأقليات في يد أوروبا وهم مستعدون للتساهل »^(١٢٧). ويشير مقال آخر على أنه من الواجب أن لا ننسى نصف سكان البلاد (أي المسيحيين) ونحاول أن نندغم معهم لنوصلهم إلى الوحدة لئلا نصل في المستقبل إلى أمور يصعب إصلاحها^(١٢٨).

ب) الالتقاء يجب أن يتم على مبدأ الاستقلال

لقد كان تحقيق الاستقلال من المطالب الجوهرية التي استقطبت أغلبية النخب الإسلامية منذ بدء الانتداب. وكان ثمة ترابط ، في منطق هذه النخب ، بين الاستقلال عن فرنسا من جهة ، والاندماج بالداخل السوري من جهة أخرى. لكن معادلة الميثاق الوطني ربطت الاستقلال عن فرنسا بعدم الاندماج مع سوريا مع تعاون وثيق مع البلدان العربية. وهذا التعاون لا يضير الاستقلال ولا ينتقص منه^(١٢٩). إنه استقلال ناجز تام للبنان بحدوده الحاضرة^(١٣٠) ، إنه استقلال يتحفظ إزاء كل الدعوات الإندماجية بمشاريع الوحدات العربية أو السورية ، كما فعل رياض الصلح في ٢٠ ك ١٩٥١ عندما رفض مشروع رئيس الوزراء السوري للوحدة

-
١٢٤. المرجع نفسه ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٨ ، ونجلا عطية ، مؤلف اللبنانيين الستة من الدولة اللبنانية ، أطروحة ، لندن ، ١٩٧٣ ، غير منشورة ، ص ١٣٠.
 ١٢٥. جريدة «بيروت» ، ع ٢١٠٦ ، ١٥ آب ١٩٤٤.
 ١٢٦. باسم الجسر ، المرجع السابق ، ص ٤٧٥.
 ١٢٧. جريدة «بيروت» ، ع ٣٩ ، ٩ أيلول ١٩٣٦.
 ١٢٨. المرجع نفسه ، ع ٣٣ ، ٢ أيلول ١٩٣٦.
 ١٢٩. من خطاب رياض الصلح بعد عودته من الاسكندرية حيث تم تصديق ميثاق الجامعة العربية ، محاضر مجلس النواب (١٩٤٣ - ١٩٤٤).
 ١٣٠. من خطاب عبد الحميد كرامي ، محاضر مجلس النواب (١٩٤٤ - ١٩٤٥) ، ص ٢٧٠.

العربية^(١٣١). إنه استقلال ارتضيها إلى الأبد^(١٣٢). وعندما اختل مبدأ التمسك بالاستقلال في الخمسينات، إن من جهة القيادة الشمعونية، باتجاه الأحلاف الغربية، أو من جهة القيادات الإسلامية، باتجاه الموجة الناصرية، اختل الوضع وكان من العوامل التي أدت إلى فتنه ١٩٥٨.

ج) التشديد على شعاري العدل والمساواة

هناك تقليد قديم، في الفكر السياسي الإسلامي، أساسه التشديد على مبدأي العدل والمساواة. ولا مجال للتطرق لذلك من الفكر المعتزلي، في مطلع التاريخ الإسلامي، حتى التيارات الإصلاحية في العصور الحديثة.

فمقتي الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد يقول أمام بيو إن المسلمين هم دعاة إلفة وإخاء صحيح، وهم طلاب عدل ومساواة لأن العدل أساس الملك^(١٣٣). وأمام الجنرال ديقول في بحدون عام ١٩٤٢: نحن المسلمين لا ننشد إلا التمتع باستقلالنا وكرامتنا الوطنية، وكمواطنين لا نريد إلا العدل والمساواة التامة المعنوية والمادية بيننا وبين أبناء الوطن^(١٣٤). وأمام دانز يشير إلى أن أماننا المسلمين تستند إلى التاريخ والكرامة والعدل وإلى شغفهم بمبادئ الحرية والمساواة^(١٣٥). وأمام كاترو يؤكد المفتي أن المسلمين ينشدون في بلادهم وبين بني قومهم المساواة والعدل بصفهم مواطنين مخلصين^(١٣٦). ووسيلة الاستقرار الاجتماعي والسياسي — يضيف المفتي — هي إقامة المساواة والعدل بين جميع الطوائف^(١٣٧). وعندما كلف خير الدين الأحذب برئاسة الوزارة عام ١٩٣٧ اعتبر أن البلاد دخلت عصراً جديداً هو عصر العدل والمساواة في الحقوق والواجبات^(١٣٨).

وفي المؤتمر الذي عقدته الطوائف المحمدية في ٢١ حزيران ١٩٤٣ طالب المفتي خالد بالعدل والمساواة لمصلحة الجميع، وكذلك رياض الصلح اعتبر بأن العدل الذي يطالب به إنما هو في مصلحة الطوائف اللبنانية كلها، لا في مصلحة طائفة واحدة.

١٣١. الشيخ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج ٣، منشورات أوراق لبنانية، ١٩٦١، ص ٣٥٠.

١٣٢. جريدة «الإيمان»، ع ١٠١، ٦ كانون الثاني ١٩٤٦.

١٣٣. جريدة «بيروت»، ع ٦٩٣، ١١ شباط ١٩٣٩.

١٣٤. محمد توفيق خالد، بعض الخطب والمذكرات، المرجع السابق، ص ١٧.

١٣٥. المرجع نفسه، ص ٩.

١٣٦. المرجع نفسه، ص ١٠.

١٣٧. المرجع نفسه، ص ٢١.

١٣٨. جريدة «بيروت»، ع ١١١، ٦ شباط ١٩٣٧.

مؤسّسة خليفة للطباعة
بولفار الدّورة - البوشر
للفنون ٨٣٧١ ٨٩٤

